روايات مصرية للجيب

ملف المستقبل

٩١

سري جداً!!



ضد الزمن

د. نبيل فاروق



ملف المستقبل

فى مكان ما من أرض مصر ، وفى حقبة ما من حقب المستقبل ، توجد القيادة العليا للمخابرات العلمية المصرية .. يدور العمل فيها بهدوء تام وسرِّية مطلقة .. من أجل حماية التقدم العلمى فى مصر .. ومن أجل الحفاظ على الأسرار العلمية التى هى مقياس تقدم الأمم .. ومن أجل هذه الأهداف يعمل فريق نادر تم اختياره بدقة بالغة :

— نور الدين : واحد من أكفأ ضباط المخابرات العلمية يقود الفريق .

— سلوى : مهندسة شابة ، وخبيرة فى الاتصالات والتتبع .

— رمزى : طبيب بارع متخصِّص فى الطب النفسى .

— محمود : عالم شاب وإخصائى فى علم الأشعة .

فريق نادر يتحدَّى الغموض العلمى والألغاز المستقبلية .. إنهم نظرة أمل للمستقبل .. ولمحة من عالم الغد .

د. نبيل فاروق

١ - انهيار ..

خفت الأضواء تدريجيًا ، فى المستشفى المركزى فى (القاهرة الجديدة) ، إيذانًا ببدء النوبة الليلية ، وتحرَّكت ممرضات المستشفى على أطراف أقدامهن ، خشية خدش ذلك الصمت المهيب ، الذى خيَّم على المكان ، وراحت كل منهنّ تعدّ العدة لبدء عملها ، الذى يستمر عادة حتى الصباح ، وهنّ تلقين نظرات سريعة على المرضى ، من خلف جدران حجرات العناية المركَّزة الزجاجية ، ثم تعلَّقت نظرة إحداهن بذلك الشاب النحيل ، الضئيل الجسد ، الذى وقف صامتًا ، يعقد ساعديه أمام صدره ، ويتطلَّع بنظرة ثابتة إلى الرائد (نور) الذى يرقد داخل واحدة من حجرات العناية المركَّزة ، واتجهت إليه ، هامسة فى إشفاق :

- ألن تنعم بقليل من الراحة ؟

ألقى عليها الشاب نظرة خاوية ، قبل أن يخلع منظاره الطبى ، ويفرك عينيه فى إرهاق ، مغمغمًا :

- إننى أشعر بالارتياح هنا .

هتفت مستنكرة فى خفوت :

- تشعر بماذا ؟!.. كفاك مكابرة بالله عليك .. ألم تر وجهك فى المرآة ؟!.. إنك تكاد تسقط من فرط الإعياء .. هيا .. عد إلى منزلك ، واحظ بقليل من النوم ، ولا تخش

على رفيقك .. إنه بحالة جيدة .. لقد أجروا له العملية الجراحية بنجاح ، وباستخدام المنظار ، وجروحه كلها تم لحامها بالليزر ، وسيعافى غدا على الأكثر ، وربما أمكنه العودة إلى منزله بعد غد .. صدقنى .. جراحات الليزر هذه معجزة ، فمثل هذه العمليات الجراحية كانت تحتاج إلى أسبوعين على الأقل للنقاهة ، فى القرن العشرين .

تنهّد ، قائلاً :

ـ لا يمكننى أن أتركه وحده .

هتفت :

ـ لماذا ؟!.. أقسم لك إنه بخير حال ، و ...

بترت عبارتها فى دهشة ، مع ذلك البريق العجيب ، الذى أطل من عينيه الغائرتين ، وسألته فى شىء من الحذر :

ـ ماذا حدث ؟

بدا الانفعال واضحًا على وجهه ، وهو يلوّح بسبابته ، قائلاً :

ـ انظرى .. لقد استعاد وعيه .

التفتت بسرعة تتطلّع إلى (نور) ، الذى فتح عينيه ، وراح يدير رأسه فى بطء ، فى حين اندفع (محمود) إلى داخل الحجرة ، وهو يهتف فى سعادة وارتياح :

ـ حمدًا لله يا (نور) .. حمدًا لله على سلامتك من تلك الإصابة .

ابتسم (نور) فى ضعف ، وغمغم :

ـ كيف حالك يا عزيزى (محمود) !.. قل لى : هل انتصرنا على الغزاة الجدد ؟(*)

أجابه (محمود) فى حرارة :

ـ انتصارًا ساحقًا يا صديقى .. بفضل الله (سبحانه وتعالى) .

حاول (نور) أن يبتسم ، إلا أن تلك الابتسامة لم تلبث أن ذابت مع نظراته القلقة الحزينة ، وهو يقول :

ـ وماذا عن (نشوى) .. هل توقّف انخفاض عمرها المستمر ؟

تنهّد (محمود) ، وهزّ رأسه فى أسف ، مغمغمًا :

ـ كلاّ يا (نور) .. الجميع يحاولون إيقاف هذه الظاهرة العجيبة ، ولكن ما من فائدة حتى الآن .

سأله (نور) فى قلق :

ـ وكم بلغ عمرها الآن ؟

صمت (محمود) لحظة ، ثم غمغم فى مرارة :

ـ سبع سنوات .

(*) راجع قصة (رعب فى الأعماق) .. المغامرة رقم (٩٠) .

شعر (نور) بالجواب يطعنه فى مرارة ، فأغلق عينيه فى ألم ، وترك قلبه يبكى بخفقات كالنار ..

مسكينة هى ابنته (نشوى) ..

لم تحظ أبدًا بحياة عادية ، كأية فتاة أخرى ..

ففى العاشرة من عمرها ، خضعت مرغمة لتجربة شيطانية ، أجراها عليها مخلوقات من عالم آخر ، حاولت السيطرة على الأرض ، وإفناء كل من عليها من مخلوقات حية ، عن طريق عقار خارق للنمو ..

وبقطرة واحدة من هذا العقار الجهنمى ، قفز عمر سن (نشوى) عدة سنوات دفعة واحدة ..

عشر سنوات ..(*)

وفجأة ، أصبحت (نشوى) الصغيرة فتاة ناضجة ..

فتاة فقدت طفولتها ، ووثبت بغتة إلى عالم الشباب ..

ومضت خمس سنوات كاملة ..

خمس سنوات عاشت خلالها (نشوى) حياة الفتاة الناضجة ، واستخدمت عقليتها المتفوقة ، التى نمتها تلك المخلوقات الفضائية ، لتصبح واحدة من أشهر خبيرات الكمبيوتر فى (مصر) والعالم ..

(*) راجع قصتى (سادة الأعماق) ، و (المحيط الملتهب) .. المغامرتين رقم (٦٢) و (٦٣).

وفجأة ، فقد العقار مفعوله ..

بل انطلق يعدو فى الاتجاه العكسى ..

لقد انخفض عمرها ..

انخفض بسرعة مذهلة ..

لم يتوقف حتى عند حاجز السنوات العشر ، التى بدأت عندها التجربة ..

لقد واصل الانخفاض ..

واصله ضد قوانين الطبيعة ..

وضد الزمن ..(*)

* * *

ـ لا أمل ..

ارتجف جسد (سلوى) فى هلع ، عندما نطق الدكتور (حاتم زهير) ، رئيس قسم أبحاث النمو ، هذه الكلمة ، ووجدت نفسها تهتف فى انهيار :

ـ ماذا تعنى ؟.. هناك أمل حتمًا .. لن أستسلم للموقف ، وأترك ابنتى تتلاشى أمام عينىّ هكذا .

ربّت الدكتور (حجازى) على كتفها ، متمتمًا :

ـ بالطبع يا بنيتى .. لن نستسلم أبدًا .

ثم التفت إلى الدكتور (حاتم) ، مستطردًا :

(*) راجع قصة (البركان) .. المغامرة رقم (٨٩) .

- ألا توجد وسيلة أخرى ؟

هزَّ الدكتور (حاتم) رأسه وكتفيه ، وهو يجيب فى أسف :

- لقد جرَّبت كل الوسائل ، وما من فائدة .. عقارِ النمو الجديد لم يترك فى جسدها أدنى تأثير .. على الرغم من الجرعات المختلفة التى استخدمناها ، ثم إنه يؤدى إلى ارتفاع شديد فى عدد ضربات القلب ، ومن الخطر مواصلة تجربة تأثيره على جسدها ، بجرعات أكبر ..

تمتمت (نشوى) فى مرارة :

- لا تحاولوا .. إنه قدرى .

هتفت بها (مشيرة) ، وهى تبكى فى حرارة :

- لا .. لا تقولى هذا .. نحن نصنع قدرنا .. لا تستسلمى لليأس .

ترقرقت الدموع فى عينى (نشوى) ، وهى تقول :

- لا أحد يصنع قدره يا (مشيرة) .. ولا أحد يمكنه الفرار من مصيره أيضًا .

تجاوز (رمزى) فجأة حاجز الصمت ، الذى أحاط به نفسه منذ البداية ، وهو يقول :

- ولكن يمكنه أن يقاتل من أجل حياته على الأقل .

التفتت إليه فى صمت ، وقلبها يبكى بدموع من دم ..

صحيح أن جسدها انخفض عمره ، إلى ما يقرب من ست سنوات ، ولكن عقلها وقلبها مازالا يحملان أفكار فتاة فى الخامسة والعشرين ..

مازالت تحبه ..

وهذا مصدر حزنها الفعلى ..

لقد فقدته إلى الأبد ..

لن يمكنه أبدًا أن يرتبط بطفلة فى السادسة ، أو الخامسة من عمرها ..

حتى ولو كان عقلها فى الخامسة والعشرين من عمره ..

مستحيل أن يفعل !..

ربما يقاتل من أجل إنقاذها ..

ولكن ماذا بعد ؟!

حتى لو نجحوا ، وحافظوا على عمرها ، ومنعوا انخفاضه المستمر ، فستبقى مجرَّد طفلة ، لها عقلية فتاة ناضجة ..

طفلة عبقرية ..

أما هو ، فرجل ناضج ..

رجل يحتاج إلى امرأة تماثله نضجًا وعمرًا ..

امرأة مثل (مشيرة) ..

لم يدرك أحدهم أن هذا هو ما يشغلها ، فى تلك الفترة الحرجة من حياتها ، وبخاصة (رمزى) ، الذى تابع فى حزم شديد :

- هناك حل فى مكان ما .

هتفت (سلوى) :

- أى مكان هذا ؟!.. أخبرنى به وسأخوض الأهوال من أجلها .

أشار (رمزى) إلى رأس (نشوى) ، وهو يجيب :

- هنا .

ردد الدكتور (حاتم) فى دهشة :

- أين ؟!

كرر (رمزى) فى إصرار :

- هنا .. فى رأس (نشوى) ..

أطل من عيونهم تساؤل واضح ، فتابع هو :

- هل تذكرون جلسة التنويم المغناطيسى ، التى أخضعت لها (نشوى) من قبل ؟..

لقد ارتطم عقلها برسالة ما ، تركها فى أعماقها سادة الأعماق .. رسالة تحمل تعليمات ما ، ربما كانت هى حل المشكلة .

قالت (سلوى) فى مرارة :

- وما الفائدة ؟.. لقد عجزت أنت عن انتزاع هذه الرسالة من عقلها ، ومعرفة فحواها ..

قال الدكتور (حجازى) :

- هذا صحيح يا (رمزى) .. ألا تذكر كيف أصابها هياج عصبى حاد ، عندما حاولت هذا .

أجابهما (رمزى) فى حزم :

- سأجد وسيلة لهذا .

قال الدكتور (حاتم) :

- المهم أن تجد هذه الوسيلة بالسرعة اللازمة ، فمن الواضح أن سرعة هبوط الزمن قد بلغت أقصاها .

أدرك الجميع ما يعنيه على الفور ، فالتفتوا إلى (نشوى) فى سرعة ، وشهقت (سلوى) ، هاتفة :

- ابنتى !!

وصاح الدكتور (حجازى) :

- يا إلهى !.. إنها فى الخامسة من عمرها على الأكثر .

صرخت (مشيرة) :

- افعل شيئاً يا دكتور (حاتم) .. لا تتركها هكذا .. افعل شيئاً لتوقف هذا الهبوط المستمر .

هزّ الرجل رأسه فى يأس ، وقال :

- ليتنى أفعل .. ليتنى أجد الوسيلة لإقناع جسدها بالتوقف عن النمو .

هتف (رمزى) فجأة :

- إقناع ماذا ؟!

ثم تشبث بالدكتور (حاتم) ، مستطردًا :

- أشكرك يا سيدى .. أشكرك كثيرًا .

هتفت (سلوى) فى قلق :

- ماذا حدث يا (رمزى) ؟!

وسأله الدكتور (حجازى) :

- ماذا هناك يا ولدى ؟

ولكن (رمزى) تابع وكأنه لم يسمعهما :

- لقد أرشدتنى إلى الحل يا دكتور (حاتم) .. أرشدتنى إلى الحل الصحيح .

تمتم الرجل فى دهشة بالغة :

- حل ماذا ؟

أجابه (رمزى) :

- حل المشكلة .. لقد وجدت الوسيلة المثلى ، للحصول على تلك الرسالة من عقل (نشوى) ..

قالها وعيناه تحملان بريقًا عجيبًا ..

بريق الحماس ..

والفوز .

★ ★ ★

٢ ـ الرسالة ..

التقى حاجبا طبيب المستشفى المركزى فى شدة ، وهو يهتف فى استنكار :

- ماذا تفعل بالضبط ؟!.. هل أصابك الجنون ؟!

أجابه (نور) فى حزم :

- ربما .. ولكننى سأغادر هذا المستشفى على الفور ، ودون إبطاء .

صاح الطبيب :

- ولكن هذا أمر بالغ الخطورة .. هل تدرك ما يمكن أن يصيبك ، إذا ما غادرت المستشفى ، قبل أن تتماثل للشفاء ؟

قال (نور) فى حدة :

- كلا .. ولكننى أدرك تمامًا أن حياة ابنتى فى خطر بالغ ، وأنها تحتاج بشدة إلى تواجدى إلى جوارها .. هذا كل ما أدركه فى الوقت الحالى .

أجابه الطبيب فى غضب :

- دع غيرك يهتمّ بحياة ابنتك ، واهتم أنت بحياتك .

ربت (محمود) على كتف الطبيب ، وهو يقول :

- لا ترهق نفسك يا رجل .. لقد حاولت كثيرًا من قبلك .. وفشلت .

اتجه (نور) نحو الباب ، وهو يلقى بطاقة القيادة المغناطيسية إلى (محمود) ، قائلاً :

ـ خذ .. ستقود أنت .

أجابه (محمود) ، وهو يعيد إليه البطاقة :

ـ لن نحتاج إلى استخدام السيارة ، فقسم أبحاث النمو فى المبنى المجاور .

قال (نور) :

ـ هيا بنا إذن .

صاح الطبيب خلفهما :

ـ سأضطر إلى إبلاغ الشرطة ، ولتعلم أن مغادرة المستشفى دون إذن جريمة ، تستوجب العقاب ، والـ ...

ولكن (نور) صفق الباب خلفهما فى قوة ، دون أن يبالى بما سيحدث ..

لم يعد يهمه ، فى حياته كلها سوى ابنته ..

فقط ابنته ..

★ ★ ★

جلست (نشوى) صامتة مستسلمة ، أمام (رمزى) ، وهى تقول فى إحباط :

ـ لن تنجح هذه المحاولة .

قال فى حزم :

ـ دعى لى هذه المشكلة ، واستسلمى للنوم فحسب .

استرخت فى مقعدها ، أو هى حاولت هذا ، وهى تتمتم :

ـ أنا رهن إشارتك .

تطلع (رمزى) إلى عينيها مباشرة ، وهو يقول :

ـ هل ترين عينىّ ؟!.. إنهما تتسعان .. وتتسعان .

غمغمت :

ـ لست أشعر بهذا .

بدا لها صوته عميقًا ، رصينًا ، أخاذًا ، وهو يقول :

ـ بل تشعرين به ، ولكنك تقاومينه .. هيا .. انظرى جيداً .

لم تنبس ببنت شفة هذه المرة ، وإن بدت لها عيناه وكأنهما تتسعان بالفعل ..

وتتسعان .. وتتسعان ..

وبصوت بدا وكأنه يأتى من أعماق سحيقة ، قال لها (رمزى) :

ـ أنت الآن مسترخية تمامًا ، وتشعرين بهدوء نفسى تام .

تمتمت مأخوذة :

ـ هذا صحيح .



وبصوت بدا وكأنه يأتى من أعماق سحيقة ، قال لها (رمزى) أنت الآن مسترخية تمامًا ، وتشعرين بهدوء نفسى تام ..

قال بصوته العميق :

ـ ارجعى بذاكرتك إلى الوراء فى هدوء .. إلى خمس سنوات مضت .

أمسكت (سلوى) يد الدكتور (حجازى) بقوة ، عند هذه النقطة ، وتمتمت فى توتر شديد :

ـ هذا ما كنت أخشاه . .

ربَت الدكتور (حجازى) على يدها ، وقال فى همس حنون :

ـ اطمئنى .. (رمزى) خبير بردود الأفعال النفسية ، ومن المؤكد أنه يسير على نهج مدروس .

لم يسمعهما (رمزى) ، الذى ركّز انتباهه كله على (نشوى) ، التى أجابته ، وجفناها يتثاقلان :

ـ لقد عدت بذاكرتى إلى خمس سنوات مضت .

سرت قشعريرة باردة فى جسد (سلوى) ، وهى تنتظر الخطوة التالية ، ولكن (رمزى) تابع بصوت أكثر عمقًا :

ـ والآن انظرى إلىّ جيدًا ، وأخبرينى .. ماذا ترين ؟

أجابته بصوت خافت مستسلم :

ـ أرى (رمزى) ، خبير الطب النفسى ، وعضو فريق والدى للمخابرات العلمية .

قال (رمزى) فى هدوء وعمق :

ـ خطأ .

انعقد حاجبا الدكتور (حاتم) ، وهو يهمس فى عصبية :

ـ ماذا يفعل بالضبط ؟

ضغط الدكتور (حجازى) يده فى رفق ، مغمغمًا :

ـ انتظر ، وسترى .

فى نفس اللحظة كان (رمزى) يقول لـ (نشوى) ، التى خضعت تمامًا لتأثير التنويم المغناطيسى :

ـ انظرى جيدًا ، وسترين أننى لست (رمزى) .. إننى أحمل وجهًا أخضر ، ورأسًا أصلع ، وجسدى كله مغطى بحراشيف لامعة .. انظرى إلى عينىّ جيدًا .. إنهما لامعتان مضيئتان .. هل عرفت الآن من أنا ؟

صمتت لحظة ، قبل أن تقول فى خضوع :

ـ نعم .. أنت أحد السادة .. سادة الأعماق .(*)

ارتجف جسد (سلوى) فى قوة ، فى حين هتف الدكتور (حاتم) فى انفعال هامس :

ـ عبقرى .. هذا الشاب عبقرى .. لقد أقنعها بأنه أحد الذين غرسوا الرسالة في عقلها ..
أراهنك أنها ستدلى الآن بكل ما لديها .

(*) راجع قصة (سادة الأعماق) .. المغامرة رقم (٦٢) .

لم يعلق الدكتور (حجازى) على عبارته ، فقد بدا مأخوذًا ، مشدوهًا ، يتطلع بكيانه كله إلى (نشوى) ، وإلى (رمزى) ، الذى يقول بصوته المهيب :

ـ لقد غرست فى عقلك رسالة خاصة ، عندما كنت تحت سيطرتى .. هل تذكرينها ؟

أجابته فى خفوت :

ـ نعم .. أذكرها جيدًا .

ازدرد لعابه ، فى محاولة للسيطرة على انفعاله ، وهو يقول :

ـ أعيديها على مسامعى إذن .

صمتت طويلاً هذه المرة ، حتى أنه شعر بتوتر بالغ ، أزالته هى بقولها :

ـ (أغادير) .

وصمتت لحظة أخرى ، ثم تابعت ..

.. (أغادير) .. الساحل الغربى .. عشرة .. ثلاثون .. مائة .. خط الدفاع الثانى ..

راحت تردد هذه العبارة مرات عديدة ، والجميع يتطلعون إليها فى دهشة ، قبل أن تغمغم (سلوى) :

ـ ما الذى يعنيه هذا ؟

أتاها صوت من خلفها ، يقول فى حزم :
- يعنى أنك حصلت على درجات ضعيفة ، فى دروس الجغرافيا يا عزيزتى .
التفتت إليه (سلوى) ، هاتفة :
- (نور) !.. يا إلهى !.. لماذا غادرت فراش المرض ؟
تجاهل (نور) هذا السؤال ، وهو يخطو مع (محمود) إلى داخل الحجرة ، قائلاً :
- (أغادير) مدينة من مدن المملكة المغربية ، والرقمان عشرة وثلاثون ، هما إحداثيات خطى الطول والعرض .
اهتم (رمزى) بإيقاظ (نشوى) ، فى حين قال الدكتور (حجازى) فى اهتمام شديد :
- وماذا عن الرقم مائة ؟
أجابه (نور) :
- ربما يعنى بعد تلك الإحداثيات عن الساحل الغربى لمدينة (أغادير) .. مائة متر مثلاً .. وهناك ، فى قاع المحيط ، فى تلك النقطة بالضبط ، سنجد خط الدفاع الثانى لسادة الأعماق .
استيقظت (نشوى) فى تلك اللحظة ، وتحررت من

سيطرة التنويم المغناطيسى ، فهتفت وهى تندفع نحو (نور) :
- أبى .. لماذا أتيت ؟
احتواها (نور) بين ذراعيه فى حنان جارف ، وهو يقول :
- لم أكن لأتخلى عنك أبدًا يا (نشوى) ، حتى ولو كانت حياتى هى الثمن .
هتفت (سلوى) :
- (نور) .. إنك لن تغادر المستشفى .
أجابها فى حزم :
- بل سأفعل يا (سلوى) .. سأفعل من أجل (نشوى) .
انهمرت الدموع من عينى (نشوى) فى حرارة ، وهى تهتف :
- لا يا أبى .. أرجوك .. أتوسل إليك .. لا تفعل هذا .. لا تفعله أبدًا من أجلى .. دعنى أموت مرتاحة الضمير .
هتف (نور) :
- لا يا (نشوى) .. المفروض أن أفعل كل ما يمكننى من أجلك .
صرخت :
- أرجوك يا أبى .. أرجوك .

وفى ذهول ، اتسعت عيون الجميع ..

لقد انتفضَ جسدها بغتة ، ثم تضاءل بضع سنتيمترات دون مقدمات ..

لقد انخفض عمرها عاما كاملاً بضربة واحدة ..

وكانت ظاهرة مدهشة ..

بل مذهلة ، عقدت ألسنة الجميع ، فيما عدا الدكتور (حاتم) ، الذى هتف :

ـ عِدْ ابنتك بأنك لن تذهب أيها الرائد .. هيا .. لا تدعها تحزن أبدًا .

ولم يدرك الجميع ما يعنيه ..

فيما عدا (نور) ..

عقله وحده أدرك الموقف ، فهتف بسرعة :

ـ حسن .. لن أذهب .. أعدك بهذا .

تنهدت (نشوى) فى ارتياح ، واحتضنته بقوة بذراعيها الصغيرين ، وهى تقول :

ـ حمدًا لله .. حمدًا لله .

تطلع الجميع إلى الدكتور (حاتم) فى تساؤل ، فقلب كفيه ، قائلاً :

ـ لست أدرى ما تفسير هذا علميًا .. ولكن الحزن يعجِّل بانخفاض عمرها .

قال الدكتور (حجازى) فى دهشة :

ـ كيف ؟

هزَّ الدكتور (حاتم) رأسه ، وأجاب :

ـ لا أحد يدرى .. إننا نتعامل مع مادة مجهولة .. لا تنس هذا قط .

بدا مزيج من الحيرة والتوتر على وجه (نور) ، فأسرع (رمزى) يقول :

ـ اطمئن يا (نور) .. ابق أنت و (سلوى) مع ابنتكما فى محنتها ، وسنرحل أنا و (محمود) للبحث عن خط الدفاع الثانى هذا ، وأعدك أننا سنبذل قصارى جهدنا .

هتف الدكتور (حجازى) فى حماس :

ـ سأذهب معكما .

تمتم (نور) فى تردد :

ـ ولكن .

قاطعه (رمزى) فى حزم :

ـ ابق يا (نور) .. ابق وسندير هذه المغامرة بدونك .. ولكن اطمئن .. سنعود ظافرين بإذن الله .

بدا توتر شديد على وجه (نور) ، فى حين قال الدكتور (حاتم) فى حزم :

- المهم أن تعودوا فى الوقت المناسب ..

ثم اتجه فى حزم إلى جهاز الكمبيوتر الخاص به ، وضغط أزراره ، وقال وهو يشير إلى الأرقام ، التى تراصت فى وضوح ، على شاشته الفيروزية :

- لقد قضيت ليلة أمس فى دراسة تأثير تلك المادة العجيبة على جسد (نشوى) ، وغذيت الكمبيوتر بكل المعلومات والتطورات ، ثم ألقيت عليه فى النهاية سؤالاً واحدًا ..

وصمت لحظة ، أدار عينيه خلالها فى عيون الجميع ، ثم تابع فى حسم :

- كم تبقّى أمام (نشوى) ، قبل أن تتلاشى تمامًا من عالمنا ؟

ارتجفت (سلوى) فى ارتياع ، وضمّ (نور) ابنته إلى صدره أكثر ، فى حين سأله الدكتور (حجازى) هامسًا :

- وبم أجاب ؟

ضغط الدكتور (حاتم) زرًا من أزرار الكمبيوتر ، فظهرت الإجابة واضحة مخيفة ، على شاشته الصغيرة ..

لقد بقيت عشرون ساعة فحسب ..

عشرون ساعة على نقطة الصفر ..

وعلى النهاية .

* * *

٣ ـ أعماق الخطر ..

لاذ (رمزى) بالصمت التام ، فلم ينبس ببنت شفة ، وهو يستند إلى حاجز سفينة الصيد الحديثة ، ويتطلّع إلى الأفق ، وعقله لا يحمل سوى فكرة واحدة ..

الأمل ..

أمل (نشوى) الأخير ..

هاهوذا المحيط الأطلنطى يمتدّ أمامه ، إلى ما لا نهاية ، على بعد أمتار من ساحل (أغادير) المغربية ..

ولكن ماذا ينتظره فى الأعماق ؟..

أى خط دفاعى هذا ، الذى أقامه سادة الأعماق ، قبل رحيلهم ؟..

انتزعه (محمود) من شروده وأفكاره ، وهو يقول :

- لقد وصلنا .

اعتدل (رمزى) فى حدة ، وحدّق لحظة فى وجه (محمود) ، وهو يتمتم :

- وصلنا .

لم يدر لماذا سرت فى جسده قشعريرة باردة ، عندما أخبره (محمود) أن النقطة التى سعوا خلفها ، تحتهم مباشرة ، فى هذه اللحظة ..

النقطة التى تخفى سر سادة الأعماق ..

وأمل (نشوى) فى البقاء ..

ومن خلف كتفى (محمود) ، رأى (رمزى) قبطان السفينة يأمر رجاله بالتوقف ، وأحدهم يلقى المرساة ، فنفض عن نفسه توتره ، وقال :

ـ هيا بنا نستعد .

لم تمض دقائق معدودة ، حتى كان هو و (محمود) يرتديان ثياب الغوص ، وكل منهما يضع على كتفيه أسطوانة الأكسجين المضغوط ، والقبطان يقول لهما فى حزم :

ـ ما لديكما من هواء يكفى ساعتين فحسب من الغوص ، فاحرصا على العودة فى الوقت المناسب ، واحذرا من الابتعاد عن المكان كثيرًا .

أومأ كل منهما برأسه إيجابًا ، فى حين ربّت الدكتور (حجازى) على كتف (رمزى) ، وقال :

ـ كنت أتمنى أن أصحبكما يا ولدى ، ولكن ..

قاطعه (رمزى) :

ـ ربما كان تواجدك على السطح أفضل يا سيدى .

تمتم الدكتور (حجازى) :

ـ نعم .. ربما .

تبادل الجميع نظرات صامتة ، ثم اتجه (رمزى)

و (محمود) إلى حاجز السفينة ، وغمغم (محمود) فى رهبة :

ـ على بركة الله :

ووثب الاثنان إلى المحيط ..

ومع ارتطام جسديهما بالماء ، انتفض جسد الدكتور (حجازى) فى عنف ، فابتسم قبطان السفينة ، وقال وهو يشعل غليونه :

ـ هل تشعر بالخوف عليهما ؟.

غمغم الدكتور (حجازى) :

ـ بالتأكيد .

نفث القبطان دخان غليونه فى عمق ، وقال :

ـ لست أتفق معك فى هذا الشعور يا سيدى ، فقفزتهما إلى الماء تعنى أنها ليست أول مرة يغوصان فيها ، وعمق المياه لا يتجاوز عشرين مترًا .

تنهد الدكتور (حجازى) ، وقال :

ـ ليس هذا ما يقلقنى .

سأله القبطان فى دهشة :

ـ ماذا إذن ؟

لم يستطع الدكتور (حجازى) إجابة هذا السؤال .. ربما لأنه هو نفسه يجهل الجواب ..

إنه لا يدرك ماذا سيواجهان فى الأعماق ، ولكنه يشعر أن المواجهة لن تكون أبدًا عادية أو بسيطة ..

ستكون رهيبة ..

رهيبة بحق ..

★ ★ ★

على الرغم من أن خوذتى الغوص ، اللتين يرتديهما (رمزى) و (محمود) ، كانتا مزودتين بجهاز اتصال دقيق ، إلا أن أحدهما لم يتبادل كلمة واحدة مع الآخر ، وهما يغوصان فى الأعماق ، حتى بلغا القاع ، الذى بدا على ضوء مصباحيهما عاديًا بسيطًا ، تخفيه الشعاب المرجانية ، والصخور ، وتسبح حوله أسماك عديدة ، من مختلف الأنواع ..

وفى حيرة راح كل منهما يدير عينيه فيما حوله ، حتى تمتم (محمود) :

ـ لست أجد شيئًا !

أجابه (رمزى) فى توتر :

ـ ولكن هناك شىء ما حتمًا .. لقد حددت (نشوى) الموقع بمنتهى الدقة .

قال (محمود) :

ـ أين هو إذن ؟

أدار (رمزى) عينيه حوله مرة أخرى ، قبل أن يقول فى عصبية :

ـ لست أدرى .

عاد الصمت يغلفهما مرة أخرى ، وهما يسبحان فى بطء حول المكان ، وضوء المصباحين يجوس القاع ، ثم هتف (محمود) فجأة :

ـ هاهوذا .

خفق قلب (رمزى) فى شدة ، وهو يلتفت فى لهفة إلى حيث يشير (محمود) ، ورأى ذلك الكهف البحرى ، الذى يكاد مدخله يختفى ، خلف شعاب مرجانية كثيفة ، تحجبه من هذا الجانب عن عيونهما ، ورأى (محمود) يتجاوز تلك الشعاب المرجانية ، ويتجه مباشرة نحو مدخل الكهف ، فقال فى توتر ، عبر جهاز الاتصال :

ـ احترس يا (محمود) .. إننا لا ندرك ما ينتظرنا هناك .

توقف (محمود) دفعة واحدة ، وتمتم :

ـ أنت على حق .

لحق به (رمزى) ، عند مدخل الكهف ، وحاول إضاءة المكان بمصباحه ، وهو يقول :

ـ إنه يبدو أشبه بفجوة عميقة ، فدرجة ميله تتجاوز الستين درجة .



لحق به (رمزى) ، عند مدخل الكهف ، وحاول إضاءة المكان بمصباحه ..

رفع (محمود) حاجبيه ، وقال :

ـ يبدو لى مكانًا مثاليًا ، لإخفاء سر رهيب .

اقترب مع قوله من الكهف أكثر وأكثر ، ومدّ يده بالمصباح ، ليضيئه من الداخل ، وهو يستطرد :

ـ ولكن كم يبلغ عمقه ؟

أجابه (رمزى) :

ـ لست أدرى ، فضوء المصباح لا يبلغ نهايته .

قال (محمود) فى اهتمام :

ـ أعتقد أننى أرى القاع ، ولكنه يقترب ، أو ...

بتر عبارته بغتة ، وراح يتطلّع إلى قاع الكهف فى اهتمام بالغ ، فسأله (رمزى) ، وهو يقترب منه :

ـ ماذا تعنى بأن القاع يقترب ؟

أجابه (محمود) فى توتر :

ـ هناك شىء ما يتحرّك فى الداخل .

شعر (رمزى) بمزيد من القلق ، وهو يسأله :

ـ شىء ؟!.. شىء مثل ماذا ؟!

بدا له لحظة أن (محمود) سيجيب تساؤله ، إلا أنه فوجئ به يتراجع فى حركة حادة ، فهتف :

ـ (محمود) .. ماذا هناك ؟

وفجأة ، وثب شىء ما من الكهف ، والتف حول ذراع (محمود) ، الذى صرخ :

ـ النجدة يا (رمزى) ..

نطقها قبل أن يجذبه ذلك الشىء فى عنف ، فيختفى جسده داخل الفجوة ، وصاح (رمزى) فى ارتياع :

ـ (محمود) .. أين أنت ؟!

أتاه الجواب عبر جهاز الاتصال ، على شكل طرقات عنيفة ، وصرخات مكتومة ، قبل أن يتوقف البث ، ويصمت الصوت تمامًا ..

وبكل الذعر الكامن فى أعماقه ، صرخ (رمزى) :

ـ (محمود) .. أين ذهبت ؟.. أين أنت ؟

ولكنه لم يتلقَ جوابًا قط ..

★ ★ ★

نفث قبطان السفينة المغربى دخان غليونه فى بطء ، وتطلع لحظة فى صمت ، إلى الدكتور (حجازى) ، الذى استند إلى حاجز السفينة ، ووقف يتطلع إلى المحيط فى قلق شديد ، ثم اقترب منه ، وسأله فى خفوت :

ـ أمازلت تشعر بالقلق ؟

أجابه الدكتور (حجازى) فى اقتضاب :

ـ نعم .

نفث القبطان دخان غليونه مرة أخرى ، ثم سأله بغتة :

ـ قل لى : من أنتم بالضبط ؟

أجابه الدكتور (حجازى) :

ـ لقد أخبرتك من قبل .. إننا بعثة علمية ، و ...

قاطعه القبطان فى حدة :

ـ لا تحاول خداعى .

اعتدل الدكتور (حجازى) ، وتطلع إليه فى دهشة ، وهو يقول :

ـ خداعك ؟!.. ولماذا أخدعك ؟

أجابه فى عصبية :

ـ اسمع يا هذا .. لقد رافقت عشرات البعثات العلمية من قبل ، ولكنها أول مرة أرى فيها بعثة علمية ، تختار خطى طول وعرض محددين ، ويحمل رجالها مسدسات الليزر ، وهم يغوصون فى الأعماق .

حاول الدكتور (حجازى) أن يخفى انفعاله ، وهو يقول :

ـ اختيارنا للمكان جاء بمحض الصدفة ، و ...

قاطعه القبطان فى سخرية حادة :

ـ محض الصدفة ؟!.. يا له من قول ساذج ، لا يصلح

لخداع طفل صغير !.. وهل جاءت الصدفة قوية ، إلى حد اختياركم للبقعة التى ثارت حولها الأقاويل ، منذ عدة سنوات ؟!.

انعقد حاجبا الدكتور (حجازى) فى شدة ، وهو يقول :

- أقاويل ؟!.. أية أقاويل ؟!

رمقه القبطان بنظرة شك ، وهو يقول :

- أتتظاهر بأنك لا تعلم شيئًا عن تلك الأقاويل ؟

صاح الدكتور (حجازى) فى وجهه بحدة :

- لا تواصل هذا العبث السخيف يا رجل ، وأخبرنى .. أية أقاويل تلك التى تتردد ، حول هذه البقعة ؟!

صمت القبطان لحظات ، وهو يحدجه بنظرة شك ، ثم عاد يشعل غليونه ، وينفث دخانه فى بطء ، قبل أن يقول فى توتر :

- المفروض أن هذا الأمر سرىّ إلى حد ما .

سأله الدكتور (حجازى) :

- أهو خطير إلى هذا الحد ؟

صمت القبطان لحظة أخرى ، قبل أن يهز كتفيه ، قائلاً :

- لا .. لست أعتقد هذا .

ثم تطلّع إلى الأفق دقيقة ، قبل أن يقول :

- أظنه أمرًا يعنى علماء الأحياء بالدرجة الأولى ، فهو مجرّد سلوك عدوانى عجيب ، انتاب المخلوقات البحرية ، فى تلك البقعة بالذات .

ردّد الدكتور (حجازى) ، فى شىء من الخوف :

- سلوك عدوانى؟!.. ما الذى تقصده بسلوك عدوانى ؟!

تردّد القبطان لحظة ، ثم أجاب :

- مجرّد تصرفات عدوانية .. أسماك تهاجم السباحين دون مبرّر .. أنواع من الأسماك المسالمة تتوحّش فجأة .. أشياء من هذا القبيل ..

اتسعت عينا الدكتور (حجازى) فى هلع ، وهو يهتف :

- وتخبرنى بهذا الآن فقط .

ثم عاد يتطلّع إلى مياه المحيط فى ارتياع ، مستطردًا :

- ربّاه !.. هذا يعنى أن (رمزى) و (محمود) سيواجهان فى الأعماق خطرًا حقيقيًا .

وخفق قلبه فى عنف ..

* * *

اتسعت عينا (رمزى) فى ذعر وذهول ، عندما رأى (محمود) يختفى أمامه ، داخل الكهف البحرى ، فاندفع إليه صارخًا :

- (محمود) .. أين أنت ؟

أضاء مصباحه الكهف ، ورأى قدمى (محمود) ، تندفعان عبر ممر جانبى ، وتختفيان فيه ، فاقتحم الكهف بلا تردد ، وغاص خلف صديق عمره ، وراح يسبح بكل قوته وسرعته ، محاولاً الوصول إليه ، وهو يلمح ظلّ ذلك الشيء الهلامى ، الذى يجذب (محمود) إلى أسفل ، بلا رحمة أو هوادة ..

ومرة أخرى صرخ (رمزى) :

- (محمود) .. أين أنت ؟

سمع خبطات وشوشرة ، فى جهاز الاتصال ، قبل أن يأتيه صوت (محمود) ، هاتفًا :

- النجدة يا (رمزى) .. إنه أخطبوط كبير .

هتف (رمزى) :

- أخطبوط ؟! .. ولكن هذه الحيوانات البحرية لا تتميز عادة بالعدوانية أو الشراسة ، وفى النادر أن تهاجم البشر(*) .

(*) حقيقة علمية .

صاح (محمود) :

- ولكنها فعلت .. هيا .. افعل أنت شيئًا أيضًا .. لا تتركنى هكذا .

هتف (رمزى) فى توتر :

- أطلق عليه أشعة مسدسك الليزرى يا رجل .. هيا .. لا تتردد .

صاح (محمود) فى عصبية :

- إننى أحاول الوصول إلى المسدس ، ولكنه يجذبنى من معصمى الأيمن ، ومن العسير فى هذا الوضع أن ألتقط المسدس بيسراى .

صرخ (رمزى) بكل قوته :

- حاول يا (محمود) .. حاول .

بذل (محمود) قصارى جهده ، ليدور بيسراه حول جسده ، ويلتقط المسدس ، وشعر بآلام فى عضلات كتفه ، ولكنه هتف :

- ساعدنى يا إلهى !

لم يكد ينطقها ، حتى خُيّل إليه أن يده قد استطالت بغتة ، والتقطت أصابعه مقبض مسدسه ، فانتزعه من غمده بحركة سريعة ، وصوّبه إلى الأخطبوط ، صارخًا :

- نجحت يا (رمزى) .. نجحت .

ثم أطلق أشعة الليزر نحو الأخطبوط ..

وانتفض جسد الأخطبوط فى عنف ، ثم توقف بغتة ، فأطلق عليه (محمود) أشعة مسدسه مرة أخرى ، وهو يهتف :

ـ هيا .. ابتعد أيها الأخطبوط السخيف .

تلقى الأخطبوط الضربة الثانية ، وانتفض مرة أخرى ، ثم أفلت ذراع (محمود) ، واندفع يغوص فى الأعماق ، مطلقًا خلفه سحابة كثيفة من الحبر ، فهتف (رمزى) :

ـ هل تخلصت منه ؟

أجابه (محمود) :

ـ نعم .. ولكننى لم أعد أرى شيئًا ..

قال (رمزى) فى ارتياح :

ـ تحسس الجدار واصعد يا فتى .. حمدًا لله على سلامتك .

راحا يسبحان صاعدين ، و (محمود) يقول :

ـ يا إلهى !.. لم أتصور أبدًا أننى سأفلت منه ، أو ...

انقطع صوته فجأة ، فتوقف (رمزى) ، هاتفًا :

ـ (محمود) .. أين أنت ؟..

لم يتلق جوابًا ، فى هذه المرة أيضًا ، فهتف :

ـ (محمود) !.. ماذا حدث هذه المرة ؟!

شعر فجأة بأصابع قوية تحيط بقدمه ، فصرخ :

ـ (محمود) ..

تشبثت الأصابع أكثر وأكثر بقدمه ، وأصبح من الواضح أنها لن تتركه ..

لن تتركه أبدًا .

* * *

٤ ـ الضياع ..

راح قلب (سلوى) يدق فى قوة ، وهى تتطلع فى هلع إلى ابنتها ، قبل أن تهتف فى ارتياع وذعر شديدين :

ـ (نور) .. افعل شيئًا .. عمر (نشوى) ينخفض بسرعة أكبر .. إنها تبدو لى كما لو أنها لا تتجاوز السنوات الثلاث الآن .

انفطر قلب (نور) ، وعجز لسانه المغموس فى المرارة عن النطق ، فى حين تمتمت (نشوى) فى صعوبة :

ـ أمى .. أبى .. لا .. لا تبك .

كانت تجد صعوبة حقيقية فى التحدّث ، وتذكّر الكلمات والعبارات ، كما لو أنها بالفعل مجرّد طفلة صغيرة ، لا تتجاوز الثالثة من العمر ، وقال الدكتور (حاتم) فى أسى :

ـ رباه !.. معدل الانخفاض يتزايد ، كلما مرّ الوقت .. ستتلاشى تمامًا بعد عشر ساعات على الأكثر .

ترقرقت عينا (نور) بالدموع ، وهو يقول :

ـ وماذا يمكننا أن نفعل ؟

اندفعت (مشيرة) فجأة داخل المكان ، وهى تلهث فى شدة ، وتقول فى انفعال :

ـ لدى حل لهذا .

التفت إليها الجميع فى لهفة ، وسألها (نور) بصوت مختنق :

ـ ماذا لديك ؟

ظلّت تلهث لحظات ، عاجزة عن الكلام ، ثم لوّحت بسبّابتها ، قائلة :

ـ برنامج رحلات الفضاء الطويلة .

سألتها (سلوى) فى حيرة وتوتر :

ـ ماذا تعنين ؟!

أجابتها لاهثة :

ـ سنجمدها .

برقت عينا (نور) فى شدة ، فى حين هتفت (سلوى) :

ـ نجمدها ؟!.. نجمد ابنتى ؟!

وصاح الدكتور (حاتم) :

ـ رائع .. فكرة عبقرية يا سيدتى .. نعم .. هذا هو الحل الوحيد لإيقاف تلك التغيرات العجيبة ، التى تتراجع بعمرها ضد الزمن .. هذا صحيح .

صاحت (سلوى) :

ـ ماذا تقولون ؟

ضمها (نور) إليه فى إشفاق ، وقال :

ـ ألا تذكرين تلك التجارب ، التى أجروها فى فترة ما قبل الاحتلال ، حول تجميد أجساد رواد الفضاء ، ووضعها فى حالة اصطناعية من توقّف النمو ونشاط

الجسد ، بحيث يمكنهم القيام برحلات فضائية بالغة الطول ، قد تبلغ ألف عام فى المتوسط ، دون أن يزداد عمرهم يومًا واحدًا ، ثم يتم إيقاظهم بوساطة ميقات خاص ، عندما يصلون إلى هدفهم .

شحب وجه (سلوى) ، وهى تقول :

ـ وهل ستفعلون هذا مع ابنتى ؟

أومأ (نور) برأسه إيجابًا ، وقال فى مرارة :

ـ إنه الحل الوحيد يا (سلوى) .

ارتجفت شفتاها لحظات ، وزاغت عيناها ، ثم انفجرت فجأة باكية ، وقال (نور) فى حنان :

ـ صدقيني يا (سلوى) .. إنه أفضل الحلول المطروحة الآن ..

قالت (نشوى) فى صعوبة :

ـ أوافق .. أنا .. أوافق .

ضمها والدها إلى صدره فى حنان مشفق ، وهو يقول :

ـ مسكينة أنت يا بنيتى .

هتفت (مشيرة) :

ـ لا وقت لهذه العواطف .. إننا نخسر بضعة أيام من عمرها ، مع كل لحظة نفقدها .. فلنسرع إلى مركز أبحاث

الفضاء .. لقد أجريت اتصالاتى ، وهم ينتظروننا هناك ، مع الدكتور (ناظم) .

قالت (سلوى) فى تأثر :

ـ (مشيرة) .. لست أدرى كيف ..

صاحت بها (مشيرة) :

ـ هيا يا (سلوى) .. لا وقت لهذا .. هيا يا (نور) .. إننا فى سباق مع الزمن .

وكانت على حق ..

إنهم فى صراع مع الزمن ..

صراع مميت ..

* * *

امتلأت نفس (رمزى) بالذعر ، وراح يصعد إلى أعلى فى سرعة ، ويضرب بقدمه اليمنى تلك اليد ، التى تقبض على كاحله الأيسر ، حتى أتاه صوت (محمود) ، عبر جهاز الاتصال ، وهو يهتف :

ـ كفى يا (رمزى) .. كفى .. إنك تضربنى أنا .

توقف (رمزى) فى دهشة بالغة ، وهتف :

ـ (محمود) ؟!.. أهو أنت ؟!.. لماذا لم تخبرنى منذ البداية ؟.. ولماذا أمسكت قدمى بغتة هكذا ؟!

أجابه (محمود) :

ـ لم أكن أرى شيئًا ، وعثرت على قدمك ، فأمسكت بها ، لتقودنى إلى الخارج ، وأنا أهتف معلنًا شخصيتى منذ البداية ، ولكن يبدو أنك لم تسمعنى .

قال (رمزى) فى حيرة :

ـ إننى لم أسمعك بالفعل ، و ...

بتر عبارته بغتة ، فسأله (محمود) ، وقد بدأ ذلك الحبر الداكن ، الذى خلفه الأخطبوط يتلاشى ، ويمتزج بالماء :

ـ ماذا حدث ؟

هتف به (رمزى) :

ـ (محمود) .. لقد تكرر هذا الأمر مرتين .. فى هبوطنا وصعودنا ، وانقطع اتصال بعضنا بالبعض ، فى نقطة بعينها .

صاح (محمود) :

ـ هذا صحيح .. هل يرشدك ذلك إلى شىء ما ؟

أجابه (رمزى) بلهفة :

ـ بالتأكيد .. هناك شىء ما ، يعوق إشارات الاتصال ، فى تلك النقطة .

صمت كلاهما لحظة ، انتابهما خلالها شعور بالرهبة ، ثم قال (محمود) :

ـ حسن .. دعنا نعد إلى هناك .

أجابه (رمزى) :

ـ فليكن .. ولكننا سنتبادل الإشارات فحسب ، عندما ينقطع الاتصال .

عادا يهبطان فى بطء ، وهما يتبادلان الحديث ، حتى انقطع الاتصال بينهما ، فأشار (محمود) إلى (رمزى) ، وراح كل منهما يضىء جدران الكهف بمصباحه ، بحثًا عن شىء ما .

وفجأة ، سرت فى جسديهما قشعريرة باردة ، فى لحظة واحدة ..

لقد رأيا ذلك المدخل الخفى ..

رأياه ، على الرغم من أنه يشبه إلى حد كبير جدران الكهف ..

ولكن ضوء المصباح كشف أمره ..

لقد انعكس على أطرافه بأكثر مما انعكس على جوانب الكهف الأخرى ..

فى انفعال واضح ، أشار (رمزى) إلى (محمود) ، ثم أخرج من جيبه جهازًا للعرض الهولوجرافى ، راح الاثنان يثبتانه أمام المدخل السرى ، ثم ضغط (رمزى) أحد أزراره ، وتراجع فى خفة ..

وبهدوء عجيب ، تكوّنت أمام المدخل السرى صورة هولوجرافية مجسّمة لـ (نشوى) ، وانبعث صوتها عبر مكبّر صوتى خاص ، يعمل تحت سطح الماء ، وقالت :

ـ أنا هنا لخط الدفاع الثانى .

تعلّق بصر (رمزى) و (محمود) بالباب ، بعد تلك العبارة ، وتطلّعا إليه فى لهفة وترقّب ..

كانت خطتهما تعتمد على خداع أجهزة المراقبة والحراسة للمدخل السرى ، بحيث يبدو لها وكأن (نشوى) بنفسها هى التى تطالب بفتح الباب ..

ولم يكن من الممكن التنبوء بالنتائج ..

قد تُخدع الأجهزة بالفعل ، وتستجيب لصورة (نشوى) الهولوجرافية ، وصوتها المسجّل ..

أو ترفض الاستجابة ..

وفى الحالة الثانية ، يعلم الله (سبحانه وتعالى) وحده ، ما قد يترتّب على هذا ..

هل يعمل جهاز دفاعى على تدميرهما ؟..

أم ينهار كل شىء ؟..

دارت عشرات الأسئلة فى رأسيهما ، خلال اللحظات القصار ، التى انقضت بعد أن انتهى جهاز العرض الهولوجرافى من عمله ..

ثم جاءت الأجوبة ..

وفى بطء شديد ، انزاح المدخل السرى جانبًا ، كاشفًا فجوة واسعة ، تتسع لهما معًا ..

وتردّد الاثنان لحظة ، ثم أشار (رمزى) إلى (محمود) ، وسبح الاثنان إلى الفجوة فى بطء ، وخفق قلباهما فى قوة ، عندما رأياها تُغلق خلفهما ، ثم يغرقان فى ظلام دامس رهيب ..

وفجأة ، اشتعلت الأضواء ..

أضواء وردية باهتة ، أضاءت تلك الفجوة الواسعة ، من مصادر مجهولة ، وارتفع صوت عجيب ، يتحدّث العربية ، وهو يقول :

ـ استعد أيها الوسيط البشرى لمعادلة الضغط .

ومع نهاية العبارة ، راحت المياه تنساب فى سرعة خارج الفجوة ، حتى شعر (رمزى) و (محمود) بأقدامهما تستقر على الأرض ، وأشار (محمود) بيده فى انفعال ، محاولاً الإشارة إلى أن المكان قد خلا تمامًا من المياه ، فلوّح له (رمزى) بيده علامة الفهم ، فى حين ارتفع ذلك الصوت العجيب مرة أخرى ، يقول :

ـ تمت معادلة الضغط ، والهواء صالح للتنفس .

أشار (رمزى) إلى (محمود) ، وخلع الاثنان

خونتيهما فى حذر ، ثم هتف (محمود) ، وهو يلتقط نفسًا عميقًا من الهواء :

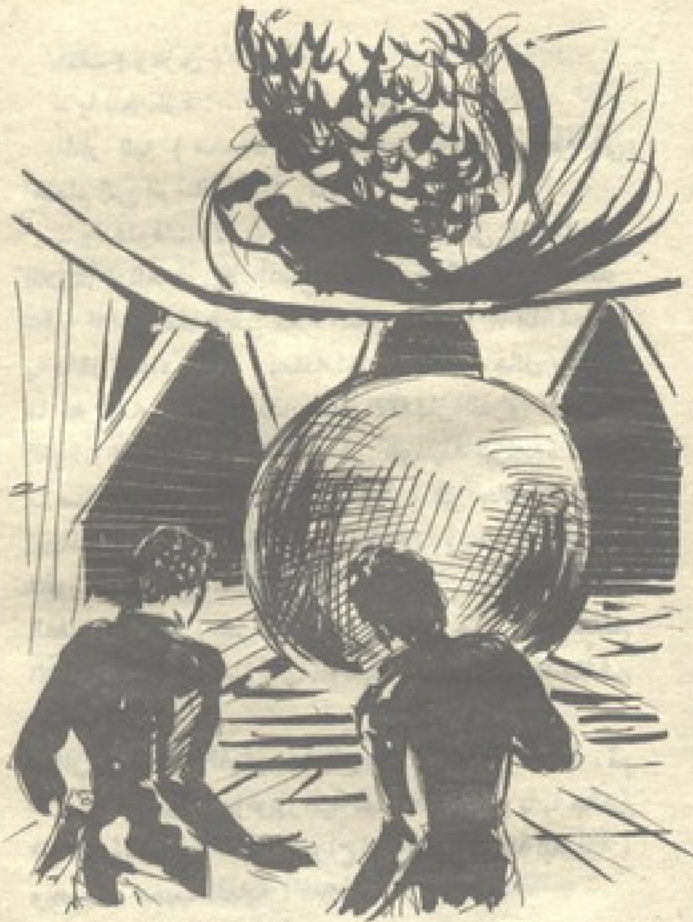
- رائع .. الأكسجين هنا صالح للتنفس تمامًا .. إنها تشبه حجرة معادلة الضغط ، فى الغواصات وسفن الفضاء .

مع نهاية عبارته ، انفتح باب خلفى ، من الناحية الأخرى ، ليكشف أمامهما ممرًّا قصيرًا ، مضاء بالضوء الوردى الباهت نفسه ، وفى نهايته قاعة صغيرة ، يستقر فى منتصفها جسم كروى ، من مادة سميكة ، تشبه الزجاج ، ولكنها نصف معتمة ، وقال (محمود) فى انفعال :

- هاهوذا السر .

تقدم مع (رمزى) عبر الممر القصير فى حذر ، حتى بلغا تلك القاعة ، وما إن وضعا أقدامهما داخلها ، حتى ارتفع فى فراغها أزيز قوى ، وتكوَّنت فى سقفها صورة هولوجرافية لوجه أحد سادة الأعماق ، وهو يقول :

- عظيم أنك وصلت إلى هنا .. أيتها الوسيط البشرى .. إنك خط دفاعنا الثانى . للقضاء على مخلوقات الأرض ، فى حال فشلنا فى المهمة الأولى .. من المؤسف أنه لا توجد كمية كافية من عقار النمو ، سوى تلك التى نحتفظ بها فى سفينتنا ، فى أعماق المحيط .



وما إن وضعا أقدامهما داخلها ، حتى ارتفع فى فراغها أزيز قوى ، وتكوَّنت فى سقفها صورة هولوجرافية لوجه أحد سادة الأعماق ..

هتف (رمزى) فى يأس :

ـ يا للخسارة !.. أنفعل كل هذا ، و ...

أشار إليه (محمود) أن يصمت ، وهو يستمع فى اهتمام إلى الرسالة ، التى تابعت :

ـ ومخلوقات الأرض لم تتوصل بعد إلى التكنولوجيا اللازمة ، للغوص إلى أعمق نقاط المحيط ، حيث سيستقر عقار النمو حتمًا ، فى حالة تدمير سفينتنا .. إننا نحتفظ به داخل وعاء خاص ، يمكنه احتمال انفجار هائل ، يفوق ما تعرفونه على أرضكم باسم الانفجار الذرى .. وهذه الكرة ، التى ترينها أمامك ، هى الوسيلة الوحيدة لبلوغ ما سيتبقى من عقار النمو الفائق ، فى حالة فشلنا .. استقلى تلك الكرة أيتها الوسيط البشرى ، وستنطلق بك على الفور إلى أعمق أعماق المحيط الأطلنطى ، وهنا استعيدى العقار ، واعملى على تدمير كل مخلوق حى ، على سطح الأرض .. إنه انتقامنا أيتها الوسيط الأرضى .. انتقامنا فى حالة الفشل .

ارتفع الأزيز القوى مرة أخرى ، فى فراغ القاعة ، ثم تلاشت الصورة الهولوجرافية تمامًا ، وانفتح باب جانبى فى الكرة نصف الشفافة ، وراح نداء يتردد باللغة العربية ، وبصوت عجيب للغاية :

ـ مستعد للإقلاع بعد نصف دقيقة .. تسع وعشرون ثانية .. ثمان وعشرون .. سبع وعشرون ..

هتف (محمود) :

ـ ماذا نفعل الآن ؟

صاح (رمزى) :

ـ ليس لدينا الخيار يا صديقى .. هذا الشىء سيقلع بعد أقل من نصف الدقيقة ، فإما أن نرحل معه ، أو نخسر كل شىء ..

هتف (محمود) فى توتر بالغ :

ـ إنه سيرحل بالتأكيد .. ولكن هل يعود بنا ، أم يتخلص منا ، بعد استعادته العقار ؟!

اتسعت عينا (رمزى) ، ولم يحر جوابًا ..

لقد كان هذا هو أصعب سؤال واجهه ، منذ وصل إلى هنا ..

أصعب سؤال على الإطلاق ..

★ ★ ★

غرس الدكتور (ناظم) إبرة المحقن الصغير فى عروق (نشوى) ، ودفع ذلك السائل الشفاف عبر دمائها ، ثم اعتدل مغمغمًا :

ـ يمكنكم بدء مرحلة التجميد المباشر .

سألته (سلوى) فى قلق :

ـ ما هذا العقار ، الذى حقنتها به ؟

أجابها الدكتور (ناظم) فى خفوت :

ـ إنه عقار خاص ، يساعد دماءها على الاستجابة للتجمّد الفورى ، فالإنسان كما تعلمين ، من ذوات الدم الحار ، وهذا يعنى أن درجة حرارة دمه لا تتغيّر ، مهما تغيرت درجة حرارة الوسط المحيط به ، على عكس الحيوانات ذات الدم البارد ، التى يمكن تجميد دمائها فى سهولة(*) ، ولو أننا حاولنا تجميد البشر مباشرة ، باستخدام النيتروجين السائل ، فإن خلاياهم تتجمّد تمامًا ، فى حين تحافظ الدماء على درجة حرارتها ثابتة فى عروقهم ، مما يعرّضها للتجلّط(**) ، ولقد كانت هذه هى العقبة الوحيدة ، أمام عملية التجميد الفورى للبشر ، ولبعض الحيوانات ذات الدم الحار ، مثل الثدييات والطيور ، ولكننا نجحنا أخيرًا فى كشف ذلك العقار ، الذى يفقد الدم البشرى مؤقتًا القدرة على المحافظة على ثبات درجات حرارته ، فيستجيب لانخفاض درجات الحرارة ، ويتجمّد .

(*) حقيقة علمية .

(**) حقيقة علمية .

غمغمت فى توتر :

ـ فهمت .

أشار بيده إلى معاونيه ، وقال :

ـ هيا .. ابدءوا .

لم يكد يشير إليهم ، حتى اندفع غاز كثيف ، داخل الأسطوانة الزجاجية ، التى ترقد فيها (نشوى) ، وكسى جسدها كله فى لحظة واحدة ، فشهقت (سلوى) هاتفة :

ـ ابنتى .

ضغط (نور) يدها فى رفق ، وهمس :

ـ تذكّرى .. هذا هو الحل الوحيد .

حاولت كتمان دموعها ، ولكنها هزمتها ، وانهمرت على وجهها كثيفة ، فضمها (نور) إلى صدره فى حنان ، وهو يغالب دموعه بدوره ، فى حين انفجرت (مشيرة) باكية ، وهى تهتف :

ـ إلى اللقاء يا (نشوى) .. إلى اللقاء يا عزيزتى .. كم أتمنى أن نلتقى ثانية ، عندما يجدون حلاً لمشكلتك .

بكت (سلوى) فى حرارة ، وهى تقول :

ـ هذا لو عاد (رمزى) و (محمود) .

انقبض قلب (نور) فى شدة ، وتفجّر فى أعماقه ذلك السؤال المخيف ..

ترى هل يعود (رمزى) و (محمود) ظافرين ؟.
بل هل يعودان على قيد الحياة فحسب ؟.
هل؟!.

* * *

لم يستغرق (رمزى) و (محمود) وقتًا طويلاً ، لاتخاذ القرار المناسب ، فقد اندفعا فى حزم نحو الكرة الزجاجية ، والحاسب الآلى يردِّد :

- عشرون ثانية .. تسع عشرة ثانية .. ثمان عشرة ثانية .

لهث (محمود) من فرط الانفعال ، وهو يقول :

- ربما كانت هذه هى رحلتنا الأخيرة .

أجابه (رمزى) فى حسم :

- لو أنها آخر خطوة فى حياتى ، ولكنها تسهم فى إنقاذ (نشوى) ، فأنا أقدم حياتى كلها إليها ، عن طيب خاطر .

تطلَّع إليه (محمود) لحظة فى صمت ، ثم هزَّ رأسه قائلاً :

- كم هى سعيدة الحظ بحبيب مثلك ؟

أجابه (رمزى) :

- بل قل : كم أنا سعيد الحظ بقلب رائع كقلبها .

انتبها إلى صوت الحاسب الآلى ، وهو يقول :

- أربع ثوان .. ثلاث ثوان .. ثانيتان .. ثانية واحدة .. ابدأ الرحلة .

وإثر النداء الأخير عاد باب الكرة شبه الزجاجية إلى موضعه فى رفق ، ثم انبعث من أعلاها ضوء أزرق ، راح يجوس وجهيهما فى بطء ، فغمغم (محمود) فى قلق :

- لو أن هذا الضوء يشبه ما لدينا ، فأخشى أن ..

قبل أن يتمّ عبارته ، اختفى الضوء الأزرق فجأة ، وارتفع صوت يقول :

- شخصية الوسيط البشرى غير مطابقة .. تسلل غير مسموح به .. انتقل إلى التدمير الذاتى مباشرة ، خلال دقيقة واحدة .

وانطلق أزيز قوى داخل الكرة ، وراحت تتألق فى سرعة ، بضوء أحمر زاه ، فصاح (رمزى) :

- يا إلهى !.. لقد وقعنا فى الفخ .

التصق (محمود) بجوار الكرة ، واتسعت عيناه فى هلع ..

نعم .. لقد وقعنا فى فخ ..
فخ قاتل .

* * *

٥ ـ الفــخ ..

« عجبًا !.. » ..

غمغم الدكتور (ناظم) بالكلمة فى دهشة بالغة ، فجَرت قلقًا بلا حدود ، فى أعماق (نور) و (سلوى) ، وسأله (نور) فى توتر شديد :

ـ ماذا هناك ؟.. ألا يسير كل شىء على ما يرام ؟

قال (ناظم) :

ـ المفروض أن يحدث هذا ، ولكن ...

هتفت (سلوى) منزعجة :

ـ ولكن ماذا ؟.. أفصح بالله عليك يا دكتور (ناظم) ، فترددك هذا يحطم أعصابى .

تردَّد الدكتور (ناظم) لحظات ، قبل أن يقول :

ـ الواقع هو أنه يوجد أمر عجيب ، فى نتائج الاختبارات الحيوية ، لجسد (نشوى) المتجمِّد ، فالمفروض بعد تجمده ، أن تنخفض كل المعدَّلات الحيوية إلى درجة الصفر ، أو ما يزيد عليها بدرجة أو درجتين على الأكثر ، ولكن هذه النتائج تؤكِّد أن بعض أجهزة الجسم ما تزال تعمل بدرجة ما ، وعلى نحو يثير القلق .

سأله (نور) فى انفعال :

ـ ألم يتم التجميد بصورة كاملة ؟

هزَّ الدكتور (ناظم) رأسه فى حيرة ، وهو يجيب :

ـ على العكس .. لقد تم التجميد على نحو متكامل ، وعلى الرغم من هذا ، فبعض الأجهزة تعطى إشارات إيجابية مرتفعة .

شحب وجه (سلوى) فى شدة ، وهى تقول :

ـ هل يعنى هذا أن (نشوى) فى خطر ؟

قال فى تردُّد :

ـ حتى الآن لا يوجد خطر واضح .. ولكن من يدرى ؟.. كل ما نملكه هو الانتظار ، ورؤية ما ستسفر عنه الأمور .. فقط الانتظار .

ازداد شحوب وجه (سلوى) ، وهى تهتف :

ـ يا إلهى !

ثم انهارت بين ذراعى (نور) باكية ..

(نور) ، الذى شعر فى تلك اللحظة بأقسى شعور مرَّ به فى حياته ..

بالعجز ..

كان يرى ابنته تعانى الخطر أمامه ، دون أن يجد وسيلة لإنقاذها ..

ما أسوأه من موقف ..

وما أبشعه من عجز وهوان !!..

وبكل مرارته ويأسه ، تمتم :

ـ ترى ماذا فعل (رمزى) و (محمود) حتى الآن ؟.

لم يجد ممن حوله جوابًا واحدًا ، وقد تعلقت عيون الجميع بجسد (نشوى) ، الذى تجمد تمامًا ، داخل أسطوانة زجاجية شفافة ، ودارت فى رءوسهم فكرة واحدة ..

ما مصير (نشوى) ؟..

وحتى هذه الفكرة ، ظلت بلا جواب ..

* * *

تجمدت الدماء فى عروق (محمود) ، مع ذلك الأزيز القوى ، الذى تردد داخل الكرة شبه الزجاجية ، والتهبت أعصابه فى شدة ، مع الضوء الأحمر ، الذى يضىء وينطفئ فى تعاقب مزعج سريع ، فى حين تردد الصوت الآلى يقول :

ـ سبع وخمسون ثانية على موعد التفجير .. ست وخمسون ثانية .. خمس وخمسون ثانية ..

واصل الصوت عده التنازلى المخيف ، و (محمود) يهتف :

ـ انتهينا يا (رمزى) .. سقطنا فى الفخ .

صاح (رمزى) ، وهو ينتزع مسدسه الليزرى :

ـ هناك وسيلة حتمًا للخروج من هنا .

راح يطلق أشعة مسدسه عشرات المرات ، نحو باب الكرة شبه الزجاجية ، والصوت الآلى يواصل فى رتابة :

ـ أربعون ثانية .. تسع وثلاثون .. ثمان وثلاثون ..

انتزع (محمود) نفسه من ذعره وذهوله ، وصوب بدوره مسدسه الليزرى إلى الباب ، وأخذ يطلق أشعته فى سخاء ..

ومع انخفاض العد التنازلى ، توترت أعصابهما أكثر وأكثر ، وصرخ (رمزى) :

ـ هناك وسيلة حتمًا .

ثم استدار بكيانه كله إلى لوحة أزرار صغيرة ، ملتصقة بجدار الكرة ، وأخذ يضغط أزرارها فى سرعة ، وهو يهتف :

ـ أحد هذه الأزرار يحمل الحل .. حتمًا .

لم يستجب زر واحد لضغطاته ، فى حين ردد الصوت الآلى :

ـ ست وعشرون ثانية .. خمس وعشرون ثانية ..

فتراجع (رمزى) ، وصاح فى انفعال جارف :

ـ لابد من وجود وسيلة .

وفى غمرة غضبه ، صوَّب مسدسه إلى لوحة الأزرار ، وأطلق عليها أشعة المسدس مرات ومرات ..

وفجأة ، انفتح باب الكرة شبه الزجاجية ، وصاح (محمود) :

ـ الباب يا (رمزى) .

اندفع الاثنان عبر الباب ، وانطلقا يعدوان نحو حجرة معادلة الضغط ، فى حين تزايدت سرعة تألّق الكرة شبه الزجاجية ، وارتفع الأزيز أكثر وأكثر ، والصوت الآلى يردِّد :

ـ سبع عشرة ثانية .. ست عشرة ثانية .. خمس عشرة ثانية ..

وضع كل منهما خوذته على رأسه ، وهتف (رمزى) ، عبر جهاز الاتصال :

ـ كيف يتمّ إغلاق هذه الحجرة ؟

أشار (محمود) إلى لوحة أزرار أخرى ، إلى جوار مدخل حجرة معادلة الضغط ، وهو يقول :

ـ ربما يعمل هذا الشىء .

ثم اتجه نحو اللوحة فى خطوات سريعة ، وضغط أحد الأزرار عشوائيًا ، مع استمرار الصوت الآلى :

ـ تسع ثوان .. ثمان ثوان .. سبع ثوان .. ست ثوان ..

لم يستجب الزر ، فانتقل (محمود) إلى زر آخر ، و ...
وفجأة ، انفتح الباب الآخر ..

الباب المطلّ على مياه المحيط ..

وصرخ (رمزى) :

ـ لقد فتحت الباب الخطأ يا (محمود) .

واندفعت المياه داخل الحجرة فى عنف ، فى نفس اللحظة التى كرّر فيها الصوت الآلى :

ـ ثلاث ثوان .. ثانيتان .. ثانية واحدة .. تفجير .

ودوى الانفجار ..

★ ★ ★

تطلّع قبطان السفينة إلى ساعته فى اهتمام ، قبل أن يقترب من حاجز السفينة ، ويستند إليه ، إلى جوار الدكتور (حجازى) ، قائلاً فى خفوت :

ـ أمامهم نصف ساعة فحسب .

وافقه الدكتور (حجازى) بهمهمة خفيفة ، وإيماءة رأس ، دون أن يرفع عينيه عن سطح المحيط ، فداعب القبطان لحيته القصيرة ، وراوده إحساس بالذنب ، وهو يسأله :

ـ أمازلت تشعر بالقلق ، منذ أخبرتك بما يحدث هنا ؟

أجابه الدكتور (حجازى) :
ـ إنه أمر بالغ الخطورة بالفعل ، فليس من الطبيعى أن تصاب الحيوانات ، فى بقعة دون غيرها ، بالوحشية والعدوانية .
نفض القبطان بقايا دخان غليونه ، وهو يقول :
ـ من الواضح أنك تضع أثقالاً لا طائل منها ، على كاهل هذه الفكرة .. الأمر أبسط مما تتصوَّر كثيرًا .. مجرَّد حيوانات بحرية بسيطة ، ترفض أن يدس الإنسان أنفه فى منطقة نفوذها .. ثم إنه لم تحدث حوادث مميتة بعد .
قال الدكتور (حجازى) :
ـ ليست المشكلة فيما يحدث ، وإنما فى سبب حدوثه .. ما هو ذلك الشىء ، الذى دفع الحيوانات البحرية إلى التحرّش بالبشر ، فى منطقة بعينها .
رمقه القبطان بنظرة جانبية ، وهو يُشعل غليونه ، ثم قال :
ـ ربما هو نفس الشىء ، الذى تبحثون عنه هنا .
كان يتوقَّع رفضًا واستنكارًا من الدكتور (حجازى) ؛ لذا فقد أدهشه أن أجابه فى شرود :
ـ هذا ما أخشاه .

عقد القبطان حاجبيه ، وهو يقول :
ـ أيمكننى اعتبار هذا القول اعترافًا ؟
التفت إليه الدكتور (حجازى) ، وقال فى دهشة :
ـ بماذا ؟
نفث القبطان دخان غليونه ، وقال فى صرامة :
ـ بأنكم هنا للبحث عن شىء ما .
بدا الضيق على وجه الدكتور (حجازى) ، وهو يقول :
ـ ولماذا تشغل رأسك بهذا الأمر .
هتف القبطان فجأة فى حدة :
ـ أتظننى أجهل من أنتم ؟.. لقد رأيت صوركم من قبل ، فى صحيفة مصرية .. أنتم فريق علمى .. فريق من المخابرات العلمية .. أليس كذلك ؟
هزَّ الدكتور (حجازى) كتفيه ، وقال :
ـ ربَّما .
صاح القبطان فى غضب :
ـ لا تراوغ يا رجل .
انعقد حاجبا الدكتور (حجازى) فى شدة ، وهو يقول :
ـ ومن منحك حق إلقاء الأسئلة ؟.. لقد قبلت الحضور

إنى هنا ، مقابل أجر ، بالغت فى تحديده ، وحصلت على ما تريد ، وهذا لا يمنحك حق التجسس على أعمالنا ، أو دس أنفك فى شئوننا بفضول .

قال القبطان فى حدة :

ـ من قال هذا ؟.. القوانين البحرية تمنحنى حق معرفة كل ما يدور على سطح سفينتى ، وكل ما يحدث تحت الـ ...

بتر عبارته بغتة ، مع ذلك الارتجاج العنيف ، الذى أصاب السفينة ، فتأرجحت على سطح الماء فى شدة ، وفقد معظم من على سطحها توازنهم ، حتى القبطان والدكتور (حجازى) ، اللذين وجدا نفسيهما منبطحين أرضًا ، فهتف الأول :

ـ ماذا يحدث ؟

ـ هبّ الدكتور (حجازى) واقفًا على قدميه ، وهو يقول :

ـ رباه !.. (رمزى) و (محمود) .

وفى نفس اللحظة ، ارتفع صوت أحد البحارة ، يهتف :

ـ سقط أحد الرجال فى البحر .

اندفع القبطان نحو رجاله ، وهتف بهم ، وقد امتلأت نفسه بحماس العمل والقيادة :

ـ ألقوا طوق النجاة .

انتزع أحدهم طوق النجاة من مكانه ، وأسرع به نحو حاجز السفينة ، وهمّ بإلقائه إلى زميله ، الذى يصارع حالة الاضطراب ، التى نشأت فجأة فى المكان ، عندما اتسعت عيناه بغتة فى ذعر ، وصرخ :

ـ انظروا !!

لم يكن بحاجة فعليًا إلى هذا الهتاف ، فقد تعلقت عيون الجميع فى ذهول ، بسطح المحيط حول السفينة ، فى حين شهق الدكتور (حجازى) هاتفًا :

ـ يا إلهى !..

لقد تألق ضوء أحمر مبهر فى قلب المحيط ، بدا وكأن مصدره تحت السفينة مباشرة ، إذ صنع حولها دائرة ضخمة مضيئة ، تشبه بحرًا من الدم ، وانعكس الضوء الرهيب على الوجوه ، وصنع على جوانبها ظلالاً مخيفة ، جعلت القبطان يهتف بصوت مبحوح ، خنقه التوتر والانفعال :

ـ ربّاه !.. هل انفتحت أبواب الجحيم ؟!

أما البحار الذى سقط فى الماء ، فقد تولاه رعب هائل بلا حدود ، وراح يصرخ :

ـ النجدة .. النجدة .

أيقظهم ذعره من ذهولهم ، وعاد القبطان يصيح ، محاولاً السيطرة على انفعاله :

ـ الق طوق النجاة .. هيا .

ألق البحار الآخر طوق النجاة لزميله ، الذى تشبث به فى لهفة شديدة ، وصاح القبطان فى لهجة آمرة ، أفرغ فيها عصبيته وتوتره :

ـ اجذبوا زميلكم إلى السطح .

جذب البحارة حبل طوق النجاة فى سرعة ، واقترب جسد زميلهم من جدران السفينة ، و ...

وفجأة برزت تلك السمكة الرهيبة ..

سمكة من أسماك القرش ، من نوع النمر ، ذات الأسنان الحادة القاتلة ..

برزت فجأة ، دون سابق إنذار ، وانقضت على البحار المسكين ، وأطبقت أسنانها على ساقه ..

وصرخ البحار المسكين فى ألم ورعب هائلين ، وصاح القبطان فى ارتياع :

ـ اجذبوه بسرعة .. ارفعوه إلى السطح .



ألقى البحار الآخر طوق النجاة لزميله ، الذى تشبث به فى لهفة ..

قالها وهو يستلّ مسدسه ، ويطلق نيرانه على سمكة القرش ، التى تلقّت الرصاصات فى صمود ، وظلّت تفترس ساق البحار المسكين ، الذى امتزجت دماؤه بذلك الضوء الأحمر المخيف ، الذى ينبعث من تحت الماء ، فصنعت مزيجًا رهيبًا ، والقبطان يصرخ :

ـ مستحيل .. مستحيل !

انطلقت رصاصاته مرة أخرى ، واخترقت رأس سمكة القرش ، التى انتفضت فى قوة ، قبل أن تخمد حركتها تمامًا ..

ولكن هذا لم يعن الانتصار ..

إن هذه السمكة لم تكن فى الواقع سوى البداية ..

ففجأة ، برزت عشرات من أسماك القرش ، من مختلف الأنواع والأحجام ، وانقضت كلها على البحار ، ومزّقته إربًا فى لحظات وجيزة ، والبحارة يصرخون فى ارتياع ، من هول المشهد ، وأحدهم يهتف :

ـ إنه الجحيم .. الجحيم بعينه !

وتراجع القبطان أمام المشهد ، وهو يهتف بالدكتور (حجازى) :

ـ ماذا فعلتم ؟.. ماذ فعل رجلاك بالله عليك تحت الماء ؟

صاح الدكتور (حجازى) :

ـ بل قل : ماذا أصابهما ؟

صرخ القبطان :

ـ فليذهبا إلى الجحيم .. لقد فتحا أبوابه الآن ، وليغب جسداهما فيه .

لم يكد ينطقها ، حتى ارتجت السفينة مرة أخرى فى عنف ، فصاح :

ـ ماذا يحدث هذه المرة ؟

ـ أجابه أحد البحارة ، بصوت يملؤه رعب هائل :

ـ إنها أسماك القرش ، تهاجم السفينة فى وحشية .

تدلّى فك القبطان السفلى ، وهو يقول فى ذهول :

ـ الأسماك تهاجم السفينة ؟!..

لم يكن قد رأى ، فى حياته كلها ، ما يشبه هذا ، مما ملأ نفسه بالرعب والخوف ، وجعله يصيح فى رجاله :

ـ ارفعوا المرساة .. سنرحل من هنا على الفور .

أمسك به الدكتور (حجازى) ، وقال فى حدة :

ـ ماذا تقول ؟.. إننا لن نغادر هذا المكان ، دون (رمزى) و (محمود) .

صرخ القبطان ، وصوت ضربات أسماك القرش فى السفينة يمتزج بصوته :

- دون من ؟!.. أمازلت تتوقع وجودهما على قيد الحياة ؟!.. أتظنهما ينجحان فى الوصول إلى هنا ، وسط ذلك الجحيم ؟!.. إن أسماك القرش تحيط بنا وتهاجمنا فى شراسة لم أر لها مثيلاً من قبل يا رجل ، والله (سبحانه وتعالى) وحده يعلم ما يمكن أن يحدث أكثر من هذا .. لا يا رجل .. لن أنتظر ثانية واحدة زائدة .

ثم التفت إلى رجاله ، وصرخ بهم مرة أخرى :

- ارفعوا المرساة .

أسرع الدكتور (حجازى) إلى حاجز السفينة ، وتطلع منه إلى سطح الماء ، وقلبه يخفق فى قوة وعنف ..

إنه الجحيم بالفعل ..

ترى ماذا حدث تحت الماء ؟!..

هل عثر (رمزى) و (محمود) على خط الدفاع الثانى ؟.

هل أصابهما مكروه ؟.

ارتطمت سمكة قرش بجسم السفينة ، تحته مباشرة ، فتشبث بالحاجز ؛ لمنع نفسه من السقوط ، وصرخ :

- (رمزى) .. (محمود) .

كان يعلم أنه لن يحصل على جواب ، ولكن قلبه كان يرفض تمامًا فكرة الرحيل ، وتركهما وسط كل هذا ..

صحيح أن القبطان على حق ، فى أن عودتهما شبه مستحيلة ..

ولكنه لن يتركهما ..

لن يتركهما أبدًا ..

امتلأت نفسه بحزم لا مثيل له ، فاندفع نحو القبطان ، وصاح به فى صرامة :

- لن نرحل من هنا قبل عودتهما .

دفعه القبطان بعيدًا ، وهو يصرخ فى وجهه :

- لقد أصابك الجنون حتمًا !.. ألا ترى ما يحدث حولنا يا رجل .. إننا سنرحل عن هنا فى الحال .. سنرحل مهما قلت أو فعلت .

اندفع الدكتور (حجازى) نحوه مرة أخرى ، وانتزع منه مسدسه ، ثم تراجع يصوبه إليه ، صائحًا :

- لن ترحل أيها القبطان ، وإلا أطلقت عليك النار .

انعقد حاجبا القبطان فى غضب هائل ، وهو يقول :

- هكذا ؟!

ثم أشار بيده ، مستطردًا :

- ستضطر لقتل الجميع إذن .

ومع آخر حروف كلماته ، انقضّ البحارة الثائرون

على الدكتور (حجازى) ، فى وحشية لم يسبق لها مثيل ..

لقد ألهب الموقف كله أعصابهم ، وباتت فى رءوسهم فكرة واحدة ، وهم يهاجمون الدكتور (حجازى) ، ويفرغون فيه شحنة توترهم ..

وهذه الفكرة هى قتله ..

قتله بلا رحمة .

* * *

٦ ـ بلا أمـل ..

شحب وجه الدكتور (حاتم) وهو يراجع ما أمامه من نتائج ، على شاشة الكمبيوتر ، وتمتم فى شىء من الهلع :

ـ مستحيل !

سألته (سلوى) ، وقد جفت دموعها ، على الرغم من حالة الانهيار الشديدة ، التى تمرّ بها :

ـ ماذا هناك هذه المرة ؟

هزّ الرجل رأسه فى حيرة شديدة ، وقال :

ـ عمرها مازال ينخفض .

انهارت (سلوى) فوق مقعدها ، وأجهشت بالبكاء دون دموع ، وهى تدفن وجهها فى كفيها ، هاتفة :

ـ لماذا ؟.. لماذا يا إلهى ؟

أما (نور) فقد انعقد حاجباه فى شدة ، وإن لم ينبس ببنت شفة ، فى حين قالت (مشيرة) فى توتر بالغ ، وقد بدا وجهها أيضًا شاحبًا :

ـ ولكن كيف يحدث هذا ؟.. المفروض أن يتوقّف هذا بعد تجميدها !

لوّح الدكتور (حاتم) بيده ، قائلاً :

ـ هذا ما يقوله العلم ، ولكن ما يحدث الآن حقيقى ،

ويخالف كل القواعد العلمية .. من الواضح أن تلك المادة أقوى مما نتصوَّر بكثير .

سألته (مشيرة) :

ـ وماذا عن نتائج تحليلها ؟

هزَّ رأسه فى أسى ، قائلاً :

ـ المعامل فشلت فى هذا تماما ، فالمقدار المتاح منها بالغ الضآلة ، والأجهزة المتوفرة تعجز عن تحليلها .

هتفت (سلوى) :

ـ ولكننا لن نقف عاجزين ، ونترك ابنتنا تتلاشى أمام أعيننا .

أجابها الدكتور (حاتم) :

ـ (رمزى) و (محمود) يقومان بواجبهما يا سيِّدتى ، ثم إن معدَّل انخفاض العمر يتناقص كثيرًا ، بعد تجميد جسدها ، وربما يمنحنا هذا يومين زائدين .

صاحت فى مرارة :

ـ وماذا نفعل خلالهما ؟.. هل نجلس صامتين ، فى انتظار النتائج ؟!.. لا يا دكتور (حاتم) .. لابد أن أفعل شيئًا .. أى شىء .

أتاها صوت (نور) حازمًا صارمًا ، وهو يقول :

ـ أنا من ينبغى أن يفعل شيئًا .

التفت إليه الجميع ، ورأوه معقود الحاجبين ، صارم النظرات ، وهو يستطرد :

ـ سأسافر فورًا إلى (أغادير) ، حيث (رمزى) و (محمود) .

هتف به الدكتور (حاتم) :

ـ إنك بهذا تقتل نفسك .. ثم ما الذى ستفعله هناك ؟

أجابه فى حسم :

ـ أنضمَّ إليهما على الأقل .

ثم ضرب الحائط الذى يستند إليه بقبضته ، وأضاف فى حنق مرير :

ـ المهم أن أفعل شيئًا .. أى شىء .

قال الدكتور (حاتم) فى قلق :

ـ رويدك يا (نور) .. قلت لك : إنك تقتل نفسك بهذا .

كان الألم يبدو بالفعل على ملامح (نور) ، ولكنه قال فى حسم :

ـ فليكن .. سأذهب إلى هناك ، وليحدث ما يحدث .

اتسعت عينا (سلوى) فى هلع ، وتجمَّدت كلمة ما على شفتيها ، فى حين قالت (مشيرة) فى ارتياع :

ـ (نور) .. هناك خيط من الدم ، يسيل من بين شفتيك .

عندئذ فقط صرخت (سلوى) :

ـ يا إلهى !.. (نور) .. ماذا أصابك ؟

أراد أن يبث فى نفسها الطمأنينة ، وأن ينتزع شيئًا من توترها وذعرها ، إلا أنه لم يكد يرفع يده ليتحدث إليها ، حتى انتابه دوار عنيف ، فتمتم فى ضعف :

ـ (سلوى) .. إننى ..

غابت كلماته الباقية وسط دوامة مخيفة ، ابتعلت جسده كله ، وألقته وسط ظلام دامس رهيب ..

ظلام بلا قرار ..

* * *

انفتحت أبواب حجرة معادلة الضغط ، قبل ثلاث ثوان فحسب من الانفجار ، واندفعت المياه داخلها فى عنف ، وصرخ (رمزى) :

ـ ابتعد عن الأبواب يا (محمود) .

حاول (محمود) أن يفعل هذا ، ولكن العد التنازلى انتهى ..

ودوى الانفجار ..

انفجار عجيب ، لا مثيل له قط على ظهر الأرض .

لقد بدا كأنه قنبلة من الضوء ، انفجرت بضغط هائل ، فدفعت (رمزى) و (محمود) خارج المكان ، على الرغم

من قوة اندفاع المياه إلى الداخل ، ثم غمرت المكان كله بضوء أحمر مبهر ، يكاد يغشى الأبصار ..

وشعر (رمزى) بجسده يندفع خارجًا ، ولكن ضغط المياه المندفعة نحوه خفّف كثيرًا من سرعته ، وعلى الرغم من هذا فقد ارتطم بالجدار المقابل للكهف فى عنف ، ثم ارتطم به جسم لين ، لم يلبث أن تبين أنه جسد (محمود) ، فتشبّث به فى قوة ، وأغلق عينيه أمام ذلك الضوء الأحمر المبهر ، وراح يدفع قدميه فى الماء دفعًا ، ويجاهد للصعود إلى خارج الكهف ..

وفجأة ارتطمت به من الخلف عشرات الأجسام الرخوة ، ثم تجاوزته ، وانطلقت أمامه فى هلع عجيب ، ثم تبعتها أجسام أكبر حجمًا ، أخذت تضربه فى شراسة ، وتزيحه عن طريقها فى حدة ، لتفرّ من المكان ..

واتسعت عينا (رمزى) فى دهشة ..

إنه سرب كامل من حيوان الأخطبوط ..

سرب مختلف الأحجام والأشكال ، من حيوانات لا يزيد حجمها على حجم فأر صغير ، وحتى أخرى تتجاوز حجم حصان بالغ ..

وفى قوة ، سبح (رمزى) وسط سرب الأخطبوط ، وهو يحمل (محمود) ، حتى بلغ مدخل الكهف ، فابتعد



ثم ارتطم به جسم لين ، لم يلبث أن تبين أنه جسد (محمود) ، فتشبث به فى قوة ، وأغلق عينيه أمام ذلك الضوء الأحمر المبهر ..

جانبًا ، وتوقف يراقب تلك الحيوانات البحرية الهاربة ، مبهورًا ومأخوذًا ..

ثم اتسعت عيناه عن آخرهما ..

لقد انتهى السرب بأخطبوط هائل ، ضخم الحجم ، يبلغ جسده وحده حجم فيل كبير ، فى حين تمتدّ أذرعه الطويلة لمسافات كبيرة حوله ..

وفى صعوبة ، غادر الأخطبوط الضخم الكهف ، ثم فرد أذرعته عن آخرها ، وراح يدور حول نفسه كنجم بحر عملاق ..

وهنا فقط تمتم (محمود) :

ـ ماذا حدث ؟.. أين نحن ؟

أجابه (رمزى) ، عبر جهاز الاتصال :

ـ لقد نجونا على الأرجح .

اعتدل (محمود) ، وهزّ رأسه فى قوة ، وهو يقول :

ـ ماذا تعنى بعبارة (على الأرجح) ؟

لم يكد يتمّ عبارته ، حتى وقع بصره على تلك الأعداد الضخمة من الأخطبوط ، وعلى الأخطبوط الهائل ، الذى يرتفع فى بطء إلى أعلى ، وسط خضمّ من الضوء الأحمر الرهيب ، فهتف فى ارتياع :

ـ يا إلهى !.. أين نحن بالضبط ؟

أجابه (رمزى) فى مرارة :

ـ فى خانة الفشل .

سأله فى دهشة :

ـ ماذا تعنى ؟!

أطل الألم واضحًا من عينى (رمزى) وصوته ، وهو يجيب :

ـ لقد خسرنا الوسيلة الوحيدة للحصول على ما تبقّى من عقار النمو ، ولم يعد هناك أمل فى إنقاذ (نشوى) ، من مصيرها المحتوم .

اتسعت عينا (محمود) فى شدة ، وهو يهتف :

ـ يا إلهى !

غمغم (رمزى) :

ـ نعم يا (محمود) .. خسرنا حياة (نشوى) .

ارتجف صوت (محمود) ، وهو يقول ، مشيرًا إلى بقعة ما ، خلف ظهر (رمزى) :

ـ وماذا عن حياتنا نحن ؟

التفت (رمزى) بسرعة ، إلى حيث يشير (محمود) ، ثم اتسعت عيناه فى ذعر ..

لقد كان هناك سرب آخر ، يتجه نحوهما على نحو مخيف ..

سرب من الأسماك ..

أسماك القرش المفترسة ..

★ ★ ★

انقضّ البحارة على الدكتور (حجازى) فى غضب وشراسة ، وهم يطلقون صيحات ثائرة ، فتراجع هو فى حدة ، هاتفًا :

ـ تراجعوا وإلا ..

قبل أن يتمّ عبارته ، كان أحدهم قد ركل مسدسه من يده ، فى حين أمسك آخر معصمه الأيسر ، ودفعه ثالث نحو حاجز السفينة ، وهو يصرخ :

ـ ماذا تفعلون ؟!.. لسنا فى عالم وحشى .. أنتم بشر .. تذكّروا هذا .

ولكنهم ألصقوا ظهره بحاجز السفينـة ، وصاح بعضهم :

ـ ألقوه فى الماء .. إنه يستحق هذا .

كبلوا حركته تمامًا ، وحمله اثنان منهما من قدميه ، وهو يصرخ :

ـ عودوا إلى رشدكم .. كفوا عن هذه الوحشية .

لم يلق صياحه صدى فى نفوسهم ، وسط هذا الخضمّ من الانفعالات ، وحملوه ليلقوا به فى المحيط ، و ...

وفجأة تجمّدت الدماء فى عروقهم ، وهم يحدقون فى تلك العين الرهيبة ، التى راحت تتطلّع إليهم فى برود صامت ..

عين الأخطبوط العملاق ..

ولثوان ، لم ينبس أحدهم ببنت شفة ، حتى ارتفعت إحدى أذرع الأخطبوط من تحت الماء ، والتفت بممصّاتها القوية حول وسط أحدهم ..

عندئذ فقط انطلقت صرخاتهم ، وراحوا يعدون مبتعدين ، وتركوا الدكتور (حجازى) يسقط ، فانبطح على وجهه ، على سطح السفينة ..

وكان هذا من حسن حظه ..

لقد تحرّك الأخطبوط العملاق بوحشية غير معهودة فى بنى جنسه ، وراح يلف أذرعه العديدة حول أجساد البحّارة ، وينتزعهم عن السطح ، ثم يغوص بهم فى الأعماق ..

وفى ذهول ، تراجع القبطان ، متمتمًا :

ـ ماذا فعلنا ؟!.. ماذا يحدث هنا ؟

صرخ به الدكتور (حجازى) :

ـ احترس .

ولكن القبطان ارتطم بحاجز السفينة ، ومال جسده إلى

الخلف على نحو بالغ الخطورة ، وغمر الضوء الأحمر ظهره ، وهو يهتف :

ـ لا .. النجدة .. النجدة .

اندفع الدكتور (حجازى) لإنقاذه ، ومد يده يمسك به ، قائلاً :

ـ أعطنى يدك .

تشبّث القبطان بيده ، ولكن هذا لم يمنع سقوطه ..

لقد اختلّ توازنه تمامًا ، فهوى من فوق الحاجز ..

وفى سقطته ، جذب معه الدكتور (حجازى)، الذى اتسعت عيناه فى ارتياع ، عندما رأى نفسه يهوى فى المحيط ..

وسط دائرة الضوء الأحمر ..

ووسط أسماك القرش الثائرة ..

★ ★ ★

اندفعت أسماك القرش المفترسة ، بكل شراستها ووحشيتها ، نحو (محمود) و (رمزى) ، فهتف الأوّل فى هلع :

ـ أنجونا من الانفجار ، لنلقى حتفنا بأسماك القرش ؟!

قال (رمزى) فى حزم :

ـ دعنا لا نستسلم ببساطة إذن .

استلّ كل منهما مسدسه ، وأطلقا أشعتيهما على أقرب أسماك القرش إليهما ..

وأصابت الأشعة أسماك القرش ، وفجّرت الدماء من جسدها ..

وقلبنا خط سير الهجوم ..

لقد نسيت الأسماك الأخرى كل ما يخصّ (محمود) و (رمزى) ، وانقضت بكل وحشيتها على الأسماك المصابة ، تلتهمها التهاما ، وتمزقها إربًا ، وقد أثارتها رائحة الدم ..

وهتف (رمزى) :

ـ نعم .. هذا صحيح .. كيف لم أتذكره منذ البداية .. أسماك القرش شديدة الشراهة لرائحة الدم ، وستنشغل عنا بالتهام صاحباتها .

سأله (محمود) :

ـ وماذا نفعل الآن ؟.. هل ننتظرهم حتى ينتهوا ، ويتفرغوا لنا .

أجابه (رمزى) :

ـ بل نعود إلى السفينة .

ران عليهما الصمت لحظة ، ثم غمغم (محمود) :

ـ وما رأيك فى العودة إلى الكهف ؟!

سأله (رمزى) فى دهشة :

ـ إلى الكهف ؟!.. ولماذا نفعل ؟!

أجابه (محمود) فى حزم :

ـ نحاول التشبث ، ولو بأمل ضئيل .

قالها وسبح فى هدوء نحو الكهف ، على الرغم من الضوء الأحمر المبهر ، الذى ينبعث منه ، فلحق به (رمزى) ، وهو يتمتم :

ـ أنت على حق .. ليس من المفروض أن نفقد الأمل قط .

وعلى الرغم من قوله هذا ، كان يتبعه بلا هدف .. وبلا أمل ..

★ ★ ★

٧ ـ وسط الخطر ..

لم يدر الدكتور (حجازى) ، لماذا بدت له تلك المسافة ، ما بين سقوطه من السفينة ، وارتطامه بمياه المحيط ، أشبه بدهر كامل ..

ربما لأنه تذكّر خلالها كل ما فعله ، فى حياته كلها ..

كل أعماله ..

كل آماله ..

كل أخطائه ..

كان مقدمًا على موت محتوم ، لا أمل فى النجاة منه قط ، مع تلك الأسماك المتوحشة ، التى تجوب المنطقة فى شراسة لا مثيل لها ، متعطشة لأصغر نقطة دم ، وعلى الرغم من هذا فقد هتف بكل قوته :

ـ ساعدنى يا إلهى !

ومع آخر حروف الهتاف ، ارتطم جسده بالماء البارد ، وغاص فيه مع القبطان لمترين أو يزيد ، قبل أن يدفع كل منهما الماء بقدميه وذراعيه ، صعودًا إلى السطح ..

ومع أوّل هواء يستنشقانه ، صاح القبطان :

ـ لا فائدة .. إنها النهاية .

وهوى قلب الدكتور (حجازى) بين قدميه ، عندما رأى سمكة قرش ضخمة تندفع نحوهما ، وأسنانها الحادة الكبيرة تبرز على نحو مخيف ..

ولكن فجأة اختفى ذلك الضوء الأحمر الرهيب ..

اختفى دفعة واحدة ، وكأنما لم يكن قط ..

ومع ذلك الاختفاء المفاجئ ، توقّفت الأسماك والمخلوقات البحرية كلها ، وذهبت وحشيتها الزائدة فى لحظة واحدة ..

وهتف الدكتور (حجازى) :

ـ لقد نجونا .. إنها معجزة .. لقد نجونا .

رأى السمكة المتخمة بأجساد البحارة تستدير ، وتضرب الماء بذيلها ، ثم تنطلق مبتعدة ، وكأنما تفرّ بجلدها من ذلك المكان الرهيب ، الذى شهدت فيه ما لم تشهده من قبل ..

ولم تكن وحدها ..

كل المخلوقات الأخرى غاصت فى الماء ، واختفت ..

حتى الأخطبوط العملاق ..

وساد هدوء عجيب مباغت ..

هدوء لم يكن يقطعه سوى صوت الأمواج الضعيفة ، وهى ترتطم بجانب السفينة فى رفق ..

لقد انتهى كل شىء على نحو عجيب ، وكأنما لم يبدأ قط ..

وبصوت مختنق ، يموج بالانفعال ، قال القبطان :

- ماذا حدث ؟!

أجابه الدكتور (حجازى) :

- لقد نجونا .. هذا كل شىء .

قال القبطان فى حيرة متوترة :

- ولكن ماذا أصاب تلك المخلوقات ؟.. بل ماذا أصابنا جميعًا ؟

أجاب الدكتور (حجازى) ، وهو يشير للبحارة الباقين ؛ لإلقاء طوقى نجاة :

- من الواضح أن تلك الأشعة الحمراء ، التى انبعثت من تحت الماء ، تحفز كل الميول العدوانية ، فى أعماق كل كائن حى .

هتف القبطان ، وهو يتعلق بطوق النجاة الخاص به :

- ولكن لماذا ؟

أجابه الدكتور (حجازى) ، والبحارة يجذبونهما إلى السطح :

- هذا السؤال يحتاج إلى خبير بالأشعة .

ثم بدا الحزن على وجهه ، وهو يشير إلى الماء ، مستطردًا :

- وخبير الأشعة الوحيد هنا ما يزال فى الأعماق .

ورفع عينيه ، مضيفًا فى مرارة :

- وقد يبقى فيها إلى الأبد .

* * *

هبط (محمود) و (رمزى) مرة أخرى إلى الكهف ، وسط ذلك الجحيم الأحمر الرهيب ، وراحا يسبحان نحو المدخل السرى ، حتى عثرا عليه ، وقد تحطم بابه ، وغمرت المياه المكان كله ، حيث مصدر ذلك الضوء الدموى المبهر ، وغمغم (محمود) ، وهما يتجهان نحو القاعة ، التى كانت تحوى الكرة شبه الزجاجية :

- وكأننا نغوص فى قلب الجحيم .

أجابه (رمزى) :

- يبدو أننى أشاركك الشعور نفسه ، فأطرافى ترتجف ، على الرغم منى ، كلما اقتربنا أكثر وأكثر .

سبحا عبر الضوء المبهر ، حتى بلغا القاعة ، وقال (محمود) :

- انظر .. هذا هو مصدر الضوء .

كانت الكرة شبه الزجاجية قد اختفت ، وتبقت منها بضع شظايا متناثرة ، فى حين تألق فى سقف القاعة شىء أشبه بمصباح مستدير ، يشع ذلك الضوء المخيف ، وأشار (رمزى) إلى الجدران ، قائلاً :

ـ انظر يا (محمود) .. كل شيء يذوب .. يبدو أن هذا هو عمل المصباح الأحمر .. إنه يذيب كل شيء ، حتى لا يتبقى أدنى أثر لخط الدفاع الثانى .

تمتم (محمود) :

ـ يا لها من خطة محكمة !.. فى البداية يحدث الانفجار ، وينسف الأجهزة ، ويحيلها إلى مجرد شظايا ، وبعدها يعمل ذلك المصباح العجيب على إذابة هذه الشظايا ، ومحو أدنى دليل .

هتف (رمزى) فجأة :

ـ انظر هناك .. إنها بقايا خريطة .

ثم اندفع إلى حيث أشار ، مستطردًا فى انفعال :

ـ لقد كنت على حق يا (محمود) .. ما يزال هناك أمل .

صاح به (محمود) :

ـ احترس يا (رمزى) ، لا تلمس ذلك المصباح .

ولكن (رمزى) اقترب أكثر وأكثر ، والتقط بقايا الخريطة فى لهفة ، وهو يقول :

ـ نعم .. إنها بقايا خريطة .

وفجأة شعر وكأنه يسبح بالفعل فى قلب الجحيم ..

لقد ارتفعت حرارة جسده فى شدة ، كما لو كان يحترق ، فهتف :

ـ النجدة .. النجدة يا (محمود) .

ولم يتردد (محمود) لحظة واحدة ..

لقد اندفع نحو رفيقه ، وجذبه من قدميه إلى الخلف ، ثم سبح عكسيًا ، مبتعدًا عن ذلك المصباح العجيب ، وهو يقول فى توتر :

ـ تماسك يا (رمزى) .. تماسك يا صديقى .. سنغادر هذا المكان اللعين بأقصى سرعة .

ولكنه لم يتلقَ جوابًا ، فهتف :

ـ (رمزى) .. ماذا بك ؟

انتبه فى هذه اللحظة فقط ، إلى أن (رمزى) فاقد الوعى ، فسبح بسرعة أكثر ، وهو يقول :

ـ رباه !.. ماذا أصابه ؟

وصل بسرعة إلى مدخل الكهف ، ثم سرت فى جسده قشعريرة رهيبة ، عندما لمح سرب أسماك القرش ، الذى انتهى من التهام الأسماك المصابة ، وراح يبحث عن فريسة جديدة ، فتمتم فى توتر :

ـ يا إلهى !.. نسيت أمر هذه الأسماك .

وبسرعة أخرج مسدسه ، وهو يستطرد :



وأطلق أشعة المسدس على عدد من الأسماك ، فانقضت عليها الأخرى فى وحشية وشراهة ..

- إذن فقد انتهيت من وليمتك .. خذى إذن وليمة جديدة .

وأطلق أشعة المسدس على عدد من الأسماك ، فانقضت عليها الأسماك الأخرى فى وحشية وشراهة ، وغمغم هو ، وهو يعيد المسدس إلى غمده :

- هيا .. انشغلى بالتهام شقيقاتك ، ريثما أصعد أنا إلى السطح .

حمل جسد (رمزى) الفاقد الوعى فى اهتمام بالغ ، واندفع محاولاً الصعود إلى السطح ..

ولكن ..

لقد تعلقت قدمه ببعض الأعشاب المرجانية السميكة ، عند مدخل الكهف ، واشتبكت بها فى شدة ، فهتف :

- اللعنة .. لم يعد ينقصنى سوى هذا .

لم يكد ينطق العبارة ، حتى رأى أمامه ذلك الوحش .. أخطبوط كبير ، تطلع إليه لحظة بعينيه الواسعتين الكبيرتين ، ثم لف ذراعه ذات المماص الضخمة حول وسطه بغتة ، فصرخ (محمود) :

- اتركنى أيها الغبى .

ولكن الأخطبوط ظلّ يتطلّع إليه بنظرته الباردة الخاوية ، وذراعه تعتصره ..

وتعتصره ..

وتعتصره ..

★ ★ ★

« (نور) .. حمدًا لله على سلامتك .. » .

نطقت (سلوى) هذه العبارة فى لهفة ، عندما استعاد (نور) وعيه ، فى المستشفى المركزى ، فتطلّع إليها بنظرة خاوية ، وهو يسألها :

ـ كم بقيت فاقد الوعى ؟

أجابته مشفقة :

ـ ساعة واحدة فحسب .

سألها فى تهالك :

ـ وكيف حال (نشوى) ؟

ترقرقت عيناها بالدموع ، وهى تقول :

ـ مازال عمرها ينخفض .

سألها فى مرارة :

ـ كم بلغ عمرها الآن ؟

أجابت متألمة :

ـ عامين ونصف .

هتف فى هلع :

ـ يا إلهى !

وحاول أن يغادر فراشه ، وهو يستطرد :

ـ لابد لى من عمل شىء .. أى شىء .

صاح به طبيبه :

ـ رويدك أيها الرائد .. إننا لن نعيد الموقف مرة أخرى .. لقد كدت تقتل نفسك بالفعل .

تحسّس (نور) بطنه ، قائلاً :

ـ هل انفتح الجرح مرة أخرى ؟

هزّ الرجل رأسه نفيًا ، وقال :

ـ ليس هذا واردًا ، فى جراحات الليزر ، ولكنك أرهقت نفسك بشدة ، قبل أن تستعيد صحتك .

نهض (نور) ، قائلاً :

ـ فليكن أيها الطبيب .. أعدك أن أحصل على قسط طويل من الراحة فيما بعد ، عندما تنتهى هذه المشكلة ، أما الآن فحياة ابنتى فى خطر بالغ ، ولن أتخلّى عنها بهذه السهولة ، مهما كان الثمن .

قال الطبيب فى حنق :

ـ ولكنك لا تملك ما تفعله ، حسبما أعرف .

بدا الضيق على وجه (نور) ، وهو يقول :

- من يدرى ؟.. ربما .

قالت (سلوى) مشفقة :

- (نور) .. أرجوك .. ابق فى فراشك ، مادام من غير الممكن أن ..

قاطعها فى حزم :

- سأذهب يا (سلوى) .

ثم اغرورقت عيناه بالدموع ، وهو يستطرد :

- لن أجلس هنا ساكنًا ، وابنتى تقترب من موت محتوم .. لن يمكننى هذا أبدًا يا (سلوى) .

كانت تدرك جيدًا أنه من المستحيل منعه من العمل من أجل ابنته ، حتى ولو كان الثمن هو حياته نفسها ..

لذا فقد لحقت به ، وقالت وهما يتجهان نحو سيارته الصاروخية :

- سأقود أنا .

تركها تحتلّ مقعد القيادة ، وجلس إلى جوارها صامتًا ، وهى تنطلق نحو مركز أبحاث الفضاء ، حيث يرقد جسد ابنتهما مجمدًا ، وترك قلبه يبكى بدموع من دم فى أعماقه ..

إنه لن يستسلم لهذا المصير ..

لن يستسلم أبدًا ..

* * *

كان كل شىء يوحى بأنها النهاية لا ريب ..

الشعاب المرجانية ، تقبض على قدمه ، وذراع الأخطبوط تعتصر جسده ، و (رمزى) فاقد الوعى تمامًا بين ذراعيه ..

ولكن فجأة تبدّل كل شىء ..

فجأة ، اختفى الضوء الأحمر ، وتلاشى تمامًا ..

ومع تلاشيه ، تراجع الأخطبوط بغتة ..

حلّ ذراعه من حول جسد (محمود) ، ثم انطلق مبتعدًا فى سرعة مدهشة ، وتبعه سرب أسماك القرش ، وكل المخلوقات البحرية الأخرى ..

ولم تمض دقيقة واحدة ، حتى كان المكان هادئًا ساكنًا ، على نحو لا يوحى أبدًا بأنه كان ساحة قتال عنيفة منذ قليل ..

وأطلق (محمود) تنهيدة قوية ، وهو يقول :

- حمدًا لله .. مازال هناك أمل .

حاول تخليص قدمه من الشعاب المرجانية فى صعوبة ، دون أن يتخلّى عن (رمزى) ، ولكنه شعر فجأة باختناق إلى حد ما ، فتطلّع بسرعة إلى ساعته ، واتسعت عيناه فى هلع ..

لقد نفد مخزون الأكسجين ..

نفد عن آخره ..

* * *

تنهد القبطان فى عمق ، وهز رأسه فى أسف ، وهو يقول :

ـ لا فائدة .. لقد مضى الوقت ..

سأله الدكتور (حجازى) ، وجسده كله يرتجف هلعًا :

ـ هل تعنى أنهما ..

لم يستطع إكمال العبارة ، ولكن القبطان فهم ما يعنيه ، وتمتم :

ـ للأسف .

ثم أطلق زفرة أخرى ، قبل أن يستطرد :

ـ هيا .. سنرحل الآن .

قال الدكتور (حجازى) مذعورًا :

ـ ألا يمكننا البقاء لفترة أخرى .

هز القبطان كتفيه ، وقال :

ـ وما الفائدة !. لقد نفد مخزون الأكسجين لديهما حتمًا ، ومن المستحيل أن ...

قاطعته صرخة أحد البحارة :

ـ ها هما ذان .

اندفع الدكتور (حجازى) والقبطان إلى حاجز السفينة ، وخفق قلب الأول فى قوة ، وهو يهتف :

ـ نعم .. ها هما ذان .. لقد نجوا .

كان (محمود) و (رمزى) قد صعدا إلى السطح ، و (محمود) يمسك (رمزى) الفاقد الوعى ، وينزع عنه خوذته ، ويصارع المياه فى إصرار ، هاتفًا :

ـ ألقوا طوق نجاة .. أسرعوا .

وثب بعض البحارة فى الماء ، مع أطواق النجاة ، ونجحوا فى انتشالهما ، وحملهما إلى سطح السفينة ، حيث استقبلهما الدكتور (حجازى) فى حرارة ، وهو يهتف :

ـ (محمود) ، (رمزى) .. لقد أصبتمانا بالرعب .. خشينا أن ينفد الأكسجين منكما ، وتختنقا فى القاع .

أرقد (محمود) (رمزى) أرضًا ، وهو يقول فى توتر :

ـ كاد هذا يحدث بالفعل ، فقد أمسكت بعض الشعاب المرجانية بقدمى ، ولم أستطع التخلص منها ، إلا باستخدام مسدس الليزر ، فى اللحظة الأخيرة .

هتف الدكتور (حجازى) فى جزع :

ـ ولكن ماذا أصاب (رمزى) ؟

أجابه (محمود) :

ـ لقد فقد الوعى .. سأخبرك فيما بعد كيف حدث هذا .. المهم الآن أن نسعفه بأقصى سرعة .

نزع البحارة عن (رمزى) ثياب الغوص ، وهتف القبطان :

- يا إلهى !.. لقد تعرض لحروق شديدة .

سأل الدكتور (حجازى) ، وهو يفحص حروق (رمزى) :

- ما الذى فعل به هذا ؟

غمغم (محمود) فى توتر :

- مصباح أحمر صغير .

خيّل للقبطان أنه لم يسمع العبارة جيدًا ، فسأل فى دهشة :

- مصباح ماذا ؟!

قال (محمود) فى عصبية :

- فيما بعد .. سنناقش هذا فيما بعد .

كان ينتزع ثوب الغطس ، عندما انفتحت أصابع (رمزى) فجأة ، وسقطت منها رقعة من مادة تشبه جلود الثعابين ، وتحوى بعض الخطوط والرسوم ، فقال القبطان :

- ما هذا ؟

تألقت عينا (محمود) ، وهو يهتف :

- يا إلهى !.. لقد أحضرها معه .

سأله الدكتور (حجازى) :

- ما هذه التى أحضرها معه يا (محمود) ؟

التقط (محمود) بقايا الخريطة فى حذر ، وهو يقول :

- الأمل يا دكتور (حجازى) .. الأمل فى إنقاذ (نشوى) .

وقبض أصابعه على البقايا ، وبرقت عيناه أكثر وأكثر ، وهو يستطرد :

- الأمل الأخير .

وربما كان على حق .

★ ★ ★

٨ ـ مرة ثانية ..

« لقد بذلنا قصارى جهدنا يا (نور) .. أقسم لك » .

نطق (محمود) هذه العبارة فى حرارة شديدة ، وهو يقف أمام سرير (نور) فى المستشفى ، فأخفت (سلوى) وجهها بين كفيها ، فى حين تمتم (نور) فى مرارة :

ـ لست بحاجة إلى القسم يا (محمود) ، أنا واثق من أنك و (رمزى) قد بذلتما قصارى جهدكما ، ولكنه خطئى أنا .

رفعت (سلوى) عينيها إليه فى ذعر ، فى حين سأله (محمود) فى دهشة :

ـ ماذا تعنى بهذا ؟

أجابه فى أسى :

ـ كان المفروض أن أستنتج هذا ، فمن الطبيعى أن يتخذ سادة الأعماق الاحتياط اللازم ، حتى لا يصل الشخص الخطأ إلى خط دفاعهم الثانى .

قال (محمود) :

ـ ولكنك لم تكن فى حالة تسمح بهذا يا (نور) .

تنهد (نور) فى إحباط ، وهو يقول :

ـ للأسف .

ثم نهض من فراشه ، واستطرد :

ـ مسكينة هى (نشوى) .. عمرها ينخفض أمام أعيننا فى سرعة ، ونحن عاجزون عن منع هذا ، وإنقاذ حياتها .

واعتدل بغتة ، ليسأل (محمود) :

ـ كيف حال (رمزى) الآن ؟

كان (محمود) يعلم أنه يحاول الخروج من حالة الإحباط النفسى ، التى سيطرت عليه ، فأجاب فى سرعة :

ـ بخير إلى حد ما ، فقد عالج الأطباء حروقه السطحية ، ولكنه مايزال فاقد الوعى ، وإن أعلنوا أن حالته مستقرة .

تمتم (نور) :

ـ حمدًا لله .

أجهشت (سلوى) بالبكاء دفعة واحدة ، وقالت فى مرارة :

ـ لماذا هى دائمًا ؟.. لماذا كُتب عليها العذاب ، فى كل مرة نواجه فيها واحدًا من تلك المواقف الرهيبة ؟

قال (نور) فى خفوت :

ـ إنه قدرها .

هتف (محمود) فى حماس :

ـ ولكننا لن نستسلم .. مازال هناك أمل أخير .. بقايا الخريطة .

التقى حاجبا (نور) ، وهو يسأله :

ـ أية خريطة ؟

أجاب (محمود) فى انفعال :

ـ إنه جزء من الخريطة ، التى تقود إلى حيث ترقد آخر كمية من عقار النمو ..

لقد التقطه (رمزى) وتشبث به ، حتى بعد أن فقد وعيه .

امتلأت نفس (نور) بالأمل ، وهتفت (سلوى) :

ـ لماذا لم تقل هذا من قبل ؟

أما (نور) ، فسأله :

ـ وأين بقايا الخريطة الآن ؟

أجاب (محمود) ، وهو يشير بيده إشارة مبهمة :

ـ لقد سلمتها إلى الدكتور (ناظم) ، وكل خبراء الكمبيوتر والخرائط يقومون بفحصها الآن ، ومحاولة فك رموزها ، وتحديد موقع العقار .

قال (نور) فى انفعال :

ـ رباه !.. إذن فهناك أمل أخير .



أجاب (محمود) ، وهو يشير بيده إشارة مبهمة :

ـ لقد سلمتها إلى الدكتور (ناظم) ، وكل خبراء الكمبيوتر ..

ارتفع فى هذه اللحظة صوت دقات خافتة ، على باب الحجرة ، فقال (نور) :

- ادخل .

دلف الدكتور (حاتم) إلى الحجرة ، وهو يقول :

- كيف حالك الآن يا (نور) ؟

سأله (نور) :

- بل كيف حال (نشوى) ؟

صمت الدكتور (حاتم) ، وهو يتطلع إليهم فى تردد ، فقالت (سلوى) فى حدة :

- لا تفعل هذا بالله عليك .. أخبرنا ما لديك على الفور .

أجاب فى توتر :

- لقد انخفض عمرها مرة أخرى .

رددت (سلوى) فى ارتياع :

- انخفض ؟!

أومأ الرجل برأسه إيجابًا ، وقال فى أسف :

- إنها فى الثانية من عمرها الآن .

شهقت (سلوى) فى لوعة ، فى حين هتف به (نور) :

- أما من وسيلة لإيقاف هذا ؟

تردد الدكتور (حاتم) لحظات ، ثم أجاب فى خفوت :

- لقد ناقشت هذا الأمر مع (مشيرة) ، ومع علماء مركز الأبحاث الفضائية ، ووجدنا أنه هناك أسلوب وحيد يمكن تجربته .

سألته (سلوى) فى لهفة متوترة :

- ما هو ؟

صمت لحظة ، بدت لهم كالدهر ، قبل أن يجيب :

- سنعمل على تجميدها مرة أخرى .. هذا هو الأمل الوحيد .

وخفق قلب (سلوى) فى عنف ..

★ ★ ★

تحرك الدكتور (ناظم) فى سرعة واهتمام ، داخل قسم الأبحاث ، فى إدارة المخابرات العلمية ، وسأل أحد العلماء فى قلق :

- كيف حال بقايا الخريطة ؟.. هل توصلتم إلى شىء بشأنها ؟

أجابه الرجل فى حماس :

- أعتقد هذا .. إنها تحوى ستة رموز غامضة ، ولكننا تمكنا من حل ثلاثة منها حتى الآن ، ونعتقد أن أحد الرموز الثلاثة الباقية هو خط العرض .

سأله الدكتور (ناظم) :

ـ وماذا عن خط الطول ؟

هزّ الرجل رأسه ، وهو يقول :

ـ لقد توصلنا إليه .. هاهوذا .

التقط الدكتور (ناظم) الورقة ، التى ناوله إياها العالم ، واتجه نحو خريطة ضخمة ، تحتل حائطًا بأكمله ، وقال :

ـ كما توقعت تمامًا .. خط الطول يعبر المحيط الأطلنطى .

راح يراقب الخريطة بضع لحظات ، حتى هتف به العالم :

ـ أظننا حصلنا على خط العرض .

هتف به الدكتور (ناظم) ، بنفس الحماس :

ـ ما هو ؟

أخبره العالم بالرقم ، فأسرع الدكتور (ناظم) يبحث عنه على الخريطة ، ثم انعقد حاجباه فى شدة ، وهو يقول :

ـ نعم .. أظننا توصلنا إلى الموقع المنشود .

قال العالم فى حرارة :

ـ وفى وقت قياسى .. إنه إنجاز عظيم على كل المستويات .

أومأ الدكتور (ناظم) برأسه إيجابًا ، وقال :

ـ هذا صحيح ، ولكن .. هل يمثل فائدة حقيقية ؟

همّ العالم بالاعتراض ، إلا أن بصره وقع على الموقع ، الذى أحاطه الدكتور (ناظم) بدائرة حمراء ، فعقد حاجبيه فى شدة ، وألقى على نفسه السؤال ذاته ..

هل يمثل الموقع فائدة حقيقية ؟..

هل ؟

* * *

بدا التوتر على وجوه الجميع ، وهم يقفون أمام الحاجز الزجاجى ، الذى يفصلهم عن حجرة التجميد ، وغمغم الدكتور (حاتم) ، فى قلق ملحوظ :

ـ إنها أول مرة نفعل فيها هذا ، والجميع يشعرون بشىء من الحيرة والارتباك .

قال (نور) فى خفوت :

ـ أمر طبيعى .

أما (سلوى) ، فأمسكت سترتها ، عند موضع القلب ، وكأنها تحاول إيقاف ذلك الخفقان القوى السريع ، الذى حمل كل قلقها وانفعالاتها ، ولاذت بالصمت التام ، دون أن تنبس ببنت شفة ، وتعلق بصرها بالأسطوانة الزجاجية الشفافة ، التى ترقد بداخلها ابنتها ، وسمعت (مشيرة) تقول فى خفوت :

- فلينته الأمر على خير يا إلهى !.. ساعدنا .

والتقط (محمود) نفسًا عميقًا ، قبل أن يقول فى توتر :

- هل ستتبعون الخطوات نفسها ؟

أجابه خبير التجميد :

- نعم .. سنتعامل مع جسدها وكأنه لم يتعرّض للتجميد من قبل .

سأله فى خفوت :

- ألا يؤذيها هذا ؟

تردّد الرجل لحظة ، قبل أن يجيب :

- ليس من الناحية العلمية ، ولكن جسدها سيتجمّد بشدة ، بحيث تصبح خلاياها سهلة الكسر ، مع أية حركة عنيفة .

ردّد (محمود) فى هلع :

- الكسر ؟!.. ماذا تعنى بالله عليك ؟

أجابه الخبير :

- هذا أمر طبيعى ، فالخلايا تكتسب ليونتها ومرونتها ، بفضل نسبة المياه المرتفعة ، الداخلة فى تكوينها ، أما لو تجمّدت هذه المياه تمامًا ، مع كل السوائل الحيوية الأخرى ، فالخلايا تصبح صلبة ، وتفقد ليونتها ، وهذا يعرّضها للكسر ، مع أية حركة عنيفة .

رأى الهلع يرتسم على وجه (محمود) ، فربّت على كتفه ، مستطردًا :

- ولكن من أين تأتى هذه الحركة العنيفة ؟.. كل شىء ساكن كما ترى .. اطمئن .

التفت (محمود) متطلعًا إلى (نور) ، الذى استمع إلى حوارهما فى صمت ، فقال (نور) :

- دعنا لا نفكّر فى هذا .

ولكن الواقع بالنسبة إليه كان يختلف تمامًا ..

إنه يفكّر فى كل شىء .

حتى فى أضعف الاحتمالات ..

ربما كان الخوف هو دافعه إلى هذا ؟..

أو هى خبرات حياته السابقة ..

حياته التى لم تخلُ يومًا من مواجهات عجيبة وغامضة ومثيرة ..

لقد واجه كل ما يمكن للمرء مواجهته ..

وحوشًا غامضة ..

أحداثًا فوق طبيعية ..

ظواهر خارقة ..

مخلوقات من كواكب أخرى ..

حروبًا كونية ..

كوارث ..
كل شىء ..
ولكن العجيب أنه لم يشعر يومًا بالخوف والقلق ، كما يشعر بهما الآن ، وهو يقف فى انتظار مصير ابنته الوحيدة ..
إنه يشعر الآن وكأن كل خلية من خلاياه ترتجف .. ترتجف فى عنف ..
، استعدوا لبدء عملية التجميد الثانية ، ..
نطقها خبير التجميد ، وانتزعه بها من أفكاره ، فانتفض انتفاضة قوية ، ثم مد ذراعه يحيط به كتفى زوجته ، التى ارتجفت بدورها ، متمتمة :
ـ رباه .. رباه !..
وبدأت عملية التجميد ..
بدأت بضخ النتيروجين السائل ، داخل أسطوانة التجميد ، التى يرقد داخلها جسد (نشوى) ، فشهقت (سلوى) ، وردّدت بصوت مرتفع :
ـ يا إلهى !.. احفظها .. أرجوك .
أما (نور) ، فراح ينقل بصره بين وجوه خبراء التجميد ، الذين راحوا يراقبون نتائج تلك التجربة الجديدة ، على شاشات الكمبيوتر ، والقلق يرسم خطوطه الواضحة فى العيون والوجوه ..

ثم بدأت حركاتهم تتسم بالتوتر ، مما جعل (نور) يسألهم :
ـ أهناك خلل ما ؟
أجابه أحدهم ، فى انفعال واضح :
ـ نعم .. جهاز الفحص مضطرب بشدة ، وهناك خلل غير طبيعى فى أجهزة القياس ، فأحد المراكز الحيوية فى المخ يزداد نشاطًا ، مع ارتفاع نسبة التجمّد ، على عكس المألوف .
سألته (سلوى) مذعورة :
ـ وما الذى يعنيه هذا ؟
قلب كفيه ، قائلاً فى توتر بالغ :
ـ أخبرينا أنت .. إننا لم نشاهد هذا قط من قبل .
وفجأة ، بدأ المكان يرتج فى خفوت ، ثم تزايدت الارتجاجات تدريجيًا ، فهتف كبير خبراء التجميد :
ـ لقد أصيبت الأجهزة كلها بالخلل ، وهى ترتج فى شدة .
ساد هرج ومرج عجيبان ، فى حين تعلّق بصر (محمود) بتلك الأسطوانة الزجاجية ، التى تحوى جسد (نشوى) ، وهتف :
ـ يا إلهى !!.. لقد بدأت الأسطوانة فى الارتجاج .


فقد اندفع داخل حجرة التجميد ، ووثب فوق أحد أجهزة الكمبيوتر ، وانتزع غطاء صندوق أسلاك التغذية الرئيسية ..

صاح به خبير التجميد :

ـ لابد أن نوقف هذا الارتجاج ، وإلا فسيتهشم جسد الصغيرة ، كما يتحطمُ إناء زجاجي هشّ .

هوى قلب (سلوى) بين ضلوعها ، عند سماعها هذه العبارة ، أما (نور) ، فسأل الخبير في حدة :

ـ وكيف يمكن إيقاف هذا الارتجاج ؟

أجابه في عصبية :

ـ إننا نحاول هذا دون جدوى .. لم تعد هناك وسيلة ، سوى قطع أسلاك التغذية الرئيسية .

صاح به (نور) :

ـ وأين هي ؟

أشار الرجل إلى نقطة تعلو أسطوانة (نشوى) ، وهو يقول :

ـ ها هي ذي .

ولم يتردَّد (نور) لحظة واحدة ، على الرغم من حالته الصحية ، فقد اندفع داخل حجرة التجميد ، ووثب فوق أحد أجهزة الكمبيوتر ، وانتزع غطاء صندوق أسلاك التغذية الرئيسية ، والخبير يصيح به :

ـ لا تقطع كل الأسلاك .. فقط الأحمر والأزرق .

مال (نور) جانبًا ، ليلتقط الأسلاك المقصودة ، و ..

وفجأة سقط جهاز الكمبيوتر ، الذى يقف فوقه (نور) ..

سقط ليختلّ توازن (نور) ، ويسقط ..

وفى سقطته ، اتسعت عيناه فى هلع ..

إنه يسقط فى الشىء نفسه ، الذى يسعى لحمايته ..

فوق أسطوانة (نشوى) الزجاجية ..

★ ★ ★

انعقد حاجبا الدكتور (حجازى) فى شدة ، وهو يطالع الإحداثيات ، التى توصّل إليها خبراء الكمبيوتر ، ثم رفع عينيه إلى الدكتور (ناظم) ، يسأله :

ـ هل أخبرت (نور) بهذا ؟

هز الدكتور (ناظم) رأسه نفيًا ، وأجاب :

ـ ليس بعد .. لست أدرى حتى ما سيكون عليه رد فعله ، عندما يعلم هذا .

مطّ الدكتور (حجازى) شفتيه ، وغمغم :

ـ ولا أنا ..

ثم استطرد فى صوت مرتفع :

ـ ولكن ألا نملك وسيلة للتغلّب على هذه العقبة ؟

هزّ الدكتور (ناظم) رأسه نفيًا مرة أخرى ، قبل أن يقول :

ـ لا أعتقد هذا ، فتلك البقعة هى أعمق نقطة ، فى المحيط الأطلنطى كله ، ولم تنجح تكنولوجيا البشر بعد ، فى التغلّب على الضغط الرهيب هناك .. بل يمكننى القول ، وبكل ثقة ، إنه بناء على كل العلوم المعروفة ، فإنه من المستحيل الوصول إلى كل هذا العمق .

صمت الدكتور (حجازى) لحظات مفكّرًا ، ثم قال :

ـ وماذا عن القوات البحرية ؟.. ألا يمتلكون شيئًا يصلح لهذا ؟

هتف الدكتور (ناظم) :

ـ مستحيل !، فلا يوجد معدن واحد ، فى الأرض كلها ، يمكنه مقاومة ما يزيد على ألفى ضغط جوى ، على السنتيمتر الواحد ، ولو فرض أننا وجدنا مثل هذا المعدن ، فسمكه ووزنه سيعنيان قوة دفع هائلة ، من أسفل إلى أعلى ، مما يجعل الهبوط مستحيلًا تقريبًا ، إلى هذا العمق .

قال الدكتور (حجازى) فى أمل :

ـ أتقول تقريبًا ؟

عقد الدكتور (ناظم) حاجبيه ، وقال :

ـ بل هو مستحيل تمامًا .

لاذ الدكتور (حجازى) بالصمت لحظة أخرى ، ثم قال فى حزم :

ـ فليكن .. لن يضيرنا أن نسأل .

والتقط سماعة هاتف الفيديو ، وضغط أزراره فى حماس ، فسأله الدكتور (ناظم) :

ـ بمن تتصل ؟

أجابه فى حرارة :

ـ باللواء (يسرى حسن) .. قائد القوات البحرية الحالى ، وقائد سلاح الغواصات السابق .. إنه صديق قديم ، وهو الرجل المناسب لمثل هذه المشكلة .

لم يكد ينتهى من إجراء الاتصال ، حتى ظهرت على الشاشة صورة رجل أسمر البشرة ، هادئ ورصين الملامح ، له شارب أنيق ، وشعر وخطه الشيب ، فقال الدكتور (حجازى) :

ـ مساء الخير يا سيادة اللواء .. كيف حالك ؟

بدا صوت اللواء (يسرى) رصينًا كهيئته ، وهو يقول :

ـ كيف حالك أنت يا دكتور (حجازى) ؟. مضى زمن طويل ، منذ التقينا لآخر مرة .

تمتم الدكتور (حجازى) :

ـ إنها مشكلات الحياة كما تعلم .

ثم استطرد فى لهفة :

ـ والواقع أن لدى سؤالاً هامًا ، يتعلق بعملك .

ابتسم اللواء (يسرى) ، وقال :

ـ كنت أتوقع هذا .. حسن .. هات ما لديك .

أجابه الدكتور (حجازى) بسرعة :

ـ ألديكم وسيلة للغوص ، حتى أعماق المحيط الأطلنطى .

رفع اللواء (يسرى) حاجبيه فى دهشة ، وهتف :

ـ أعماق الأطلنطى ؟!.. كلاً بالطبع .. لا نحن ولا أية دولة أخرى .. هل تعرف كم يبلغ العمق هناك ؟.. وكم مقدار الضغط الجوى ؟

تمتم الدكتور (حجازى) فى أسف :

ـ نعم .. أعلم هذا .

وعندما أنهى المحادثة ، غمغم الدكتور (ناظم) :

ـ ألم أقل لك ؟

تنهّد الدكتور (حجازى) وقال :

ـ كنت أتشبث بالأمل الأخير ، ولكن ..

صمت لحظة ، قبل أن يستطرد فى حزن جارف :

ـ ولكنه قدر (نشوى) ونهايتها .. نهايتها بلا ريب .

وبكى قلبه بدموع من دم ..

★ ★ ★

٩ ـ السـقوط ..

هل يمكن التحكم فى الجسم البشرى ، فى أثناء السقوط ؟..

هل يستطيع الإنسان مقاومة تأثير الجاذبية الأرضية ، ولو لحظة واحدة ؟..

قبل أن تبحث عن الجواب ، أو تلتقط موسوعتك ، وتقلّب صفحاتها ، دعنا نطالع معًا جواب السؤالين ، عبر ما حدث فى أثناء سقوط (نور) ..

لقد رآه الجميع يسقط ، فوق الأسطوانة مباشرة ، فاتسعت عينا (محمود) فى هلع ورعب ، وشهقت (سلوى) فى قوة ، وتجمدت (مشيرة) مذعورة ..

ولكن اللحظة التالية حملت الكثير ..

والكثير جدًا ..

لقد قلبت الموازين كلها دفعة واحدة ، ورأسًا على عقب ..

حتى موازين الطبيعة ..

لقد كان سقوط (نور) مباشرًا ، فوق الأسطوانة ، ولكن جسده بدا لهم فجأة وكأنه ارتفع عدة سنتيمترات دفعة واحدة ، ثم انحرف يسارًا ، وواصل سقوطه ، بعد أن تفادى الأسطوانة ..

وصرخت (سلوى) ، عندما ارتطم جسده بالأرض :

ـ يا إلهى !.. (نور) .

ولكن (نور) وثب واقفًا على قدميه مرة ثانية ، وانتزع مقعدًا طويلاً ، دفعه أسفل صندوق أسلاك التغذية الرئيسية ، وقفز فوقه ، والأسطوانة ترتج بقوة أكثر وأكثر ، وخبير التجميد يقول :

ـ مستحيل !.. أكاد أقسم أن جسده وثب لحظة إلى أعلى ..

تمتم (محمود) مأخوذًا :

ـ هذا ما حدث بالفعل .

هتف الخبير :

ـ ولكن هذا مستحيل !.. إنه يخالف كل القواعد العلمية المعروفة .

أجابه (محمود) :

ـ هناك قاعدة أقوى ، يتجاهل العلماء وجودها ، فى معظم الأحيان .. قاعدة تعرف باسم (الإرادة) .

قالها و (نور) ينتزع غطاء الصندوق ، ويلقيه بعيدًا ، ثم يجذب السلكين ، الأحمر والأزرق ، بكل ما يمتلك من قوة .

ودوى انفجار مكتوم ..

انفجار فى صندوق أسلاك التغذية الرئيسية ، أطاح بـ (نور) بعيدًا ، فارتطم جسده بالحائط ، ثم سقط أرضًا ..

ومع الانفجار ، انتفضت أسطوانة (نشوى) ، ثم مالت على جانبها ، وبدا للجميع أنها ستهوى أرضًا ، فصرخت (سلوى) :

ـ (نشوى) .. لا .. انقذوا ابنتى .

كانت المسافة التى تفصل الأسطوانة عن (محمود) والخبير بعيدة ، وعلى الرغم من هذا فقد تحرّكا نحوه ، ولكن فجأة ، هبّ (نور) من مكانه ، واندفع نحو الأسطوانة ، ثم أسندها بذراعيه فى حذر ، ودفعها فى رفق ، لتستقر فى موضعها مرة ثانية ، وتهدأ تمامًا ..

ومرة أخرى ، هتف الخبير مأخوذًا :

ـ مستحيل !.. إنها معجزة .

تمتم (محمود) فى ارتياح :

ـ لأنك لا تعرف (نور) كما أعرفه .

أما (سلوى) ، فقد اندفعت نحو (نور) ، واحتضنته فى لهفة ، قائلة :

ـ (نور) .. لقد أنقذت ابنتنا .. أنقذت (نشوى) .

لهث فى تهالك ، وهو يقول :

ـ لقد فعلت شيئًا من أجلها على الأقل .

لحقت بهما (مشيرة) ، وهى تقول :

ـ لولاك لتهشّم جسدها .

قال فى ارهاق ، وهو يحاول النهوض :

ـ وما الفارق ؟.. إنه سيتلاشى على أية حال .

عقدت حاجبيها ، قائلة فى حزم :

ـ ولكنه لم يفعل بعد .

ملأته عبارتها بالحزم والإصرار ، فنهض فى ضعف ، قائلاً :

ـ هذا صحيح ، ونحن لم نفقد الأمل بعد .

ثم سأل خبير التجميد :

ـ هل تعيدون التجربة ؟

أومأ الخبير برأسه إيجابًا ، وقال :

ـ بالطبع .. ولكننا سنعيد برمجة الأجهزة ، بحيث تستعد لحالات التجميد المضاعفة هذه .

سأله (نور) ، وهو يقاوم فى صعوبة ذلك الدوار ، الذى يحيط برأسه :

ـ ومتى تفعلون ؟

أجابه الخبير :

ـ امهلنا ساعة واحدة فحسب .

هتف (نور) معترضًا :

ـ ساعة واحدة ؟!.. أتعلم كم تساوى هذه الساعة من عمر ابنتى ؟!

قال الخبير :

ـ اهدأ أيها الرائد .. إننا نبذل قصارى جهدنا .

صاح به (نور) :

ـ ابذلوا ما هو أكثر .. إنها حياة ابنتى .. ألا تقدرون هذا ؟

اقترب منه الدكتور (حاتم) ، وقال فى حزم :

ـ هل تسمح لى يا (نور) ؟

قالها وغرس إبرة محقن بغتة ، فى ذراع (نور) ، الذى صاح فى استنكار :

ـ ما الذى تفعله ؟

حقنه الدكتور (حاتم) بالمادة التى يحتويها المحقن ، ثم جذبه من ذراعه ، وهو يقول :

ـ هذا لصالحك .. اطمئن .

أمسكه (نور) فى قوة ، وهو يهتف :

ـ ومن سمح لك ؟

ابتسم الدكتور (حاتم) ، قائلاً :

ـ قانون الأطباء .

حاول (نور) أن يفعل شيئًا ، ولكن رأسه دار فجأة فى عنف ، ومادت به الأرض ، و ...

وهوى فاقد الوعى ..

وفى هدوء استقبله الدكتور (حاتم) بين ذراعيه ، وقال لـ (محمود) :

ـ هيا .. ساعدنى لننقله إلى سيارتى ، ونعود به مباشرة إلى المستشفى .

سأله (محمود) فى قلق :

ـ أهى حقنة مخدِّرة ؟!

أجابه الدكتور (حاتم) :

ـ بل منشطة ، تحوى مزيجًا مدهشًا من الفيتامينات ، ولكنها ستفقده وعيه لساعة واحدة ، يستيقظ بعدها مفعمًا بالنشاط والحيوية .

سألته (سلوى) فى قلق :

ـ وما نوع هذا العقار العجيب ؟

ابتسم قائلاً :

ـ لا تقلقى نفسك بهذا .. المهم أن يستعيد نشاطه وحيويته ، فربما يساعده هذا على القتال من أجل ابنته .

وصمت لحظة ، ثم استطرد فى خفوت :

ـ ربما !..

★ ★ ★

كان الدكتور (حاتم) محقًا تمامًا فى تقديره ..

لقد استعاد (نور) وعيه بعد ساعة بالضبط ، وبدا

مفعمًا بالنشاط والحيوية ، وهو يرتدى ملابسه ، ويقول لطبيبه المعالج :

ـ أظن أنه من الممكن أن أغادر المستشفى الآن .

قال الطبيب :

ـ لا تجعل تأثير العقار يخدعك .. إننا نعرفه منذ ثلاث سنوات ، ولكننا نتردد طويلاً قبل استخدامه ، فللجسم البشرى طاقته ، ومن الخطأ أن نستهلك قدرًا كبيرًا منها دفعة واحدة ، إذ أن هذا يرهق خلاياه وأجهزته ، ويجعله أكثر احتياجًا للراحة والنوم ، وهذا يعنى أن فترة النشاط الفائقة ستعقبها فترة إرهاق وانهيار أشد .

سأله (نور) فى قلق :

ـ ومتى تحين فترة الانهيار هذه ؟

أجابه الطبيب ، ملوّحًا بيده :

ـ لا أحد يعلم .. إنها تختلف من شخص إلى آخر ، طبقًا لقدراته الجسمانية الفعلية ، والنشاط الذى يبذله ، بعد تناوله العقار ، ولكنها تتراوح ما بين أربع وعشرين ساعة ، وثلاثة أيام كاملة .

أومأ (نور) برأسه إيجابًا ، وقال :

ـ هذا كل ما أحتاج إليه .

ثم لوّح للطبيب بيده ، مستطردًا :

ـ إلى اللقاء ..

كان يشعر بالقوة تدبّ فى عروقه ، وهو يثب داخل سيارته الصاروخية ، وينطلق بها إلى مركز أبحاث الفضاء ، وهناك استقبله الجميع فى دهشة واضحة ، وهتفت (سلوى) :

ـ (نور) .. إنك تبدو سليمًا معافى .

وقال (محمود) فى ارتياح :

ـ حمدًا لله على سلامتك يا (نور) .

أما الدكتور (حاتم) ، فابتسم قائلاً :

ـ عظيم .. أكثر مما كنت أتوقع بكثير .

سألهم (نور) بصوت قوى :

ـ كيف حال (نشوى) ؟

أجابته (سلوى) :

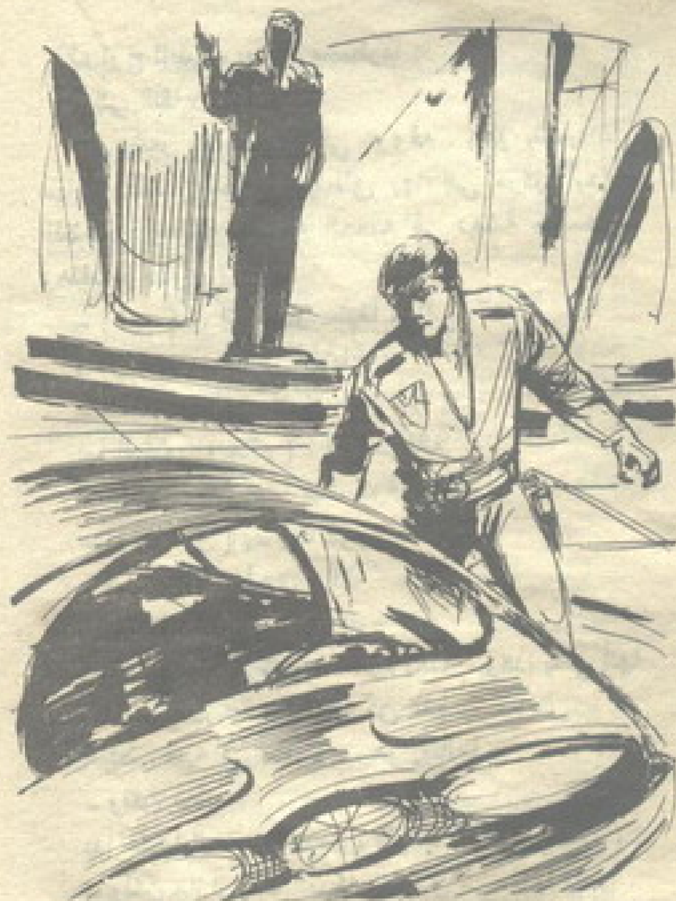
ـ لقد نجحوا فى تجميدها مرة ثانية ، وهذا يعنى أنها حصلت على جرعة مضاعفة من التجميد ، ولكن ..

انتفض قلبه فى صدره ، وهو يسألها :

ـ ولكن ماذا ؟!

بدا عليها الحزن والتردد ، فأجاب الدكتور (حاتم) :

ـ ولكن مازال ذلك المركز الحيوى فى مخها يعمل .


كان يشعر بالقوة تدب فى عروقه ، وهو يثب داخل سيارته الصاروخية ، وينطلق بها إلى مركز أبحاث الفضاء ..

هتف (نور) محنقًا :

ـ ما الذى يعنيه هذا ؟!.. لماذا يقاوم ذلك المركز عمليات التجميد بهذا الإصرار ؟

أجابه الدكتور (حجازى) :

ـ إنه ليس مركزًا حيويًا فى الواقع يا (نور) ، وإن كان بعض العلماء يرجحون كونه كذلك ، ولكنه جزء من الفص الأمامى للمخ ، وهذا الفص الأمامى بالذات يثير خيال واهتمام العلماء ، منذ بدأت أبحاثهم الجادة عن المخ البشرى ، فعلى عكس الأجزاء الأخرى من المخ ، يبدو هذا الفصّ الأمامى خاملاً ساكنًا ، لا يحوى أية وظائف واضحة ، بل إن إزالته تمامًا لم تسبِّب أضرارًا ملموسة لحيوانات التجارب ، مما حدا بالبعضْ إلى استنتاج أن وظيفته ليست عضوية بالدرجة الأولى ، بل تختصّ بالروحانيات مثلاً ، أو الأحلام ، أو حتى الشخصية والإرادة ، ولكنها مجرّد نظريات ، لم تجد دليلاً علميًا واحدًا حتى الآن (*) .. والمكان الذى يعمل فى مخ ابنتك ، هو الجزء الأمامى الأيسر ، من فص المخ الأمامى وحده .. وهذا ما جعل بعض الخبراء هنا يشيرون إلى احتمال وجود مركز حيوى ، فى تلك البقعة بالذات .

(*) حقيقة علمية .

قال (نور) فى عصبية :

ـ هذا لا يجيب سؤالى .. لماذا يقاوم هذا الجزء من مخها عملية التجميد هكذا ؟

قلب الدكتور (حجازى) كفيه ، قائلاً :

ـ هذا ما نبحث عنه جميعًا ، وما يثير حيرتنا وقلقنا .

قال الدكتور (حاتم) فى اهتمام :

ـ فى رأيى أن لهذا علاقة بذلك العقار ، الذى يسرى فى دمها .. إننا لا نعرف تركيبه ، ولكن من الواضح أن وظيفته لا تقتصر على زيادة عمرها فحسب ، بل تتجاوز هذا إلى منح عقلها قوة خاصة ، غير مألوفة فى عالمنا .. قوة ربما يتمتع بها سادة الأعماق هؤلاء ، أو كانوا يتمتعون بها ، قبل أن تعملوا على تدميرهم .. وربما تركز هذه القوة عملها فى الجزء الأمامى الأيسر ، من فص المخ الأمامى ، وهذا يفسر استمرار هذا الجزء فى العمل ، على الرغم من تجميد جسدها كله .

قالت (سلوى) فى حيرة :

ـ ولكن كيف يواصل عمله ، دون الحصول على الأكسجين اللازم ، على الرغم من تجمد الدماء فى عروقها ؟.. أليس الدم هو المسئول عن نقل الغذاء والأكسجين إلى خلايا الجسم المختلفة ؟

أجابها الدكتور (حاتم) :

ـ هذا صحيح ، ولكن ذلك الجزء يعمل فى بطء شديد ، ويحيط نفسه بمنطقة دافئة بوسيلة ما ، تتيح له استهلاك المخزون فى الخلايا المحيطة به من أكسجين .

سأله (نور) فى قلق :

ـ وهل يستمر فى استهلاك الأكسجين من الخلايا المحيطة به إلى الأبد ؟

تطلع إليه الدكتور (حاتم) لحظة فى صمت ، ثم قال :

ـ هذا ما نخشاه بالتحديد أيها الرائد ، فلو واصل هذا الجزء عمله ، وتطفله على الأجزاء المحيطة به ، سيلتهم كل مخزون الأكسجين والطاقة لديها ، خلال يوم واحد على الأكثر .

سأله (نور) :

ـ وماذا يحدث عندئذ ؟

صمت الدكتور (حاتم) طويلاً هذه المرة ، وهو يدير عينيه فى وجوههم جميعًا ، قبل أن يجيب فى صوت خافت متردد :

ـ فى هذه الحالة لن تكون هناك فائدة من إيقاظ ابنتك ، وإعادتها إلى حالة الوعى ، لأنها ستكون قد فقدت المحرك الرئيسى لجسمها كله .. المخ .

* * *

مضت فترة طويلة نسبيًا ، من صمت رهيب ثقيل ، خيّم على المكان كله ، قبل أن ينتفض (نور) ، ويقول فى حدة :

ـ لن ننتظر حدوث هذا .

ثم اندفع نحو حجرة التجميد ، مستطردا :

ـ لابد أن نفعل شيئًا .

اعترض خبير التجميد طريقه ، صائحا :

ـ ابتعد .. ليس لديك ما تفعله .

صرخ به (نور) ، وهو يدفعه بعيدًا فى قوة :

ـ لن يمكنك منعى .. لابد أن أفعل شيئا لإنقاذها .

اندفع الجميع نحوه ، وحاولوا تكبيل حركته ، وتهدئة ثورته ، والدكتور (حجازى) يهتف :

ـ اهدأ يا (نور) .. لست تملك شيئًا .. لست تملك شيئا يا ولدى .

ثم أمسك كتفى (نور) فى قوة ، وصرخ فى وجهه مكرّرا :

ـ لست تملك شيئًا .

توقّف (نور) عن الصراخ ، وتطلّع إليه فى مرارة ويأس ، فكرّر الرجل فى خفوت شديد ، وحنان مشفق :

ـ كلنا لا نملك شيئًا من أجلها يا ولدى .

ترقرقت عينا (نور) بالدموع ، وارتجفت شفتاه لحظة ، ثم اندفع مغادرًا المكان كله ، فهتفت (سلوى) فى لوعة :

ـ فلنلحق به .. إنه مصاب بإحباط شديد .

أما (نور) ، فقد انطلق يعدو خارج مركز أبحاث الفضاء ، ووثب داخل سيارته ، وانطلق بها بأقصى سرعة ، مبتعدا عن المكان ، وعن آلامه كلها ..

وفى مرارة ، ترك دموعه تسيل على خديه ، وهو يردّد :

ـ ساعدنى يا إلهى !.. ساعدنى على إنقاذ ابنتى الوحيدة .. لقد عانت الكثير فى هذا العالم ، منذ حداثتها .. ساعدنى على إنقاذها والاحتفاظ بها .

اغرورقت عيناه بالدموع ، وهو ينطلق بالسيارة ، حتى تجاوز حدود المدينة الجديدة ، وضغط فرامل السيارة فى رفق ، وتركها تتوقّف فى تلك البقعة الخالية ..

ولثوان ، ظلّت أفكاره كلها جامدة ، صامتة مبلبلة .. ثم استعادت ذاكرته واحدا من المواقف التى لن ينساها أبدا ، مهما بلغ به العمر ..

موقفا حدث فى هذا المكان ..

وفى هذه البقعة بالتحديد ..

كان هذا بعد رحيل الغزاة بزمن قصير(*) ، وتفجيرهم لقنبلة (جاما) فى سماء كوكب الأرض ، التى ذهبت بالعقول ، وأعادت العالم إلى عصور البدائية والتخلف(**) ..

وبعد قتال رهيب ، ومحاولات مستميتة ، نجح (محمود) والدكتور (رشاد خيرى) ، أشهر خبراء الأشعة ، فى اختراع القنبلة العكسية ، التى يمكنها إزالة آثار قنبلة (جاما)(***) .

ولكن بقيت مشكلة واحدة ..

كيف يتم تفجير القنبلة العكسية ؟.

وما يزال (نور) يذكر ما حدث ، حتى هذه اللحظة ، وكأنما هو ذكرى قريبة للغاية ..

يذكره بكل تفاصيله ..

يذكر كيف شرح الأمر كله لـ (س ـ ١٨) .. ذلك الآلى القادم من أعماق الماضى ، والذى صنعه عباقرة (أطلانطس)(****) ..

(*) راجع قصة (الاحتلال) .. المغامرة رقم (٧٦) .
(**) راجع قصة (النصر) .. المغامرة رقم (٨٠) .
(***) راجع قصة (أرض العدم) .. المغامرة رقم (٨٣) .
(****) راجع قصة (المقاتل الأخير) .. المغامرة رقم(٤٧) .

مايزال يذكر عبارة (س ـ ١٨) الأخيرة :

ـ (س ـ ١٨) فى خدمتك يا سيدى .

ثم انطلق ..

انطلق بصواريخه الدافعة إلى سماء الكوكب ، بسرعته الفائقة ، حتى بلغ نفس الموضع ، الذى انفجرت فيه قنبلة (جاما) ، ثم توقف فى الهواء ، وراح جسده يتألق ، حتى أضاء المكان كله ، كشمس صغيرة ، أشرقت فى غير موعدها ..

ثم حدث ذلك الانفجار ..

انفجار رهيب ، سطع كشمس عملاقة ، فى سماء الكوكب كله ، وانطلق منه غلاف إشعاعى هائل ، أحاط الكوكب فى سرعة الضوء ، فتألق غلافه الجوى ببريق أخاذ لثلاث دقائق ، وبعدها اختفى ..

ومعه اختفى الآلى ..

(س ـ ١٨) ..(*)

كل هذا يذكره (نور) ؛ ولم ينس منه حرفًا واحدًا ..

وبكل الألم والمرارة فى أعماقه ، صرخ (نور) :

ـ أين أنت الآن يا (س ـ ١٨) ؟.. إننى أحتاج إليك .. أين أنت الآن ؟ كرر صراخه مرات ومرات ، حتى لحقت به سيارة (محمود) ؛ وقفزت منها (سلوى) ، هاتفة :

(*) راجع قصة (أرض العدم) .. المغامرة رقم (٨٣) .

- (نور) .. لا تفعل هذا .

ولكنه صرخ مرة أخرى :

- إننى أحتاج إليك يا (س - ١٨) .

احتوته (سلوى) بين ذراعيها فى حنان ، وهتفت :

- (نور) .. لا تفعل هذا قط .. إننى لم أرك أبدًا ضعيفًا عاجزًا ، مثلما أراك الآن .. لا يا (نور) .. لا تستسلم لضعفك أبدًا .. أريدك قويًا كما أنت دائمًا .. قويًا وصلبًا يا (نور) .

غمغم (محمود) فى ألم :

- لقد بذل جهدًا يفوق طاقة البشر .

صاحت (سلوى) :

- ولكنه أقوى من عرفت .. إنه لن يفقد الأمل أبدًا .. سنجد الوسيلة لإنقاذ ابنتنا يا (نور) .. سنجدها بإذن الله .

تمتم (نور) ، وهو يسيطر على أعصابه :

- نعم يا (سلوى) .. سنجدها بإذن الله .. إننى لم أفقد الأمل أبدًا ، ولكننى لم أعتد هذا الشعور البغيض بالعجز .. يا إلهى !.. لو أن (س - ١٨) هنا ، و ...

قاطعته بسرعة :

- لا تجعل هذه الفكرة تسيطر عليك يا (نور) .. إننا

سنجد الحل بدون (س - ١٨) .. لقد رحل (س -١٨) يا (نور) .. رحل إلى الأبد .

أومأ (نور) برأسه إيجابًا ، وأدار محرك سيارته ، مغمغمًا :

- نعم .. رحل إلى الأبد .

وانطلق عائدًا إلى منزله فى صمت .. وفى ألم .

* * *

١٠ ـ العـــودة ..

جاءت تلك الليلة عاصفة ممطرة ، انهمرت فيها الأمطار فى غزارة ، وتألق البرق فى السماء ، وراحت الرياح تطلق صفيرًا مخيفًا مزعجًا ..

ووسط كل هذا ، تسللت (سلوى) إلى حجرة مكتب (نور) شبه المظلمة ، وفتحت بابها فى رفق ، وهمست :

ـ (نور) .. أمازلت مستيقظًا ؟

أتاها صوت (نور) ، وهو يقول فى مرارة :

ـ وكيف يغمض لى جفن ، و (نشوى) تتعرض لكل هذا ؟!

تطلعت إليه مشفقة ، على ضوء مصباح خافت ، مثبت فوق مكتبه ، ثم اتجهت إليه قائلة فى حنان :

ـ لا أحد يمكن أن يحيا دون نوم أو راحة ، فللجسم البشرى متطلباته ، كما يقول الدكتور (حاتم) ، وتذكر ذلك العقار الذى حقنك به .. لا تعجل بقدوم مرحلة الانهيار .

غمغم فى ألم :

ـ لقد حاولت .

ثم زفر فى عمق ، قبل أن يضيف :

ـ وفشلت .

تطلعت إليه لحظة فى تعاطف ، ثم احتوت رأسه بكفيها ، وضمته إلى صدرها فى حنان ، وهى تقول :

ـ أدرك جيدًا كيف تشعر يا (نور) ، فهى ابنتى الوحيدة مثلك ، ولكننى أدرك أيضًا أننا لن نفيدها كثيرًا ، إذا ما قتلنا أنفسنا إرهاقًا .

قال فى خفوت :

ـ ليت الأمر بيدى .. إننا نفقد الكثير فى كل ساعة تمر ، ولست أجد وسيلة واحدة لمساعدتها .

غمغمت فى أسى :

ـ الدكتور (حاتم) يؤكد أن التجميد الإضافى أدى إلى انخفاض ملحوظ ، فى العد التنازلى لعمرها ، وهذا يمنحنا مزيدًا من الوقت .

قال بسرعة :

ـ ولكن ذلك الجزء المستيقظ من عقلها يلتهم خلايا المخ بلا رحمة .

تنهدت فى عمق ، وقالت :

ـ وماذا بيدنا لنفعله ؟

تمتم فى مرارة :

ـ لست أدرى .

ثم انتفض جسده فجأة ، وهو يستطرد :

ـ ولكننى لن أستسلم لهذا .

هبَّ من مقعده ، ووقف صامتًا ، أمام صورة ابنته ، التى تزين مكتبه ، وأضاف فى حنق وألم :

ـ أترين كيف كانت ؟!.. شابة جميلة ، مفعمة بالنشاط والحيوية والأمل .. كيف هى الآن ؟.. مخلوق بائس ، تسير حياته ضد الزمن ، فينخفض عمره فى كل لحظة تمضى ، على عكس باقى البشر .

شعرت بالألم من أجله ، وقالت فى خفوت :

ـ وهل نملك ما نفعله من أجلها ؟

صرخ فى مرارة :

ـ ينبغى أن نحاول .

قالت فى إحباط :

ـ لقد حاولنا يا (نور) ، ولكننا لم نفلح .. صحيح أننا عرفنا الموقع ، الذى توجد فيه آخر كمية من عقار النمو ، ولكن من المستحيل أن نتوصَّل إليه .. إنه على عمق رهيب يا (نور) .

ردد متألمًا :

ـ أعلم هذا .. لقد أخبرنى الدكتور (ناظم) ، و ...

بتر عبارته بغتة ، والتقى حاجباه فى شدة ، وهو يتطلَّع إلى شرفة حجرة المكتب ، التى تطل على حديقة المنزل ، فاعتدلت (سلوى) فى توتر ، وسألته :

ـ ماذا هناك ؟

أجاب فى خفوت :

ـ شخص ما تسلَّل إلى الشرفة .

اضطربت وهى تختلس النظر إلى الشرفة ، وسألته هامسة :

ـ هل رأيته ؟

أجاب وهو يدور حول مكتبه ، ويلتقط مسدسه الليزرى من أحد أدراجه :

ـ بل سمعت صوته .

غمغمت متوترة :

ـ ربما هو هزيم الرعد ، أو ...

قاطعها فى حزم :

ـ بل هو شخص ما ..

اتجه فى حذر إلى الشرفة ، التى انسدلت عليها ستارة ناعمة ، وهو يشير إلى (سلوى) ، هامسًا :

ـ ابتعدى قليلاً ، فقد يطلق النار .

التصقت بالمكتب فى خوف وقلق ، وراقبته وهو يتجه فى خطوات حذرة إلى الشرفة ، وهتفت همسًا :

ـ احترس يا (نور) .

لوَّح لها بيده ، طالبًا منها الصمت ، فى نفس اللحظة التى سطع فيها البرق فى السماء ..

وعلى ضوء البرق ، شهقت (سلوى) شهقة مكتومة .. فـ
لقد أوضح البرق ظل شخص ما ، يقف جامدًا أمام الشرفة مباشرة ..

شخص مخيف ..

وهمست (سلوى) مكررة فى ذعر :

ـ احترس يا (نور) .

ولكن (نور) وثب نحو الشرفة فى جرأة ، وفتحها على مصراعيها بضربة واحدة ، وصوّب مسدسه إلى القادم ، هاتفًا فى صرامة :

ـ ألديك تفسير لوجودك هنا يا صاح ؟

وفى نفس اللحظة ، سطع البرق مرة أخرى ، واتسعت عينا (نور) فى دهشة ، وهو يحدق فى الشخص الواقف أمامه ، والذى ردّد بصوت معدنى مألوف :

ـ (س ـ ١٨) فى خدمتك يا سيّدى ..

وخفق قلب (نور) فى قوة ..

وفى أمل .

* * *

[انتهى الجزء الأوّل بحمد الله]

ويليه الجزء الثانى

(الرحلة الرهيبة)

رقم الإيداع ٣٢١٥

روايات مصرية للجيب



ملف المستقبل

٩٢

الرحلة الرهيبة

د. نبيل فاروق

ملف المستقبل

فى مكان ما من أرض مصر ، وفى حقبة ما من حقب المستقبل ، توجد القيادة العليا للمخابرات العلمية المصرية .. يدور العمل فيها بهدوء تام وسرِّيَّة مطلقة .. من أجل حماية التقدم العلمى فى مصر .. ومن أجل الحفاظ على الأسرار العلمية التى هى مقياس تقدم الأمم .. ومن أجل هذه الأهداف يعمل فريق نادر تم اختياره بدقة بالغة :

— نور الدين : واحد من أكفأ ضباط المخابرات العلمية يقود الفريق .

— سلوى : مهندسة شابة ، وخبيرة فى الاتصالات والتتبع .

— رمزى : طبيب بارع متخصِّص فى الطب النفسى .

— محمود : عالم شاب وإخصائى فى علم الأشعة .

فريق نادر يتحدَّى الغموض العلمى والألغاز المستقبلية .. إنهم نظرة أمل للمستقبل .. ولمحة من عالم الغد .

د . نبيل فاروق

١ ـ الأمـل ..

سطع البرق فى تلك الليلة ، فى سماء القرن الحادى والعشرين ، وتبعه هزيم الرعد ، والرائد (نور الدين) يتطلع فى مزيج مدهش من الذهول والسعادة ، إلى (س ـ ١٨) ، ذلك المقاتل الأطلنطى الآلى الأخير(*) ، الذى عاد إلى عالمنا فجأة ، بعد أن غادره بانفجار هائل رهيب ، أعاد إلى الأرض آدميتها وحضارتها(**) ..

أما (سلوى) ، فقد تجمَّدت فى مكانها ، واتسعت عيناها غير مصدِّقة ، وهى تردِّد :

ـ (س ـ ١٨) ؟!.. مستحيل !

كانت معجزة بالفعل ، أن يظهر (س ـ ١٨) ، فى هذه الليلة بالذات ..

وفى لحظة ، استعاد ذهنها ذكريات الفترة الأخيرة دفعة واحدة ..

تذكَّرت كيف بدأت ابنتها (نشوى) تفقد عمرها بغتة ، وتسير فيه عكس الزمن ، بحيث تصير أصغر سنًّا ، فى كل يوم يمرّ(***) ..

(*) راجع قصة (المقاتل الأخير) .. المغامرة رقم (٤٧) .
(**) راجع قصة (النصر) .. المغامرة رقم (٨٠) .
(***) راجع قصة (البركان) .. المغامرة رقم (٨٩) .

لقد انتهى فجأة تأثير ذلك العقار الجهنمى ، الذى أعطاها إياه سادة الأعماق ، فى خلال تجربة شيطانية رهيبة(*) ..

وكان على الفريق أن يسعى لإنقاذها ..

ودون تردد ، ولأن (نور) كان مصابًا ، خرج (رمزى) و (محمود) للبحث عن خط الدفاع الثانى لسادة الأعماق ؛ للتوصل إلى بقايا العقار ، الذى يمكن أن ينقذ (نشوى) ، قبل أن تفقد عمرها كله ، وتتلاشى من دنياها ، وكأنها لم تكن ..

وفى أعماق الأطلنطى ذاقا الأمرين ..

حاربا حيوانات متوحشة ، وواجها بقايا ما تركه سادة الأعماق ، وكادا يفقدان عمريهما فى انفجار رهيب ، أو بأسنان أسماك القرش المتوحشة ..

ولكن كل هذا كان بلا طائل ..

لقد نسفت مركبة سادة الأعماق الأخيرة نفسها ، ولم يعد بإمكان أحد استعادة بقايا العقار ..

وخسرت (نشوى) فرصة مثالية ..

ولكن (رمزى) انتزع بقايا خريطة ما ، فى خط الدفاع الثانى ، قبل أن ينسف نفسه بنفسه ..

(*) راجع قصة (سادة الأعماق) .. المغامرة رقم (٦٢).

ومن بقايا تلك الخريطة ، توصل خبراء الكمبيوتر والخرائط ، إلى تحديد موقع العقار ..

ولكن بلا فائدة ..

لقد جاء هذا الموقع فى أعمق أعماق المحيط الأطلنطى ..

أعماق لم يصل إليها بشرى من قبل ..

ولايمكن أن يصل إليها ..

وفى الوقت نفسه ، كانت هناك محاولات لإنقاذ (نشوى) ، بتجميد جسدها ، ومنع الانخفاض المستمر فى عمرها ..

ولكن حتى هذه المحاولة لم تفلح ..

لقد ظل هناك جزء ما من مخها يعمل ، وينتزع الغذاء والأكسجين من خلايا المخ الأخرى ..

وواصل عمر (نشوى) انخفاضه ..

وفى غمرة يأسه وشعوره بالعجز ، انطلق (نور) بسيارته إلى تلك البقعة ، التى اختفى فيها (س-١٨) ، وراح يناديه من أعمق أعماق قلبه ..

واستجاب (س-١٨) للنداء ..

فى نفس الليلة ، ووسط عاصفة ممطرة ، عاد (س-١٨) فجأة كما اختفى ..

عاد مرتدًا العبارة الوحيدة ، التى يحتويها برنامجه الآلى ، بكل لغات الدنيا :

- (س-١٨) فى خدمتك يا سيِّدى ..

وخفق قلب (نور) فى قوة ..

وفى أمل(*) ..

ومضت لحظات طويلة من الصمت والذهول ، سطع خلالها ضوء البرق مرتين ، ثم هتف (نور) فى سعادة غامرة :

- (س-١٨) .. إذن فقد أتيت .

ردَّد (س-١٨) فى آلية :

- (س-١٨) فى خدمتك يا سيِّدى .

التفت (نور) إلى (سلوى) ، وهتف :

- إنه الأمل يا (سلوى) .. الأمل فى إنقاذ (نشوى) .

شعرت (سلوى) بقدميها تعجزان عن حملها ، فتهاوت على المقعد الذى كان يجلس عليه (نور) منذ لحظات ، وردَّدت :

- حمدًا لله .. حمدًا لله .

(*) لمزيد من التفاصيل ، راجع الجزء الأول (ضد الزمن) .. المغامرة رقم (٩١) .

أما (نور) ، فقال فى لهفة :

- ادخل .. ادخل يا (س-١٨) .. لن تتصوَّر أبدًا كم أنا سعيد بعودتك .

دخل (س-١٨) إلى حجرة المكتب فى صمت ، ووقف ساكنًا كتمثال مخيف ، فهبَّت (سلوى) من مقعدها ، وهتفت :

- مرحبًا بك معنا مرة أخرى يا (س-١٨) .. ولكن أخبرنى .. ماذا أصابك ؟.. كيف اختفيت ؟ وكيف عدت مرة ثانية ؟

كان (س-١٨) يرغب فى إخبارها بالفعل ، إلا أن برنامجه لم يكن يحوى دائرة صوتية خاصة ، أو أسلوبًا طبيعيًا لشرح ما لديه ، لذا فقد اكتفى بوقفته الساكنة ، وهو يردِّد :

- (س-١٨) فى خدمتك يا سيِّدى .

وبعدها عاد إلى الصمت ..

الصمت التام ..

* * *

عندما ارتفع (س-١٨) إلى سماء الكوكب ، وراح يبث الأشعة العكسية ، لم يكن يدرى ما سيصيبه بالضبط ، بل لم يفكر حتى فى الأمر ، فبرنامجه المتفوِّق لم يكن يحوى خلية إلكترونية واحدة ، قادرة على الشعور بالخوف أو القلق ..

كل ما يعرفه (س-١٨) هو ضرورة طاعة الأوامر ..

بل حتمية هذا ..

وعلى الرغم من أن أجهزته قد سجّلت فقدانا هائلا وسريعا للطاقة ، وراحت تطلق داخله إنذارا بالغ الخطورة ، إلا أنه لم يتوقف قط ، عن بث الأشعة العكسية ، حتى يكتمل تنفيذ الأمر ..

ثم حدث الانفجار ..

وفى سرعة تفوق الوصف ، راحت أجهزة (س-١٨) تسجّل التغيرات العجيبة والمدهشة ، التى حدثت بسرعة خرافية ..

لقد هوى جسده الآلى فى بئر عميقة سوداء ، وتطايرت حوله شرارات من ضوء مبهر ، مختلف الألوان ، ثم حدثت فرقعة مكتومة ، وتوالي ظهور واختفاء مشاهد عديدة ، لا يستغرق الواحد منها أكثر من جزء من الثانية ، مع أصوات مزعجة وكثيرة ، اختلطت وامتزجت ، حتى صارت مجرّد صفير مزعج متصل ..

ثم انتهى كل شيء بغتة ..

وراحت أجهزة (س-١٨) تسجّل إحداثيات المكان الجديد ، الذى وصل إليه ..

كان مكانا شبيها بالأرض ، وإن أضيئت سماؤه بلون أحمر باهت ، وخلت من النجوم والأقمار ..

وحتى من الشمس ..

وبينما هو معلّق فى سماء ذلك المكان ، رأى من تحته رجالًا ونساء ، لايختلفون كثيرًا عن رجال ونساء الأرض ، باستثناء تلك الوجوه الصفراء الشاحبة ..

وكانوا يشيرون إليه فى هلع ..

ومع نفاد الطاقة تقريبا ، لم يجد (س-١٨) ضرورة أو فائدة ، من البقاء طائرًا على هذا النحو ، فهبط بالقرب من هؤلاء القوم ، الذين تراجعوا مذعورين ، وانكمشوا على أنفسهم ، وراحوا يراقبونه فى ارتياع كامل ..

ولكن (س-١٨) بقى جامدًا ..

لقد استهلك كل طاقته تقريبًا ، ولم يتبق لديه سوى قدر ضئيل منها ، ينبغى اختزانه وادخاره ، لحين الحاجة الشديدة إليه ..

ومضت أيام كاملة ، دون أن يحرّك (س-١٨) ساكنا ، وطوال هذه الأيام لم يتوقف صفر الوجوه عن مراقبته فى حذر وقلق ..

كان من الواضح أنهم شعب بدائى ، لم يبلغ بعد أدنى درجات التقدم والحضارة ، وأن هبوط (س-١٨) المباغت

من السماء قد أرعبهم ، وأفزعهم ، وولد الكثير والكثير فى عقولهم وقلوبهم ..

ولكن من هم ؟.. وما هو عالمهم ؟..

هذا ما لم يدركه (س-١٨) أبدًا ..

وما لم يحاول حتى معرفته ..

ومع مرور الوقت ، راح أشجع هؤلاء القوم يقتربون من (س-١٨) فى حذر ، ولكنه لم يجرؤ على لمسه ..

وبعدها اقترب الكثيرون ..

وأصبح (س-١٨) معبودًا لهؤلاء الوثنيين ..

لقد ربطوا فى بدائية وجهل ، ما بين هبوطه من السماء ، ومعتقدات قديمة لديهم ، فاعتبروه مبعوثًا إلهيًا ، وراحوا يقدمون له القرابين ، ويتقربون إليه ..

كل هذا دون أن يحرّك (س-١٨) ساكنًا ..

وفجأة .. وذات يوم ، بعد مرور فترة طويلة ، تلقت أجهزة (س-١٨) نداءً من بعيد ..

وكان النداء يحمل صوت سيّده ..

صوت (نور) ..

لم يدر (س-١٨) كيف بلغه النداء ، ولكن أجهزة الكمبيوتر المتطوّرة فى أعماقه درست الأمر ، وتوصّلت إلى أن فجوة ما قد حدثت ، بين عالم سيّده ، وذلك العالم الذى هو فيه الآن ، عندما حدث الانفجار ..

وعبر هذه الفجوة ، تلقى (س-١٨) النداء ..

وكان من الضرورى أن يلبى (س-١٨) نداء سيّده ..

ولكنْ كيف ؟..

إنه يفتقر إلى الطاقة اللازمة ..

وكان على أجهزة (س-١٨) المتطوّرة أن تحل هذه المشكلة ..

مشكلة الطاقة ..

وفى تلك الليلة بالذات جاءت العاصفة ..

وجاء الحل ..

ومع أوّل ظهور للصواعق فى سماء ذلك العالم العجيب ، بدأ (س-١٨) عمله ، للحصول على الطاقة اللازمة للعودة ..

لقد ارتفع من جسده سلك رأسى طويل ، إلى ارتفاع خمسة أمتار ، ثم ارتفع جسده كله بضعة سنتيمترات عن الأرض ..

وساد الذعر فى المكان ..

إنها أوّل مرة يتحرّك فيها (س-١٨) ، منذ هبط إليهم ..

وفجأة ، جذب السلك المرتفع من جسد (س-١٨) صاعقة ..

صاعقة هائلة ، انقضت عليه من السماء الحمراء ، وأصابت السلك ، ثم اندفعت عبره بكل طاقتها المدهشة ، إلى جسد (س-١٨) ..

ولأن جسده كان يرتفع عن الأرض ، فقد امتصَّ طاقة الصاعقة كلها ، دون أن تبتلع الأرض منها إلا النزر اليسير ..

وتألق جسد (س-١٨) بطاقة هائلة ..

ومن حناجر القوم حوله ، ارتفعت صرخة ذعر وارتياع ، عندما انطلق فجأة إلى السماء ، ثم دوت فى المكان فرقعة هائلة ، اختفى بعدها (س-١٨) ..

اختفى من عالمهم ..

والفارق بين (س-١٨) والبشر ، هو أن جسده يمكنه أن يختزن كل ما مرّ به من تغيرات جوية أو مغنطيسية أو كونية ..

وبمنتهى الدقة ..

ولهذا لم يكن من الصعب على (س-١٨) أن يكرّر ما أصابه ، عندما حدث الانفجار ، على كوكب الأرض ..

وبمنتهى الدقة أيضًا ..

وبطاقة كبيرة ، عبر (س-١٨) تلك الفجوة بين الأبعاد ، وعاد إلى عالمه ..

إلى الأرض ..

عاد ليلبى نداء (نور) ..

وليعيد إليه الأمل ..

★ ★ ★

« معجزة ! »

هتف (محمود) بالكلمة مبهورًا ، وهو يتطلّع إلى (س-١٨) ، الذى وقف صامتًا ساكنًا ، فى ركن حجرة مكتب (نور) ، وقال الدكتور (حجازى) فى انفعال :

- عظيم .. أعتقد أن أجهزة (س-١٨) المتطوّرة ، يمكنها تحليل تلك المادة العجيبة ، الموجودة فى دماء (نشوى) .

قال (نور) فى حزم :

- لقد تغيّر تركيب تلك المادة حتمًا يا دكتور (حجازى) ، ومن الخطر أن نعتمد على نتائج تحليلاتها الآن لإنقاذ (نشوى) .

قالت (سلوى) :

- ولكن لابد أن نحاول .

قال (نور) :

- ليس بهذا الأسلوب .

سأله (محمود) فى حيرة :

- كيف إذن ؟

تطلع (نور) إلى (س-١٨) ، وأجاب فى حسم :

- سيساعدنى (س-١٨) على الوصول إلى العقار ، فى أعماق المحيط الأطلنطى.

تطلعوا إليه فى دهشة وذعر ، قبل أن يهتف الدكتور (حجازى) :

- هل جننت يا (نور) ؟.. أتعرف عمق تلك المنطقة من المحيط الأطلنطى .. حيث خط الطول خمسة وخمسون درجة ، وخط العرض ثمانية وعشرون درجة .. إنها أعمق نقطة فى المحيط الأطلنطى كله ، ويبلغ عمقها ستة آلاف وتسعمائة وأربعة وتسعين مترًا .. أى ما يقرب من سبعة كيلو مترات(*) .

قال (نور) فى حزم :

- لسنا نعرف قدرات (س-١٨) كلها ، ولكننى واثق من أنها تفوق ما توصلنا إليه من علوم ومعارف بكثير .

هتف الدكتور (حجازى) :

- ولكن اللواء (يسرى حسن) ، قائد القوات البحرية ، أكد أنه من المستحيل الوصول إلى ...

قاطعه (نور) فى حسم :

- ولِمَ لا نسأل (س-١٨) نفسه ؟

(*) حقيقة جغرافية وعلمية .

ثم التفت إلى (س-١٨) ، وسأله فى هدوء :

- (س-١٨) .. ألديك وسيلة لنقلى إلى خط الطول خمسة وخمسين درجة ، وخط العرض ثمانية وعشرين درجة ، وحتى أعمق أعماق المحيط الأطلنطى.

صمت (س-١٨) لحظة ، راجعت أجهزته خلالها إحداثيات المكان ، وكل ما لديها من قدرات مختزنة ، ثم قال (س-١٨) عبارته الوحيدة :

- (س-١٨) فى خدمتك يا سيدى .

وخفق قلب (نور) فى ارتياح ، فنطق (س-١٨) للعبارة لا يعنى سوى أمر واحد ..

أنه يستطيع هذا ..

وأنه ما يزال هناك أمل .

* * *





وخفق قلب (نور) فى ارتياح ، فنطق (س ـ ١٨) للعبارة لا يعنى سوى أمر واحد ..

٢ ـ الرحلة ..

فركت (مشيرة محفوظ) عينيها فى إرهاق ، وهى تجلس خلف مكتبها ، فى جريدة أنباء الفيديو ، وتطلّعت إلى ساعتها فى تهالك ، وهى تغمغم :

ـ الثانية والنصف صباحًا .. أعتقد أن وقت النوم قد حان يا (مشيرة) .

كانت أوّل مرة تأتى فيها إلى الجريدة ، منذ استنجدت بها (نشوى) ، حتى أنها احتاجت إلى ست ساعات متواصلة من العمل ، حتى أمكنها إنهاء كل المتعلقات ، وأخيرًا شعرت برغبة عارمة فى الحصول على قسط من الراحة ، فنهضت من خلف مكتبها ، والتقطت حقيبة يدها الصغيرة ، وأغلقت جهاز الكمبيوتر الموضوع أمامها ، وهمّت بالانصراف ..

ولكن فجأة ، ارتفع أزيز هاتف الفيديو ..

فى البداية فكرت فى تجاهل الأزيز ، ومغادرة المكتب بسرعة ، إلا أن حسّها الصحفى منعها من ذلك ، وجعلها تلتقط سمّاعة هاتف الفيديو ، وهى تقول :

ـ (مشيرة محفوظ) ، من جريدة أنباء الفيديو .

رأت على شاشة الهاتف صورة الدكتور (أنور كامل) ، مدير المستشفى المركزى الجديد ، وهو يقول :

ـ (مشيرة) .. حمدًا لله أن وجدتك .. إننى أنبش الأرض بحثًا عنك ، منذ أكثر من ساعة .

قالت فى قلق :

ـ ولماذا لم تتصل بمكتبى مباشرة ؟

أجابها فى لهجة توحى بالعجلة :

ـ كان الوقت متأخرًا ، ولم أتوقع أن .. على أية حال . لقد وجدتك .

سألته وقلقها يتزايد :

ـ هل حدث شىء ما لـ (نشوى) ؟

أجاب فى سرعة :

ـ الأمر لايتعلق بـ (نشوى) ، بل بـ (أكرم) .

خفق قلبها فى قوة ، مع سماع الاسم ..

(أكرم) !.. الوحيد الذى خفق له قلبها ، منذ انفصالها عن (رمزى) ..

(أكرم) الذى فعل الكثير من أجلها ، عندما كان العالم بدائيًا متخلفًا(*) ..

(*) راجع قصة (أرض العدم) .. المغامرة رقم (٨٣) .

(أكرم) ، المقاتل الباسل ، الذى أنقذ (نور) ورفاقه ، وسقط بعدها فى غيبوبة عميقة ، لم يستيقظ منها ، حتى هذه اللحظة(*) ..

وبكل لوعتها وقلقها ، الذى بلغ ذروته ، هتفت (مشيرة) :

ـ ماذا به ؟.. ماذا أصابه ؟

أجابها الدكتور (أنور) فى حماس حقيقى :

ـ لقد استيقظ .

انتفض قلبها فى قوة ، من فرط المفاجأة ، وحدقت لحظة فى شاشة هاتف الفيديو ، قبل أن تتمتم فى خفوت مثير :

ـ استيقظ .. هل تعنى أنه قد استعاد وعيه ؟

هتف الدكتور (أنور) :

ـ هذا ما أعنيه بكل تأكيد .. إنه واحد من القلائل ، الذين يستعيدون وعيهم ، بعد الوقوع فى مثل هذه الغيبوبة العميقة .

ألقت نفسها مرة أخرى على مقعدها ، ودفنت وجهها بين كفيها ، وهى تبكى فى سعادة غامرة ، وتردد :

ـ حمدًا لله .. حمدًا لله .

(*) راجع قصة (الامبراطور) .. المغامرة رقم (٨٦) .

صمت الدكتور (أنور) لحظات ، حتى امتصت انفعالها الأولى ، ثم قال :

ـ أتعلمين ما أوّل كلمة نطقها ؟

سألته فى لهفة :

ـ ما هى ؟

أجابها مبتسمًا :

ـ اسمك ..

تهدّج صوتها ، وهى تهتف :

ـ حقًا ؟!

ابتسم الدكتور (أنور) أكثر ، وهو يقول :

ـ إنه يطلب رؤيتك ، و ...

قفزت من مقعدها صائحة :

ـ سأحضر على الفور .

وانطلقت تعدو عبر طرقات المبنى ، على نحو أثار طاقم الأمن وبعض العاملين فى نوبة الليل ، ووثبت داخل سيارتها ، وأسرعت بها إليه ، وقلبها يخفق بكلمة واحدة لاتتغيّر .. باسمه ..

★ ★ ★

« استعد للإقلاع .. سيبدأ العد التنازلى على الفور .. » .

خفق قلب (سلوى) ، مع هذه العبارة ، وتطلّعت بقلق شديد إلى تلك المقاتلة ، التى تحمل (نور) و (س ـ ١٨) إلى الموقع المنشود ، فوق المحيط الأطلنطى ، وتمتمت متوترة :

ـ تُرى هل ينجحان ؟

أجابها الدكتور (حجازى) ، وهو يراقب المقاتلة بتوتر مماثل :

ـ هذا هو أمل (نشوى) الوحيد .

لم تعلّق (سلوى) على العبارة ، على الرغم من ذلك الذعر الهائل ، الذى تشعر به فى أعماقها ..

إنها تخشى ، وبشدة ، فشل مهمة (نور) ..

هذا لن يعنى بالنسبة إليها ضياع آخر أمل لابنتها فحسب ..

بل يعنى فقدان زوجها أيضًا ..

لم يعد هناك وسط ..

إما أن ينجح (نور) ، وإما أن تفقد زوجها وابنتها بضربة واحدة ..

وبلغ العد التنازلى لحظة الصفر ..

وأقلعت المقاتلة ..

وهوى قلبها بين ضلوعها ..

أما (نور) ، فقد لزم الصمت التام ، عندما انطلقت المقاتلة ..

وطوال رحلتها تقريبًا ..

كانت المقاتلة تنطلق بسرعتها القصوى ، التى تبلغ سبعة أضعاف سرعة الصوت(*) ، وعقله يعمل بسرعة الضوء(**) ..

إنه يدرك خطورة المهمة التى يقدم عليها ، ودقتها .. ولكن ليس أمامه بديل ..

سيغوص فى أعماق الأطلنطى ، أو حتى فى قلب الشمس ..

المهم أن ينقذ ابنته ..

ابنته الوحيدة ..

لم يدر كم ظلّ يراجع الموقف ويدرسه ، و (س ـ ١٨) صامت جامد ، حتى ارتفع صوت الطيار ، وهو يقول عبر جهاز اتصال خاص ، يربط كابينته بالجزء الذى يجلس فيه (نور) و (س ـ ١٨) :

ـ لقد وصلنا إلى الهدف .

سرى انفعال عجيب فى جسد (نور) ، وهو يقول :

ـ ونحن نستعد للقفز .

سأله الطيار فى حيرة :

ـ ألن تستخدم مظلة ، أو زورق نجاة مطاطيًا ؟

(*) سرعة الصوت : ١٢٢٥ كيلومترًا فى الساعة تقريبًا ، فى الظروف المناسبة .

(**) سرعة الضوء : ٣٠٠٠٠٠ كيلومتر فى الثانية .

أجابه (نور) :

ـ كلا .. إننا سنغوص على الفور .

هتف الطيار فى دهشة :

ـ تغوص ؟!.. هنا ؟!

ثم هزّ رأسه فى استنكار ، وإن استطرد مستسلمًا :

ـ فليكن .. هذا شأنك .

وانخفض بطائرته إلى أقل ارتفاع ممكن ، عن سطح المحيط ، وقال :

ـ عندما يضىء المصباح الأخضر ، تكون فوق الهدف تمامًا .

راقب (نور) المصباح الأخضر فى اهتمام ، حتى سمع الطيار يقول :

ـ الآن .

أضاء المصباح الأخضر فى اللحظة نفسها ، وانفتحت فجوة فى قاع الطائرة ، وهتف (نور) :

ـ هيا يا (س ـ ١٨) .

وقفز الاثنان من الطائرة ..

ولثوان ، سبح جسداهما فى الهواء ، فى مشهد خرافى ، تمتم له الطيار مبهورًا :

ـ يا له من رجل !..

ثم ارتطما بالماء ، وغاصا نحو الأعماق ..
وهنا بدأت مهمة (س-١٨) ..
وبرنامج (س-١٨) المتفوّق ، يلزمه دائمًا بتنفيذ مهامه بكل دقة ..
وبنجاح ..
ومن صدر (س-١٨) ، انطلقت كرة شفافة ، تعاظم حجمها في سرعة مدهشة ، حتى ارتطمت بجسد (نور) في رفق ، ثم أحاطت به في لحظة واحدة ..
وشعر (نور) وكأنه يخترق حاجزًا من الهواء البارد ، ثم أصبح داخل الكرة الشفافة ..
وهنا أمسك (س-١٨) الكرة الشفافة ، وأشعل صواريخه الدافعة ، وانطلق إلى الأعماق ..
وسرت قشعريرة أخرى في جسد (نور) ..
لقد بدأت رحلته إلى أعمق أعماق الأطلنطي ، ولكن لا أحد يعلم متى تنتهي ...
ولا كيف تنتهي ..

* * *

ارتسمت ابتسامة ضعيفة واهنة ، على شفتي (أكرم) ، عندما اندفعت (مشيرة) داخل حجرة العناية المركّزة ، وتمتم في تهالك :

أهلًا يا جميلتي .
راح قلبها ينبض في عنف ، وهي تتطلّع إليه ، وقدماها لا تقويان على إكمال طريقهما ، حتى قال هو بابتسامة حانية :
- ألن تصافحيني على الأقل ؟
وجدت نفسها فجأة تعدو نحوه ، وتلقى نفسها بين ذراعيه ، ثم تنفجر باكية ، وهي تهتف :
- (أكرم) .. حمدًا لله على سلامتك .. لم أصدّق أبدًا أننا سنلتقي مرة أخرى ، في هذا العالم .
تحسّس شعرها في حنان ، وهو يقول :
- عمر الشقي بقي يا عزيزتي .. كل ما كنت أخشاه هو أن يسرق آخر قلبك مني ، مستغلًا غيبوبتي الطويلة ، ولكن حمدًا لله .. مازلت ملكًا لي .
بكت بين ذراعيه ، وهي تقول :
- لن تتصوّر مدى سعادتي .. لن تتصوّر أبدًا .
ضحك في ضعف ، وقال :
- امنحيني الفرصة فقط لاسترداد قوتي ، وسأتصوّر أي شيء في الدنيا .. أعدك بذلك .
ثم اكتسى صوته بحنان جارف ، وهو يتابع :

- سأقتحم المستحيل دون تردد يا (مشيرة) .. ما دمت إلى جوارى .

مرة أخرى نبض قلبها فى عنف ، وهى تريح رأسها على صدره ، وتستمع فى ارتياح إلى دقات قلبه المنتظمة ..

وفى تلك اللحظة بالذات ، أدركت (مشيرة) أنها عاشقة ..

عاشقة حتى النخاع ..

★ ★ ★

خيّم صمت مهيب ، على أروقة مبنى المخابرات البريطانية ، فى قلب (لندن) ، فى تلك الساعة المتأخرة ، قبل أن يُسمع من بعيد وقع أقدام تقترب ، ويظهر فى نهاية الرواق شاب وسيم ، أنيق الملبس ، يبدو أشبه بلوردات القرن العشرين ، ويتجه مباشرة نحو مكتب مدير المخابرات البريطانية ، وعندما ضغط زر الأمن أمام الباب ، اعتدل فى أناقة ، ومرّر أصابعه بين خصلات شعره الناعم ، ثم وقف ثابتًا ، وقال فى صوت هادئ :

- (جيمس برادلى) .. الرقم الكودى (٦٠٣) ..

مضت لحظة من الصمت ، أدرك (جيمس) خلالها أن جهاز الفحص الآلى يفحصه بمنتهى الدقة ، من قمة رأسه وحتى أخمص قدميه ، قبل أن يرتفع صوت مدير المخابرات ، عبر جهاز اتصال خاص ، وهو يقول :

- ادخل يا (جيمس) .

وانفتح الباب فى هدوء ، ليبدو من خلفه مدير المخابرات ، الذى تابع فى صرامة ، وهو يشعل سيجارًا ضخمًا :

- أين كنت يا (جيمس) ؟.. نحن نبحث عنك منذ ساعتين .

ابتسم (جيمس) فى شىء من الخبث ، وهو يجيب :

- كان هناك حفل خاص ، و ...

لم يتمّ عبارته ، وترك للمدير استنتاج الباقى ، فعقد المدير حاجبيه ، وقال فى غلظة :

- فهمت .

ثم نفث دخان سيجاره فى قوة ، وواصل دون أن يحاول دعوة (جيمس) للجلوس :

- ما رأيك فى (مصر) يا (جيمس) ؟

أجابه (جيمس) فى حذر :

- دولة متطوّرة ، تتخذ طريقها إلى مصاف الدول العظمى ، منذ بداية القرن الحادى والعشرين ، وتقع فى شمال شرق (أفريقيا) ، وعاصمتها الحالية هى (القاهرة) الجديدة ، و ...

قاطعه المدير فى حدة :

- لست أريد رأيًا مدرسيًا يا (جيمس) .. أريد رأيك من الوجهة العملية .

ابتسم (جيمس) مرة أخرى فى خبث ، وقال :

- فى هذه الحالة سيختلف رأيى حتمًا يا سيدى ، فأنا قلق بشأن ذلك التقدم ، الذى تحرزه (مصر) ، فى مجالات التكنولوجيا وعلوم الفضاء ، منذ رحيل الغزاة ، فهم يمتلكون الآن ما يجعلهم واحدة من الدول العظمى بالفعل ، على الرغم من أنهم كانوا تحت سيطرتنا ، فى النصف الأوّل من القرن العشرين(*) .

لوّح المدير بسيجاره ، قائلاً :

- بالضبط .. وهذا لا يقلقك وحدك يا (جيمس) ، ولكن يقلقنا جميعًا ، وبالذات رئيس الوزراء ، الذى طلب منا القيام بهذه العملية .

برقت عينا (جيمس) ، عند سماعه هذه العبارة الأخيرة ، وداعب بسبابته جيب صديريته ، وهو يقول :

- عظيم .. كنت أشتاق لشىء مماثل .

مطّ المدير شفتيه دون مبرر ، ثم قال :

(*) بدأ الاحتلال البريطانى لـ(مصر) ، فى عام ١٨٨٢م ، ولم ينته فعليًا إلا مع جلاء القوات البريطانية عن منطقة قناة السويس ، عام ١٩٥٦م .

- هل تعرف مركز أبحاث الفضاء المصرى ؟.. إنه المركز الوحيد فى العالم كله الآن ، الذى يمتلك سر التجميد البشرى ، وهذا يعنى أن المصريين وحدهم يمكنهم القيام برحلات فضائية طويلة ، والسيطرة على فضاء كوكبنا ، ويعنى بالتالى أنهم سيصبحون أقوى قوة ضاربة ، وتنعكس الأوضاع تمامًا .

ابتسم (جيمس) ، وهو يقول :

- هل ترغب فى تدمير مركز أبحاث الفضاء ؟

أجابه المدير فى حدة :

- كف عن أسلوب تفكيرك الهمجى هذا يا (جيمس) .. تدمير مركز أبحاث الفضاء يحتاج إلى هجوم جوى وبرى .. كل ما نريده هو ذلك العقار الخاص ، الذى يتمّ حقنه فى أوردة رواد الفضاء ، لتستجيب دماؤهم لعملية التجميد .. أما الباقى فهو أمر معروف ، منذ نهايات القرن العشرين .

امتزجت ابتسامة (جيمس) بشىء من الخبث والزهو ، وهو يقول :

- إذن فكل ما تريدونه هو العقار .. أليس كذلك ؟

أجابه المدير فى حزم ، وهو يدق سطح مكتبه بقبضته :

- بالضبط .

بدا الجذل فى صوت (جيمس) وملامحه ، وهو يقول :

ـ أهناك وسيلة محدودة ، أم ..؟

قاطعه المدير :

ـ استخدم أية وسيلة تشاء .. المهم أن تحصل على العقار .

تألقت عينا (جيمس) ، وهو يقول :

ـ اتفقنا .

وعندما ابتسم ، كانت ابتسامته تمنح معنى جديدًا لعبارة (أية وسيلة) ..

وخطيرًا .

★ ★ ★



٣ ـ الأعمـــاق ..

لم تكن الرحلة إلى أعماق الأطلنطى قصيرة ، حتى مع سرعة (س ـ ١٨) وقوته ..

أو هكذا خُيِّل لـ (نور) ..

لقد شعر باللحظات الأولى من الغوص ، عن طريق الضوء الخافت ، الذى يتسلل عبر المياه ، ثم لم يلبث أن غرق فى ظلام دامس ، بعد لحظات قصار ، ولم يعد يرى أو يشعر بالغوص ..

كانت الكرة الشفافة ، التى أحاطه بها (س ـ ١٨) ، تعزله تمامًا عن كل المؤثرات الخارجية ..

وبعد فترة بدت كالدهر ، رأى أمامه بعض الأسماك المضيئة ، ظهرت ثم اختفت بسرعة ، فأدرك أنه بلغ عمقًا سحيقًا ، وتمنـى لو يسأل (س ـ ١٨) عن المسافـة المتبقية ..

ولكن فجأة ، سطع ضوء مبهر إلى جواره ..

لقد كان (س ـ ١٨) ، الذى وصل إلى القاع ، واستقرّ واقفًا فوقه ، ثم أحاط جسده بغلاف ساطع مضىء ، لينير المكان أمام (نور) ..



كانت الكرة الشفافة ، التى أحاطه بها (س ـ ١٨) ، تعزله تمامًا عن كل المؤثرات الخارجية ..

وفي حماس ، هتف (نور) ..

ـ إذن فقد بلغنا القاع .. رائع يا (س ـ ١٨) .. كنت أعلم أنك ستفعلها .

لم يدر ما إذا كانت تلك الكرة المحيطة به عازلة للصوت أم لا ، ولكنه قال :

ـ هيًا يا (س ـ ١٨) .. دعنا نبحث عن العقار .

تحرَّك (س ـ ١٨) فى هدوء ، على قاع المحيط ، وهو يضىء الطريق أمامه ، وراحت أجهزته تبحث فى دقة متناهية عن العقار ..

ومرَّت الثوان كالساعات ، والدقائق كدهور كاملة ، و (س ـ ١٨) يبحث فى تلك المنطقة عن وعاء قوى ، يحوى داخله آخر كمية من العقار المنشود ..

وفجأة توقَّف (س ـ ١٨) ..

ومع توقُّفه خفق قلب (نور) فى عنف ، وهو يقول :

ـ هل .. هل توصَّلت إليه يا (س ـ ١٨) ؟

لم يجب (س ـ ١٨) .. أو أنه أجاب ، دون أن يصل صوته إلى (نور) ، ولكنه ترك الكرة الشفافة مستقرة على القاع ، واتجه فى خطوات سريعة مباشرة إلى نقطة ما ، وانحنى يزيح عنها الرمال فى سرعة ، ثم لم يلبث أن التقط جسمًا أسطوانيًا متوسط الحجم ، ثم رفعه أمام وجهه واستدار يواجه (نور) ..

وبكل الانفعال الكامن فى أعماقه ، صرخ (نور) :

ـ لقد عثرنا عليه .. رائع يا (س ـ ١٨) .. رائع .

وفجأة ، تجمدت الكلمات على شفتيه ، واتسعت عيناه فى ذهول تام

لقد ظهر جسم ضخم خلف (س ـ ١٨) تمامًا ..

جسم آلى مخيف ..

وبغتة ، وقبل أن ينطق (نور) بحرف واحد ، أو تلتقط أجهزة(س ـ ١٨) هذا الجسم الآلى ، انطلق شعاع أخضر ، شق المحيط ، وارتطم بجسم (س ـ ١٨) ..

ولأول مرة ، فى حياته كلهـــا ، رأى (نور) جسد (س ـ ١٨) يثب فى عنف ، كما لو كان جرذًا أصابته صاعقة هائلة ، ثم يسقط على قاع المحيط ..

ولم يتحرك (س ـ ١٨) ثانية ..

لقد بقى ساكنًا بعد إصابته ، كما لو أن تلك الأشعة الخضراء قد التهمت طاقته تمامًا ..

وفى بطء ، خفتت الأضواء التـــى تشع من جسد (س ـ ١٨) ، فى حين تألق الجسم الآلى الضخم بضوء زيتونى باهت ، بدت معه ملامحه واضحة جلية ..

كان أشبه بواحد من سادة الأعماق ، فى حجم عملاق ..

وأدرك (نور) على الفور أن هذا هو الحارس ..

حارس العقار ..

حارس آلى ، تركه سادة الأعماق خلفهم ، ليحموا بقايا العقار ، الذى يضمن لهم الانتقام التام من كوكب الأرض والبشر ..

وفى بطء استدار ذلك الحارس الآلى العملاق إلى الكرة الشفافة ، التى تحوى جسد (نور) ، وصوب إليها بندقية ضخمة ، و ..

وأطلق الأشعة الخضراء المهلكة ..

* * *

ابتسم (أكرم) فى مزيج من الدهشة والارتياح ، وهو يقبض أصابعه ، ويحرك عضلات ذراعيه وقدميه ، وقال للدكتور (أنور) ، الواقف إلى جواره :

ـ رائع .. لقد تلاشى الإرهاق تمامًا ، وأشعر بنشاط عجيب يدب فى جسدى ..

ما تلك المادة التى حقنتنى بها يا رجل .. أكسير الحياة ؟

ابتسم الدكتور (أنور) ، وقال :

ـ بل هو عقار منشط ، مازال فى مرحلة التجارب حتى الآن .

توقف (أكرم) ، والتفت إليه ، قائلاً فى سخرية :

ـ وأنا فأر التجارب المنشود .. أليس كذلك ؟

ضحكت (مشيرة) ، وقالت :

ـ بل أنت البطل ، الذى يحتاج إليه .

رفع حاجبيه فى دهشة مصطنعة ، وهتف فى مرح :

ـ البطل ؟!.. لماذا لم تنطقيها من البداية يا عزيزتى ؟!.. لو فعلت لما كانت هناك حاجة لأية عقاقير منشطة ..

ضحكت فى خجل ، وهى تقول :

ـ من أين تنتقى عباراتك ؟

جذبها إليه بحركة مباغتة ، وتطلع إلى عينيها مباشرة ، وهو يجيب :

ـ من عينيك الساحرتين يا أميرتى .

تنحنح الدكتور (أنور) ، فسيطرت (مشيرة) على خفقات قلبها المرتجف ، وأفلتت منه هاتفة فى حياء :

ـ من الواضح أنك استعدت وعيك تمامًا .

قال الدكتور (أنور) :

ـ لايمكن الجزم بهذا ، قبل إجراء عدد من الاختبارات ، و ...

قاطعه (أكرم) ، هاتفًا فى مرح :

ـ النجدة .. رحماك ياسيدى الطبيب ، ما أنا إلا فأر تجارب مسكين ، أوقعنى سوء الحظ فى براثنكم .. امنحنى بعض الوقت .. أرجوك .. أريد أن ألتقى بكل الأصدقاء

أولًا .. وبالذات الرائد (نور) ، وزوجته ، وابنته عبقرية الكمبيوتر النابهة ، و ...

بتر عبارته بغتة ، عندما رأى تلك النظرة فى عيونهما ، وسأل فى قلق :

ـ ماذا حدث ؟.. هل أصيب (نور) بمكروه ما ؟

تبادلت (مشيرة) نظرة سريعة مع الدكتور (أنور) ، ثم أجابته :

ـ (نور) ليس هنا .. إنها ابنته (نشوى) .

هتف مذعورًا :

ـ ماذا أصابها ؟

تنهدت (مشيرة) ، وقالت :

ـ إنها قصة طويلة .

عقد حاجبيه فى صرامة ، وجلس على طرف فراشه ، وهو يقول فى حزم :

ـ لا بأس .. لقد قضيت وقتًا أطول فاقد الوعى ، ولن يضيرنى قضاء وقت مماثل ، فى الاستماع إلى ما جرى .

وهنا لم تجد (مشيرة) لديها حلًا آخر ..

لقد انطلقت تروى له ما حدث ..

وبكل التفاصيل ..

* * *

لم يدر (نور) أبدًا ماذا يمكن أن يفعل ، فى مثل هذا الموقف ..

كان سجينًا داخل الكرة الشفافة ، وأمامه آلى عملاق ، يصوّب إليه سلاحًا ساحقًا ، كاد يحطّم (س ـ ١٨) نفسه ..

ولن يتردّد العملاق الآلى حتمًا فى سحقه بلا رحمة ..

فالآليون بلا مشاعر ..

وفى برود مخيف ، صوّب الآلى العملاق سلاحه إلى (نور) ، و ...

وفجأة ، نهض (س ـ ١٨) ..

كانت قذيفة الآلى عنيفة بالفعل ، إلا أنها لم تؤذ (س ـ ١٨) تمامًا ، كما بدا الأمر ..

لقد أطاحت به فحسب ، عدة أمتار فى قاع المحيط ، ثم رقد يدرس تلك الطاقة الهائلة ، ويحلّلها على مهل ..

وفى اللحظة التى نهض فيها ، كان قد أدرك طبيعة السلاح الذى يواجهه ..

إنه مدفع للطاقة السلبية ..

طاقة هائلة ، من المادة المضادة ، ما أن تلمس شخصًا ما ، حتى تستنفذ طاقته كلها دفعة واحدة ..

ولكن طاقة (س ـ ١٨) كانت أيضًا هائلة ..

وفى اللحظة التى كاد العملاق الآلى يضغط فيها زناد سلاحه ، نهض (س ـ ١٨) ، وعاد يتألق بتلك الضوء المبهر ..

وبكل اللهفة والارتياح والأمل ، هتف (نور) :

ـ (س ـ ١٨) !.. إنه لم يهزمك إذن .

وفى الثانية التالية ، كان الآلى العملاق يستدير نحو (س ـ ١٨) ..

ولكن (س ـ ١٨) أطلق أشعته أوّلًا ..

أشعة أرجوانية ، شقّت مياه المحيط ، وأصابت الآلى العملاق فى صدره مباشرة ، فقسمته إلى قسمين ..

ولكن القسم العلوى أطلق بندقيته مرة أخرى ..

ومرة ثانية ، أصابت الطاقة السلبية الهائلة صدر (س ـ ١٨) ، وألقته بعيدًا ..

ولكن (س ـ ١٨) نهض هذه المرة بسرعة مدهشة ، وأطلق أشعته الأرجوانية مرة أخرى ..

وفى هذه المرة ، كانت الإصابة فى موضعها تمامًا ..

لقد فصلت ذراع الآلى العملاق ، الممسكة ببندقية الطاقة السلبية ، عن جسده ، فهوت الذراع فى الأعماق ، وفقد الآلى سلاحه الرهيب ..

وأطلق (س ـ ١٨) أشعته للمرة الثالثة والأخيرة ..

وانفجر الآلى العملاق ..

انفجر من داخله ، دون أن تتناثر أجزاؤه بعيدًا ، بفضل الضغط الهائل ، فى هذه الأعماق السحيقة ، التى لم يبلغها بشر من قبل ..

ولكن الثمن كان غاليًا ..

لقد استنفد ذلك القتال العنيف القصير كل طاقة (س-١٨) تقريبًا ..

الطاقة السلبية انتزعت معظمها ، وتكوين الشعاع الأرجوانى تكفّل بالبقية الباقية ..

وشعر (س-١٨) بهذا ..

أجهزته كلها راحت تطلق إنذارات تحذيرية متصلة ، جعلته يتخذ قرارًا غير مألوف ..

لقد اتجه نحو الوعاء الخارق ، الذى يحوى بقايا العقار ، وانتزعه من مكانه ، ثم اتجه به نحو الكرة الشفافة ، التى تضمّ جسد (نور) ..

وفى خفة ، ألصق (س-١٨) الوعاء بجدار الكرة الشفافة ، فتكوّنت فى موضع التماس كرة شفافة صغيرة ، احتوت الوعاء ، ثم انزلقت فى خفة مذهلة ، عبر جدار الكرة الأولى ، وسقطت تحت قدمى (نور) ، الذى هتف :

- ها هو ذا .. حمدًا لله .. لقد نجحنا يا (س-١٨) .. نجحنا .

ولكن أضواء (س-١٨) خفتت بغتة ، وراحت تخفت ، وتخفت ، وتخفت ، حتى اختفت تمامًا.

ووجد (نور) نفسه غارقًا فى ظلام دامس ، فهتف :

- (س-١٨) .. أين أنت ؟

خُيّل إليه أن الكرة تتحرّك بمحاذاة القاع ، إلا أنه لم يستطع أبدًا التيقن من شعوره هذا ؛ نظرًا لأن الكرة تعزله تمامًا عن كل المؤثرات الخارجية ..

وكان الظلام من حوله رهيبًا مخيفًا ..

وفجأة ، بدت تلك النقطة المضيئة من بعيد ..

ضوء فيروزى باهت ، بدا فى البداية وكأنه مجرّد وهم ، أو خداع بصرى ..

ثم اتضحت الصورة بغتة ..

كانت أطلالاً قديمة ، ترقد فى قاع المحيط ، وجدرانها تتألق بضوء فيروزى باهت ضعيف ..

ومع هذا الضوء الباهت ، رأى (نور) (س-١٨) ..

كان قد أطفأ أنواره ، ليدخر المتبقى من طاقته ، وانطلق نحو المكان الوحيد ، الذى يشعر فيه بالألفة ، فى المحيط الأطلنطى كله ..

نحو أطلال القارة التى أنجبته ..
أطلال (أطلانطس) ..

★ ★ ★

بدا (جيمس برانلى) شديد الوسامة والأناقة ، وهو يهبط من الحوامة الخاصة ، التى أوصلته إلى (القاهرة الجديدة) ، وعلى عتبة المطار ، استقبله ثلاثة من رجال سفارته ، صافحه أحدهم فى حرارة ، وهو يقول :

ـ مرحبًا بك فى (القاهرة الجديدة) يا مستر (جيمس) .

سأله (جيمس) فى برود ، وهو يتجه إلى السيارة التى تنتظره :

ـ هل جمعتم المعلومات اللازمة ؟

أجابه آخر :

ـ نعم يا مستر (جيمس) .. إننا نعرف أين يحتفظون بالعقار ، إنه داخل مبرِّد خاص ، فى المبنى المخصَّص للتجميد البشرى ، وهو مبنى يتكوَّن من طابق أرضى واحد ، به قاعة وثلاث حجرات ، ويوصله بمبنى أبحاث الفضاء رواق خاص ، و ..

قاطعه (جيمس) :

ـ وماذا عن الحراسة ووسائل الأمن ؟

أجابه الرجل بسرعة :

ـ خمسة حراس بمدافع الليزر ، وكمبيوتر أمن من طراز (بى.جى) .

ابتسم (جيمس) ، وغمغم :

ـ عظيم .

قال الرجل الثالث فى حماس :

ـ لقد أعددنا خطة متكاملة ومتقنة يا مستر (جيمس) .. سنفسد الكمبيوتر بوساطة موجات ألفا ، ونستخدم عواكس الليزر ، و ...

قاطعه (جيمس) مرة أخرى ، وهو يبتسم فى وسامة :

ـ كلا .. لدى خطة أبسط من هذا بكثير .

سأله أحد الثلاثة فى شغف :

ـ ما هى يا مستر (جيمس) ؟

تألقت عينا (جيمس) فى جذل واضح ، وهو يقول :

ـ سأشرحها لكم بالتفصيل ، عندما نصل إلى السفارة ، وحتى ذلك الحين ، يمكننا أن نطلق عليها اسمًا كوديًا .

ثم اتسعت ابتسامته ، وتضاعف الجذل المطلّ من عينيه ، وهو يضيف :

ـ اسم (حرب العصابات) .

وتحوّلت ابتسامته إلى ضحكة ..
ضحكة مخيفة .

★ ★ ★

٤ ـ عبق التاريخ ..

كان هذا هو الأمل الوحيد بالنسبة لـ (س ـ ١٨) ..

أن يبلغ أطلال (أطلانطس) ..

حيث مصادر الطاقة ، التى لم تنفد بعد ، على الرغم من مرور قرون وقرون ، على انهيار حضارة (أطلانطس) القديمة ، وغرقها فى أعماق المحيط ..

ولقد نجح ..

مع آخر مخزون الطاقة لديه ، بلغ الأطلال القديمة ، التى كانت فيما مضى تتوهج فى أعمق أعماق الأطلنطى ، بضوء فيروزى مبهر ، لم يلبث أن استحال إلى ضوء باهت ، بعد أن تسربت آلاف الأطنان من الطاقة ، فى مياه المحيط ، عبر آلاف السنين ..

ولم ينبس (نور) ببنت شفة ، وهو يتطلع مبهورًا إلى الممرات القديمة ، والأعمدة المضيئة ، و (س ـ ١٨) يعبر به طرقات (أطلانطس) القديمة ، التى تداعت بفعل عوامل التعرية فى قاع المحيط ، متجهًا إلى هدف يحفظه عن ظهر قلب ..

وأخيرًا توقف (س ـ ١٨) ، أمام كتلة صخرية ضخمة ، وغمغم (نور) :

ـ إذن فهذه هى (أطلانطس) .

وفى صمت خرج من جسد (س ـ ١٨) جسم أسطوانى سميك ، التصق بالكتلة الصخرية الضخمة ، وقال (نور) ، وهو يراقبه فى اهتمام :

ـ فهمت .. لقد نفد مخزون الطاقة لديك ، وأتيت لتتزوّد بالطاقة هنا .

لم يجب (س ـ ١٨) ، بل اتخذ وقفة ثابتة جامدة ، وألصق أطراف أصابعه الآلية بالكتلة الصخرية ، ثم ضغطهم فى قوة ..

وفجأة ، تألقت الكتلة الصخرية بشدة ..

وهتف (نور) مبهورًا ، وهو يخفى عينيه :

ـ يا إلهى !.. يا لها من طاقة !..

وبقوة لا مثيل لها ، تدفق نهر من الطاقة الصافية إلى جسد (س ـ ١٨) ..

وراح الوهج الفيروزى يخفت بسرعة ..

كان (س ـ ١٨) ينتزع آخر دفعة من الطاقة ، التى تركها رجال (أطلانطس) ..

آخرها على الإطلاق ..

وفى قلق ، غمغم (نور) :

ـ ماذا تفعل يا (س ـ ١٨)؟



لم يجب (س ـ ١٨) ، بل اتخذ وقفة ثابتة جامدة ، وألصق أطراف أصابعه الآلية بالكتلة الصخرية ، ثم ضغطهم فى قوة ..

خفتت الأضواء بسرعة مدهشة ، ولكنها لم تلبث أن تألقت فجأة بقوة رهيبة ، جعلت (نور) يصرخ :

ـ ماذا تفعل بالله عليك ، يا (س ـ ١٨) ؟

وفى دهشة وذعر ، لاحظ (نور) أن الكرة الشفافة ، التى تحيط به ، تتضخّم بسرعة مذهلة ، كما لو كانت بالونًا ضخمًا ، فصاح مكرّرًا للمرة الثالثة :

ـ ماذا تفعل يا (س ـ ١٨) ؟

ومع آخر حروف كلماته ، انفجرت الكرة الشفافة فجأة ..

وكان الضغط هائلًا ..

وقاتلًا ..

★ ★ ★

انعقد حاجبا (أكرم) فى شدة ، وهو يستمع إلى (مشيرة) ، ثم قال فى أسف :

ـ يا للمسكينة !.. إذن فالعمر ينهار بابنة (نور) ، ويسير فى عكس اتجاه الزمن ، وأملها الوحيد فى البقاء يتمثّل فى نجاح (نور) ، فى استعادة ذلك العقار الشيطانى ، من أعمق أعماق المحيط الأطلنطى .

أومأت (مشيرة) برأسها إيجابًا ، وقالت :

ـ هذا صحيح .

نهض قائلا فى حزم :

ـ فيم انتظارنا إذن ؟.. هيا بنا .

سأله الدكتور (أنور) فى دهشة :

ـ إلى أين ؟

أجابه على الفور :

ـ إلى مركز أبحاث الفضاء بالطبع .. أعز أصدقائى يحتاجون إلى وجودى الآن ، ولن أتركهم وحدهم فى محنتهم قط .

قال الدكتور (أنور) معترضًا :

ـ ولكنك بحاجة إلى المزيد من الفحوصات ، و ...

قاطعه فى حزم :

ـ فيما بعد يا دكتور (أنور) .. فيما بعد .

ودون أن يمنحه فرصة لمزيد من الاعتراض والمناقشة ، جذب (أكرم) (مشيرة) ، قائلًا فى حسم :

ـ هيا .. دعينا لا نضيع المزيد من الوقت .

تبعته صاغرة ، ولحقت به فى خطوات سريعة ، ثم تأبطت ذراعه ، وهى تبتسم فى سعادة وفخر وإعجاب ..

ومن أعماقها ، تساءلت فى دهشة : كيف لم تشعر بحبها الشديد له من قبل ؟...

كيف لم تدرك أنها لم تحب سواه ؟..

حتى فى علاقتها بـ (رمزى) ، وزواجها منه ، لم تشعر قط بخلجات القلب ، التى تشعر بها الآن ، وهى تسير إلى جوار (أكرم) ..

وعندما بلغا سيارتها ، المتوقفة فى ساحة المستشفى ، سألها :

ـ هل تقودين أم أقود أنا ؟

أجابته فى سرعة :

ـ سأقود أنا السيارة .

ثم أضافت فى خجل ، وقلبها يخفق فى سعادة :

ـ وسأترك لك أنت قيادة حياتنا معًا .

وكانت تعنى ما تقول ..

★ ★ ★

« ..جنون.. أقل ما توصف به فكرتك هو الجنون.. ».

ابتسم (جيمس) فى استهتار ولامبالاة ، عندما نطق سفير دولته العبارة السابقة فى سخط غاضب ، ولوّح (جيمس) بسبّابته فى أناقة ، وهو يقول :

ـ تمامًا .. وربما سيكون هذا سر نجاحها .

صرخ السفير :

ـ نجاح ماذا ؟!.. أتفكر فى مهاجمة مركز أبحاث الفضاء المصرى بسيارة صاروخية ، ومدافع رشاشة قديمة ؟!.. أتدرك فى أى عام نحن ؟

هزّ (جيمس) كتفيه ، وقال :

ـ بالطبع .. نحن فى القرن الحادى والعشرين ، حيث تسيطر التكنولوجيا على كل همسة من همساتنا ، وحيث يتضوّر المرء جوعا ، فلا يفكّر فى بيع جهاز الكمبيوتر الناطق .. هذا هو الزمن الذى نعيش فيه ، ولكنه ليس الزمن الذى أفضّله .. إننى من هواة القرن العشرين .. أجمع صحفه ومجلاته ، وأشاهد أفلامه السينمائية والتليفزيونية .. ومازلت أفضل المدفع الرشاش ، بصوته الجميل المثير للذعر ، عن مدافع الليزر السخيفة ، التى يكفى زى لامع لدفعها إلى الانعكاس ، وإفساد مفعولها الأنيق .

قال السفير فى غضب :

ـ ليست مدافع الليزر وحدها المستخدمة حاليًا .. هناك أيضًا مسدسات الارتجاج ، والأسلحة الكهربية ، و ...

قاطعه (جيمس) ساخرًا :

ـ وأين الخيال ؟.. أين فن القيام بالعمل الصعب ؟

هتف السفير مستنكرًا :

ـ عمل صعب ؟!.. ما الذى تتصوّر أنك تقوم به ؟.. مشهد فى فيلم كلاسيكي قديم ؟!.. إنها مهمة انتحارية يا رجل .. مهمة بالغة الأهمية والخطورة .

قال (جيمس) فى هدوء مثير :

ـ دعنى أقم بها كما ينبغى إذن .

صاح السفير :

ـ كيف ؟!.. بمدافع آلية وسيارة صاروخية ؟!

قال (جيمس) :

ـ بل بعنصر المفاجأة ، الذى لايتوقعه أحد .. إنهم يحملون أسلحة الليزر ، ويستعدون لها فى كل لحظة ، ولكننا سنباغتهم ، ونهاجمهم بالأسلوب القديم ، فنربكهم ، ونهزمهم ، ونحصل على ما نريد .

قال السفير فى ثورة :

ـ أنا أمنعك من هذا .

أطلق (جيمس) ضحكة ساخرة ، وقال :

ـ للأسف .. ليس لديك سلطة المنع ياسيّدى .. لقد أبلغتك بالأمر كإجراء روتينى فحسب ، ولكننى لاأتلقى أوامرى إلا من مدير المخابرات البريطانية ، أو رئيس الوزراء مباشرة .

هتف السفير :

ـ سأتصل بهما .. سأمنعك بأية وسيلة .

هزّ (جيمس) كتفيه فى استهتار ، وألقى نظرة على ساعته ، ثم ابتسم قائلًا فى برود استفزازى :

ـ لن تجد الوقت لهذا للأسف ياسيادة السفير ، فالعملية ستبدأ اليوم ، وبعد نصف ساعة فحسب .. لقد انتهت الاستراحة ، وحان وقت العمل .

وغادر مكتب السفير في هدوء لامبالي ، و ...
وبدأت العملية ..

★ ★ ★

مع انفجار الكرة الشفافة ، التى تحمى جسد (نور) ، على عمق سبعة آلاف متر تقريبًا ، تحت سطح المحيط الأطلنطي ، كان المفروض أن ينسحق جسد (نور) تمامًا ، تحت ضغط يتجاوز ألفى ضغط جوى ..

هذا لو أن الكرة قد انفجرت فحسب ..

صحيح أن الكرة قد انفجرت ، فى أعمق أعماق المحيط ، إلا أن جسد (نور) لم يتعرَّض لذلك الضغط الهائل فى الأعماق لأكثر من جزء من ستين جزءًا من الثانية ..

ثم انطلق جسد (نور) ..

انطلق عبر دوامة هائلة ، تتألق بكل ألوان الدنيا ، وتدور فى اتجاه حلزونى سريع ومخيف ، نحو بؤرة سوداء ، تبتلع كل ما يتجه إليها ..

وإلى جواره ، رأى (نور) جسم (س-١٨) ، وهو يهوى أيضًا نحو البؤرة السوداء ..

وصاح (نور) :

- ماذا يحدث يا (س-١٨) ؟

صاح بكل ما يملك من قوة ، ولكنه لم يسمع لصيحته أدنى صوت ..

كان وكأنه يسبح في فراغ رهيب ، لاينتقل فيه صوت واحد ، مهما بلغت ضآلته ..

وبعجلة تزايدية مخيفة ، تصاعدت سرعة سقوط ودوران (نور) ، وراحت الألــوان المختلفــة تضىء وتنطفئ ، و ...

وفجأة ، انتهى كل شىء ..

انتهى على نحو مباغت ، وارتجَّ جسد (نور) فى عنف ، ثم استرخى تمامًا ..

استرخى فوق شىء بارد كالرخام ، له ملمس مخملى عجيب ، وتحيط به موسيقى هادئة جميلة ..

وتساءل (نور) لحظة : أهو الموت ؟!..

إلا أن عيناه رصدتا فوقه السماء المظلمة ، والنجوم التي تتألق فيها ، وتزينها بأبدع ما صنع الخالق (عزَّ وجلَّ) ، فتمتم :

- هل صعدنا إلى السطح ؟

أتاه الجواب على هيئة صوت صارم ، يقول :

- لماذا عدت يا (س-١٨) ؟

اعتدل (نور) جالسًا بحركة حادة ، فانتبه إلى أنه يرقد فوق منضدة رخامية ، أو هى مصنوعة من مادة لها هيئة الرخام ، وأمامه يقف رجل مفتول العضلات ، يرتدى ثيابًا

تشبه ثياب الرومان القدامى ، وقد أطلق لحيته بأسلوبهم ، وبدا رأسه الأصلع مستديرًا لامعًا ، وهو يتطلع إلى (نور) بنظرة صارمة عجيبة ، فهتف (نور) :

ـ أين أنا ؟

لم يفتح الرجل شفتيه ، ولكن (نور) أقسم أنه سمعه يقول فى وضوح ، وبلغة عربية واضحة وسليمة .. بل وبلهجة مصرية خالصة ، تموج بالانفعال :

ـ قل لى أولًا : من أنت ؟!.. وكيف عدت بـ (س ـ ١٨) إلى هنا ؟

تجاهل (نور) سؤاليه ، وهو يكرر سؤاله :

ـ أين أنا ؟

حدجه الرجل الأصلع بنظرة غاضبة ، ثم أشار بيده كلها بحركة حادة ، فظهر بغتة خمسة من المقاتلين ، يرتدون ثيابًا تشبه ثياب (س ـ ١٨) ، ولكنهم من البشر ، ويحملون بنادق الأشعة الأيونية ، التى صوبوها إلى (نور) فى صرامة ، فهتف (نور) :

ـ أهو حلم ؟

ثم التفت خلفه ، ورأى (س ـ ١٨) يقف جامدًا ثابتًا ، فصاح به :

ـ افعل شيئًا يا (س ـ ١٨) .

قال الرجل الأصلع فى غضب ، ودون أن يفتح شفتيه ، فى هذه المرة أيضًا :

ـ لن يعطيك (س ـ ١٨) أبدًا .. لقد صنعناه ليطيع أوامرنا أولًا .

حدق (نور) فى الرجل الأصلع ، وتمتم مبهورًا :

ـ صنعتموه ؟!.. أتعنى أننا هنا فى...

قاطعه الأصلع فى صرامة :

ـ لاتتظاهر بالغباء يا فتى .. أنت تعلم جيدًا أين أنت .. إنك هنا .. فى (أطلانطس) .

واتسعت عينا (نور) فى ذهول .

* * *



٥ ـ الهجـوم ..

فجأة ، حدث الهجوم ..

كانت الشمس قد أشرقت منذ لحظات قصار ، عندما رأى حراس مركز أبحاث الفضاء سيارة صاروخية ، تحمل علم الأمم المتحدة ، وتتجه نحو بوّابة المبنى ، فقال أحدهم عبر أجهزة الاتصال ، وبشكل روتينى للغاية :

ـ سيارة من الأمم المتحدة ، راجعوا ملف الزيارات .

وعلى شاشة الكمبيوتر الصغير أمامه ، تراصت كلمات موجزة ، تقول :

ـ لاتوجد زيارات منتظرة .

عقد الرجل حاجبيه ، ومطّ شفته السفلى لحظة ، وهو ينظر إلى السيارة ، التى توقّفت على مسافة عدة أمتار من البوّابة ، ثم غمغم :

ـ فليكن .. سأراجع ما لديهم من أوراق وتصريحات .

حمل بندقيته الليزرية ، وأشار لزملائه باتخاذ مواقعهم ، ثم اتجه إلى السيارة ، وانحنى يسأل قائدها فى احترام :

ـ معذرة ، ولكن ألديكم تصريح خاص بـ ..

أخرسته فجأة رصاصة ، انطلقت من مسدس مزوّد بكاتم للصوت ، يحمله أحد الرجال الثلاثة ، المصاحبين لـ (جيمس) ، الذى هتف قبل أن يسقط الحارس صريعًا :

ـ انطلق .

ومع هتافه ، ضغط السائق دوّاسة الوقود بكل قوته ، وانطلقت السيارة نحو بوّابة المبنى ، فى نفس الوقت الذى أطلّ فيه (جيمس) وزميلاه الآخران من نوافذها الثلاث الأخرى ، وراحوا يطلقون مدافعهم الآلية نحو الحراس ..

وكانت مفاجأة حقيقية للحراس الأربعة الآخرين ..

مفاجأة دفعوا حياتهم ثمنًا لها ..

وفى ثوان معدودة ، كان الحراس الخمسة قد سقطوا صرعى ، وصرخ (جيمس) ، وهو يضغط زرًا فى السيارة ، التى تواصل اندفاعها نحو البوّابة :

ـ الآن .

ومع ضغطته انطلقت قذيفة قوية من مقدمة السيارة ، أصابت البوّابة فى منتصفها تمامًا ، ونسفتها نسفًا ..

واقتحمت السيارة بوّابة المبنى ، ثم اتجهت على الفور إلى مبنى وحدة التجميد البشرى ، حيث قفز منها (جيمس) ورجاله الثلاثة ، واقتحموا المبنى مطلقين رصاصات مدافعهم على كل من يصادفهم ، حتى بلغوا منطقة التجميد ..

وفى الحجرة الملحقة بحجرة التجميد ، هبّت (سلوى) واقفة ، ومعها (محمود) ، وكانا قد وصلا للاطمئنان على حالة (نشوى) ، منذ دقائق معدودة ، ومعهما الدكتور (حاتم) ، وثلاثة من خبراء التجميد ، وهتف (محمود) منزعجًا :

- ربّاه !.. لو لم تخدعنى أذنى ، فهذا صوت رصاصات .

تبادل خبراء التجميد الثلاثة نظرة مذعورة ، وقال الدكتور (حاتم) فى اضطراب :

- صوت رصاصات هنا ؟!

أما (سلوى) ، فقد التفتت هلعة إلى الأسطوانة الزجاجية ، التى تحوى جسد ابنتها ، وصاحت فى ارتياع :

- يا إلهى !.. (نشوى) !

وفى نفس اللحظة ، اقتحم رجال (جيمس) الثلاثة المكان ، وصوّبوا مدافعهم الآلية إلى الجميع ، فشهقت (سلوى) فى رعب ، وتراجع الآخرون فى دهشة ، وهتف (محمود) فى عصبية متوترة :

- من أنتم ؟.. وماذا تريدون ؟

لم ينبس أيهم ببنت شفة ، وإن شفّت نظراتهم الصارمة الوحشية عن موقفهم ، فلزم (محمود) الصمت التام ، وتطلّع فى دهشة مع الآخرين إلى (جيمس برادلى) ، الذى عبر المكان فى هدوء ، وبابتسامة أنيقة وسيمة ، وهو يمسك مدفعه الآلى ، قائلاً :

- مرحبًا أيها السادة .. جميل أن وجدتكم هنا .. اطمئنوا .. لن نزعجكم طويلًا .. سنحصل على ما أتينا من أجله ، وننصرف على الفور .

ثم أدار عينيه فى وجوههم جميعًا ، وهو يستطرد :

- من منكم يعمل هنا ؟

مضت لحظة من الصمت ، قبل أن يتقدّم الخبراء الثلاثة ، ويقول أحدهم فى تردّد :

- ثلاثتنا نعمل هنا .

ارتسمت على شفتى (جيمس) ابتسامة كبيرة ، وهو يقول :

- عظيم .. والآن أيها السادة ، وحتى لا نضيع وقتًا طويلًا .. فليتقدّم أوّلكم إلى اليمين .

تقدّم الأوّل مرتجفًا ، فسأله (جيمس) ، دون أن يتخلّى عن ابتسامته :

هل لك أن تخبرنى أين تحتفظون بذلك العقار ، الذى يستخدم لإقناع الدماء البشرية بالخضوع لعملية التجميد ؟

شحب وجه الرجل ، وهو يقول :

ـ (الترانسفورماتين) ؟!..

هزّ (جيمس) كتفيه ، وقال :

ـ نعم .. لو أن هذا هو الاسم ، الذى تطلقونه عليه .. أين هو بالضبط ؟

ارتجف الرجل ، وتوتّر ، وهو يقول :

ـ لا يمكننى أن أخبرك .. إنه سر .

رفع (جيمس) حاجبيه فى دهشة مصطنعة ، وهو يقول :

ـ حقًا ؟!.. لقد أدهشتنى كثيرًا يا رجل .. ولكن .. دعْنا نتجاوز هذه الدهشة لضيق الوقت ، وسأكرِّر سؤالى بمنتهى اللطف .. أين هذا العقار ؟

تردّد الرجل فى شدة ، وهو يقول :

ـ مستحيل !.. إنه أعظم أسرارنا ، و ...

انطلقت فجأة رصاصات مدفع (جيمس) الآلى ، واخترقت جسد الخبير ، وانتزعته من مكانه فى عنف ، ليرتطم بالجدار الزجاجى ، الذى يفصلهم عن حجرة التجميد ، ثم يسقط جثة هامدة ..

وأطلقت (سلوى) صرخة رعب هائلة ، وهى ترى خيوط الدم ، التى سالت على الزجاج ، وحجبت عنها جسد ابنتها ، فى حين احتفظ (جيمس) بابتسامته الوسيمة ، وهو يقول فى هدوء مثير :

ـ حسن .. لقد رفض التعاون ، وأصرَّ على إضاعة الوقت .. من التالى ؟

تقدَّم الخبير الثانى ، وهو يقول مرتجفًا :

ـ لسنا نعرف موضع العقار .. صدقنى .. إننا مجرد علماء ، ولسنا رجال أمن ، أو ...

قاطعه (جيمس) فى برود :

ـ حقًا ؟!.. وكيف تحب أن تكون صفقتك ، عندما أرسلك على الفور إلى الجحيم ؟

لم يكد يتمّ عبارته ، حتى ارتفع بغتة صوت قوى ، عمّ أنحاء المكان ، مع صوت الكمبيوتر ، وهو يردّد فى آلية وتكرار :

ـ هجوم .. هجوم .. ليست تدريبات أمنية .. هجوم حقيقى .. هجوم .. هجوم .

وفجأة ، هبطت الأبواب الآلية عند كل مداخل ومخارج المكان ، وأصبح (جيمس) ورجاله سجناء ، مع من كانوا بالحجرة من قبل ، داخل هذا السجن الأمنى ..

وفى هذه اللحظة أدرك (جيمس) أن خطته قد فشلت ..

ولكن هذا لم يحدّ من قسوته ..

لقد استحال إلى وحش .

وحش دموى مفترس ..

* * *

شعر (نور) بمزيج من التوتر والدهشة ، وهو يقف داخل حجرة واسعة ، خالية إلا من فراش صغير ، ومنضدة مصنوعة من تلك المادة العجيبة ، التى تجمع ما بين الرخام والمخمل ، ويتطلع عبر نافذة زجاجية ضخمة سميكة ، تحتل حائطًا بأكمله تقريبًا ، إلى (أطلانطس) ، التى بدت بالنسبة إليه مبهرة ، تفوق ما تخيّله فى حياته كلها ..

كان من الواضح أنه يقف فى أعلى بناء فى المكان كله ، إذ لم تكن المنطقة التى يطلّ عليها تحوى أبنية ترتفع لأكثر من ثلاثة طوابق ..

ولكنها كانت تحفة معمارية وتقنية ، حتى على مستوى القرن العشرين ..

كانت هناك طرقات معلّقة ، تنطلق فوقها سيارات صاروخية ، على وسادة من الهواء ، وحافلات تضمّ عددًا من الأطلانطيين ، فى ثياب لا تختلف كثيرًا عن ثياب الرومان القدامى ، وكانت هناك حوّامات أمن ، ورجال مرور آليون ، ومصانع ، وساحات رياضية ، ذات لوحات إليكترونية مضيئة ..

وكانت الشمس تشرق على كل هذا ، وتنعكس أشعتها الذهبية على جدران من الذهب ، لبعض المعابد والمبانى ذات الطابق الواحد ..

وفى منتصف المكان ، كان هناك نبعان ..



شعر (نور) بمزيج من التوتر والدهشة ، وهو يقف داخل حجرة واسعة ، خالية إلا من فراش صغير ..

نبع عادى ، وآخر تتصاعد منه أبخرة خفيفة ، تشير إلى أنه يخرج الماء الحار ..

ومن خلفه ، سمع (نور) صوت باب الحجرة الإليكترونى يُفتح ، فالتفت يواجهه ، ورأى حارسيه يفسحان الطريق لرجل وقور ، أشيب الفودين ، يرتدى أيضًا ثيابًا شبيهة بالرومان ، دلف إلى حجرته ، ووقف يتطلع إليه فى صمت ، فسأله (نور) فى شىء من الحدة :

ـ أأنا سجين هنا ؟

تجاهل الرجل السؤال تمامًا ، ومضى يتأمله لحظات أخرى ، ثم سأله بصوت هادئ ، لايخلو من رنة صارمة واضحة :

ـ كيف وصلت إلى (أطلانطس) ؟

عقد (نور) حاجبيه ، وهو يقول :

ـ اسمع يا هذا .. أعلم أن المكان غريب ، وأنكم قوم غير معروفين فى عالمى ، ولكن لا تحاول إقناعى بأن هذه هى (أطلانطس) .

تأمله الرجل لحظة فى صمت ، ثم اتجه إلى الحائط ، وضغط زرًا فيه ، فبرز منه مقعد أنيق وثير ، جلس الرجل عليه فى هدوء ، وسأل (نور) :

ـ ما الذى تعرفه عن (أطلانطس) ؟

بدا السؤال سخيفًا بالنسبة لـ (نور) ، ولكنه أجاب فى شىء من العصبية :

ـ إنها قارة قديمة ، ورد ذكرها فى واحدة من محاورات (أفلاطون) الشهيرة المعروفة باسم (محاورة كريتياس) ، وهى عبارة عن حوار بين (كريتياس) و (تيميوس) ، يستند إلى بعض المعلومات ، التى وصلت إلى (كريتياس) ، عن طريق (سولون) ، أحد حكماء اليونان السبعة ، والتى حصل عليها بدوره من الكهنة المصريين ، فى (مصر) القديمة .. ولقد تحدث (كريتياس) عن (أطلانطس) باعتبارها جنة الله فى الأرض ، ثم أشار إلى أن طوفانًا عظيمًا أغرقها ، فرقدت فى أعماق المحيط الأطلنطى .

رفع الرجل حاجبيه ، عن هذه الفقرة الأخيرة ، وقال :

ـ أغرقها ؟!

ثم نهض من مقعده ، مستطردًا فى هدوء :

ـ لست أعرف من كل الأسماء التى ذكرتها ، سوى اسم (مصر) ، واسم قارتنا (أطلانطس) ، ولكن العجيب أنك تتحدث بصدق تام ، وكأنك تؤمن بكل كلمة نطقت بها .

قال (نور) فى حدة :

ـ بالطبع أومن بكل كلمة نطقت بها ، فهذا تاريخ معروف .

التفت إليه الرجل ، وقال فى شىء من الدهشة :

- تاريخ ؟!

انتبه (نور) ، فى هذه اللحظة فقط ، إلا أن الرجل لايفتح شفتيه قط وهو يتحدث ، فهتف :

- كيف تتحدث إلىّ ؟

وقف الرجل ، وعقد كفيه خلف ظهره ، وسمعه (نور) يقول ، دون أن يفتح شفتيه :

- إنك تفهمنى جيدًا .. أليس كذلك ؟

أجابه (نور) :

- بلى .. وهذا ما يدهشني .. إنك تتحدث العربية ، وبلهجة مصرية خالصة حديثة ، فكيف تفعل هذا ؟.. ومن أنت بالضبط ؟

صمت الرجل لحظة ، ثم قال :

- إننى لاأتحدث أية لغة محدودة .. إنما هو نوع من التخاطر العقلي المتطوّر ، يخاطب مركز السمع فى مخك مباشرة ، وبتأثيرات ذات معنى واحد ، فى كل لغات الكون ، فتسمع أنت ما نقوله نحن ، وكأنه بلغتك الأصلية ، وهذا يتمّ عن طريق التحكم فى المحاليل الوسيطة بين المخية ، والـ....

بتر عبارته بغتة ، ثم ابتسم مستطردًا :

- ولست أظنك تستوعب هذا .

عقد (نور) حاجبيه فى ضيق ، وقال :

- من قال هذا ؟.. إنه مجرّد أمر علمى بسيط .

هزّ الرجل رأسه ، وتمتم :

- أمر علمى بسيط ؟!.. عبارة جيدة .

واصل (نور) ، متجاهلًا هذا التعليق :

- ولكن الشىء الوحيد الذى يدهشنى ، هو أننى أسمع صوتك جيدًا ، وبكل انفعالاته ، فكيف يمكنك نقل الانفعال أيضًا ؟

أجاب الرجل فى صرامة :

- ليس هذا من شأنك .. ثم إننى هنا لألقى الأسئلة ، لا لأتلقاها .

واتجه مرة أخرى إلى المقعد ، وجلس فوقه مستطردًا :

- كيف التقيت بـ (س-١٨) ؟.. وكيف أقنعته بإحضارك إلى (أطلانطس) ؟.. المفروض ألا يصل أى بشرى سوانا إليها ، والمفروض أيضًا أن يكون (س-١٨) الآن فى (مصر) ، يحارب مع زملائه إلى جوار ملكها العظيم (أحمس) ، فى (أواريس) ، عاصمة (الهكسوس) ، فكيف ولماذا عاد إلى هنا ؟

انعقد حاجبا (نور) فى شدة ، وهو يقول :

- أى قول هذا ؟.. لقد مات (أحمس) منذ أكثر من خمسة وثلاثين قرنًا من الزمان ، و (ص-١٨) لم يكن سوى ....

بتر (نور) عبارته بغتة ، واتسعت عيناه فى دهشة وذعر ..

الآن فقط ، فهم كل هذا ..

الآن فقط ، استوعب عقله تلك المعجزة الزمنية الرهيبة ..

لقد نجا من ذلك الانفجار فى الأعماق ، لأنه لم يتعرّض قط لضغط المياه الهائل ..

لقد قفز به الانفجار عبر الزمن إلى الوراء ..

إلى ستة وثلاثين قرنًا مضت ..

إلى عصر (أطلانطس) ..

إلى الماضى السحيق ..

ويبدو أن ذلك الرجل الجالس أمامه ، كان يمتلك القدرة أيضًا على قراءة أفكاره ، فقد انعقد حاجباه ، وقال فى صرامة :

- هذا مستحيل !

التفت إليه (نور) فى حركة حادة ، وقال :

- ما هو المستحيل ؟

اعتدل الرجل واقفًا ، وقال :

- الانتقال عبر الزمن مستحيل .. لدى دراسة كاملة فى هذا الشأن .

تفجرت دهشة عارمة فى أعماق (نور) ..

كيف عرف ذلك الرجل ما يدور فى أعماقه ؟!..

كيف قرأ أفكاره بهذه البساطة ؟!..

ولثوان حدّق (نور) فى وجه الرجل ، الذى قال فى شىء من العصبية :

- دعك من هذا .. إننا نقرأ أفكارك ببساطة شديدة ، كما لو أنها مكتوبة بحروف سوداء كبيرة ، على ورقة ناصعة البياض .

ثم أشار إليه ، مستطردًا فى حزم :

- ولكن حتى هذه الأفكار كاذبة .. الانتقال عبر الزمن مستحيل .. إنها نظرية حمقاء تافهة ، لن أومن بها قط .

قال (نور) فى صرامة :

- أنا أيضًا لم أكن أومن فى الماضى ، ولكن ..

قاطعه الرجل فى حدة :

- لا يوجد لكن .

ثم أشار إليه بسبابته فى صرامة ، مستطردًا :

- اسمع أيها الشاب .. لقد أتيت إلى (أطلانطس) بوسيلة ما .. ولهدف ما .. واخترقت حاجز الأمن ، الذى أقمناه حول قارتنا لمئات السنين .. ولن يسمح مجلس الحكم بهذا قط .. إننا سنعرف من أنت ، ولماذا أتيت إلى هنا ، حتى لو اقتضى الأمر تمزيقك إربا .. هل تفهم ؟

وبكل ثورته ، غادر المكان ، تاركًا (نور) خلفه فى حالة من التوتر لامثيل لها ..

لقد فقد العقار الوحيد ، الذى كان باستطاعته إنقاذ ابنته ..

وليس هذا فحسب ..

لقد فقد ما هو أخطر ..

زمانه .

* * *



٦ - وحوش آدمية ..

لم يكد كمبيوتر الأمن يغلق الأبواب ، فى وجوه الجميع ، حتى تنفس (محمود) الصعداء ، وغمغم فى ارتياح :

- أخيرًا !.. خلت أن هذا لن يحدث أبدًا .

التفت إليه (جيمس) فى غضب وعنف ، فى حين صاح أحد رجاله :

- وقعنا فى الفخ يامستر (جيمس) .. لقد خسرنا .

استدار إليه (جيمس) فى حركة سريعة ، وصفعه صفعة قوية غاضبة ، وهو يقول فى حدة :

- أيها الغبى .. قلت لكم ألف مرة : لاتنطقوا الأسماء قطّ .

وازداد صوته وحشية ، وهو يستطرد :

- ثم إننا لم نخسر بعد .

قال خبير التجميد الثانى :

- ولكن هذه الأبواب لاتُفتح من الداخل قطّ ، وهى منيعة تمامًا ، لا تتأثر بالرصاصات أو الليزر ، أو ...

قاطعه فجأة صوت صارم ، تردد عبر مكبرات صوت داخلية ، قائلًا :

ـ إلى الإرهابيين بالداخل .. لقد أحبطت خطتكم وفشلت ، ونحن نحيط بكم من كل جانب ، ونراقبكم عبر عشرات اللاقطات الصوتية ، وآلات تصوير الفيديو ، فى أماكن لن تتوصلوا إليها قط ، ولم يعد هناك مفر .. الخير لكم أن تستسلموا .

شحبت وجوه رجال (جيمس) ، وغمغم أحدهم فى ارتياع :

ـ كنت أعلم هذا .. كنت أعلم هذا .

وابتسم الدكتور (حاتم) ، وهو يقول :

ـ استمع إليهم يا فتى .. لا أمل لك قط .

انعقد حاجبا (جيمس) فى شدة ، وقال :

ـ هل تظن هذا ؟

ثم تلفت حوله ، ورفع صوته هاتفًا :

ـ جميل منكم أن تراقبونا هكذا ، حتى لا تفوتكم لحظة واحدة من العرض .. صحيح أنكم تحتجزوننا هنا ، ولكننا لسنا وحدنا .. معنا أربعة رجال وامرأة .. أى أننا نحوز بعض الرهائن ، وهذا يمنحنا امتيازًا بالتأكيد .. والآن استمعوا إلىّ جيدًا .. إننا نريد عينة من

(الترانسفورمالين) ، وحوّامة عسكرية ، تنقلنا من هنا ، إلى أية جهة نحددها ، ولا نريد أن نرى أحدكم ، ونحن نخرج من هنا .. وسأمهلكم ساعة واحدة لتنفيذ كل هذا ، وبعدها سأبدأ عملية الضغط ، وسأقتل أحد الرهائن كل ربع ساعة ، حتى يتم تنفيذ أوامرنا ، أو ...

لم يتمّ عبارته ، ولكنه ابتسم فى شراسة ، وقال :

ـ ولكن لماذا نتحدث هكذا ؟.. دعونا نريكم عينة مما نقصده .

ثم استدار بحركة سريعة ، وأطلق رصاصات مدفعه نحو الخبير الثانى ، فمزقه إربًا ، وارتطمت بعض رصاصاته بذلك الحاجز الزجاجى السميك ، الذى يفصل حجرة التجميد عنهم ، فشهقت (سلوى) فى ارتياع ، وهتف الدكتور (حاتم) :

ـ الصغيرة !

رمقهما (جيمس) بنظرة خاصة ، وأدرك على الفور أنه لا يسيطر على بعض الرهائن فحسب ..

إنه يسيطر على ما هو أخطر ..

أخطر بكثير ..

* * *



وأطلق رصاصات مدفعه نحو الخبير الثانى ، فمزقه إربًا ..

جلس (نور) فوق ذلك المقعد الوثير ، الذى برز من الحائط ، وأطلق لتفكيره العنان ، وهو يراقب (أطلانطس) ، عبر النافذة الزجاجية الكبيرة ..

كان من الواضح أنه فى مكان عجيب ..

مكان لم يكن له وجود قط فى عالمنا ..

كل شىء حوله يوحى بهذا ..

لقد انتقل عبر الزمن بوسيلة ما ..

وها هو ذا فى (أطلانطس) ..

لقد وصلها قبل غرقها ..

تلك الشمس الساطعة تثبت هذا ..

ولكن ماذا يفعل هنا ؟..

هل يستسلم لمصيره ، ويقضى ما تبقّى له من العمر ، فى قارة (أطلانطس) ؟..

أو بمعنى أدق .. هل يبقى فى (أطلانطس) ، حتى يبتلعها المحيط ؟..

من الواضح أنه لاتوجد وسيلة معروفة ، تعيده إلى عالمه ، ماداموا لايؤمنون فعليًا بفكرة السفر عبر الزمن ..

ومن المحتم أن أحدهم لم يسافر قط عبر الزمن ، وإلا عرفوا مصير قارتهم ، واستعدوا له بوسيلة ما ..

لا فائدة إذن ..

لقد خسر زمنه ..

وخسرت ابنته فرصتها الأخيرة ..

ويا له من موقف فلسفى عجيب !..

إنه سيموت قبل أن يولد بستة وثلاثين قرنًا من الزمان ..

ترقرقت عيناه بالدموع ، من أجل ابنته ، فتمتم فى مرارة :

ـ لقد بذلت ما بوسعى يا (نشوى) صدقينى ..

جالت بخاطره لحظة صورة (س-١٨) ، إلا أنه تنهد وغمغم :

ـ لم تعد هناك فائدة .. حتى (س-١٨) ، لم يكن ليطيعنى ، ضد صانعيه .. لقد برمجوه لهذا .

شعر بالباب يفتح ، فالتفت إليه بحركة سريعة ، ورأى خمسة من الحراس يتقدمون نحوه ، ويصوبون إليه أسلحتهم ، ثم يتحدث أحدهم بلغة عجيبة ..

وشعر بالدهشة ..

لماذا لم يستخدم الحراس أسلوب التخاطر العقلى المتفوق ؟!

لماذا يتحدثون كبشر عاديين ؟..

إذن فهذه القدرة ليست عامة ..

إنها خاصة بكبار القوم والحكام فحسب ..

ولكنه فهم ما يريده الحراس ..

إنهم يطالبونه بأن يتبعهم ..

ولقد فعل ..

سار بينهم عبر ممرات طويلة ، تتألق بضوء فيروزى قوى ، حتى وصلوا إلى باب ضخم مغلق ، تحدث أحد الحرّاس أمامه بعبارة ما ، فانفتح على مصراعيه ، وظهرت قاعة كبيرة ، احتشد فيها ما يقرب من مائتى رجل ، يرتدون ثيابًا تشبه ثياب الرومان القدامى ..

كانت قاعة أشبه بمجلس شيوخ رومانى قديم ..

ودفعه الحرّاس حتى منتصف القاعة ، وعيون الحاضرين جميعًا تتابعه فى اهتمام وفضول ، حتى أوقفه الحرّاس فى منتصف القاعة ، وتراجعوا بضع خطوات ، فأحاط به على الفور شكل أسطوانى شفاف ، تتألق أجزاء منه بضوء مختلف الألوان ..

وعندئذ تراجع الحرّاس ، وغادروا القاعة كلها ، وأغلقوا بابها خلفهم ..

وفى لحظة واحدة ، استوعب (نور) موقفه ..

إنها قاعة محاكمة ..

وفى قمة القاعة ، جلس ذلك الأصلع ، الذى قابله فى البداية ، فوق عرش زجاجى شفاف ، مزدان بقطع من الذهب الخالص ، تألقت تحت الأضواء ، فى حين خرج ذلك الوقـور الأشيب الفودين ، من بين صفوف الحاضرين ، واقترب منه ، وألقى نظرة باردة طويلة عليه ، قبل أن يلتفت إلى الجالسين ، ويرفع يده بحركة مسرحية ، قائلًا :

ـ السادة أعضاء مجلس الحكم .. أستميحكم عذرًا فى أننا سنتخاطب هذه المرة بالأسلوب الخاص ، حتى يفهم السجين ما نقوله ، ويمتلك القدرة على الدفاع عن نفسه ، طبقًا لقوانيننا العادلة ..

صمت لحظات ، خُيِّل لـ (نور) معها أن أحدهم سيعلق بشىء ما ، إلا أنهم ظلوا صامتين ، يتطلعون إليه فى اهتمام ، فتابع الرجل :

ـ إننا أمام حالة نادرة ، لم تحدث قط فى تاريخ قارتنا العظيمة ، التى حافظنا على عزلتها وأسرارها لقرون وقرون .. وجميعكم تعرفون لماذا فعلنا هذا ؛ فتاريخ كوكبنا الأم يحذرنا من هذا ، بعد أن تشاركنا علومنا وتكنولوجيتنا ، مع كوكب (بيروزيت) ، القريب ، فهاجمنا رجاله ، وحطموا حضارتنا ، وأجبرونا على الفرار من

كوكبنا الأم إلى هنا ، حيث بدأنا حضارة جديدة .. وكان من الضرورى أن نحافظ هنا على سرية وجودنا ، وسرية علومنا ، حتى لانغرى حضارة أخرى بالهجوم علينا ، أو سرقة علومنا وحضارتنا ، وأن نستعد دومًا للتصدى لغزاة (بيروزيت) ، لو أن مراقبيهم كشفوا وجودنا ، وحاولوا الهجوم علينا هنا .. ومن هذا المنطلق ، نستعد غدًا لتجربة أقوى وأعظم أسلحتنا .. القنبلة (الأيونوبروتينية) .. فلماذا توافق ظهور هذا الشاب فى قارتنا ، مع استعدادنا لتجربة القنبلة ؟!

قال (نور) فى حدة :

ـ قلت لك : لاشأن لى بكم ، أو بقنبلتكم السخيفة .. إننى هنا بسبب خلل زمنى عجيب ، نقلنى عبر الزمن ، من العصر الذى أنتمى إليه ، والذى يتجاوز عصركم بستة وثلاثين قرنًا من الزمان ، إلى عصركم هذا ، وربما ..

قاطعه الوقور صارخًا فى غضب :

ـ كذب .. الانتقال عبر الزمن كذب .. إنها خدعة سخيفة وحقيرة ، يحاول بها تبرير وجوده هنا .. خدعة لن يصدقها أحد .

همّ (نور) بمقاطعة الوقور معترضًا ، إلا أن عقله استقبل صوت رجل يتنحنح ، ورأى شيخًا ممتلئًا ينهض من بين الصفوف ، وهو يبتسم ابتسامة ساخرة إلى حد ما ، ويقول فى هدوء :

- لحظة يا عزيزى (مالوس) .. إننا هنا فى قاعة الحكم ، ولسنا فى مناظرة علمية خاصة ، تعرض لنا فيها رأيك ، فى فكرة السفر عبر الزمن .

عقد (مالوس) حاجبيه فى شدة ، وهو يقول :

- لايوجد شىء اسمه (السفر عبر الزمن) يا (بيكاس) .

ابتسم (بيكاس) ، وهو يقول :

- فى رأيك فقط يا عزيزى (مالوس) .. أنت تعلم أننا نختلف منذ زمن طويل ، أنت وأنا ، بشأن نظرية التناسب القديمة ، التى وضعها (اشتاس) ، فأنت لم تؤمن قط بفكرة السفر عبر الزمن ، فى حين أتفق أنا مع (أشتاس) ، فى إمكانية حدوث هذا ، فى ظروف خاصة .

هتف (مالوس) :

- هراء .

ابتسم (بيكاس) أكثر ، وقال :

- ولماذا لا يكون هذا الشاب قد أتى عبر الزمن ؟.. إننى أرى أنه توجد دلائل عديدة ، يمكن أن تعنى هذا .. إنه يرتدى ثيابًا غير مألوفة هنا ، ولم ترصده أية نقطة من نقاط المراقبة ، وهو يقترب من قارتنا الحبيبة .. لقد ظهر فجأة ، مع الآلى (س-١٨) ، فى قصر الملك (كوراك) ، فهل لديك تفسير آخر لهذا الظهور المفاجئ ؟

لوّح (مالوس) بيده ، وهو يقول فى حدة :

- هناك حتمًا تفسير آخر ، ولكنه ليس السفر عبر الزمن .. ربما أتى عبر ممر سرى ، أو ...

قاطعه (بيكاس) :

- أو ماذا يا عزيزى (مالوس) ؟!.. ألم تجد تفسيرًا أكثر إثارة للضحك ؟.. ممر سرى هنا ؟!.. فى (أطلانطس)؟!.. وأين ذهبت أجهزة المراقبة ، وفحص الاهتزازات ، والفحص الحرارى ، والرادارات ، وغيرها .. كلّا يا عزيزى (مالوس) .. إنك فقط تحارب الفكرة ، لأنها تثبت أنك على خطأ ، وأن السفر عبر الزمن ممكن .

لوّح (مالوس) بسبّابته نحوه ، وهو يهتف:

- وأنت تؤيدها لأنها فقط تؤيد ما تؤمن به ، من أن السفر عبر الزمن ممكن ، ولكن أين الدليل ؟

قال (بيكاس) بسرعة :

- عظيم .. هذا هو السؤال بالفعل .. أين الدليل ؟

تصوّر (نور) أن (مالوس) سيصرخ مرة أخرى فى غضب ، إلا أنه فوجئ به يبتسم ، ويتطلع إلى (بيكاس) فى ظفر خبيث ، وهو يقول :

- لقد طرقت أخيرًا النقطة الصحيحة يا عزيزى (بيكاس) .. الدليل .

ثم أشار إلى رجلين يقفان بعيدًا ، فأسرعا إليه ، وهما يحملان تلك الوعاء ، الذى يحوى آخر جرعة من عقار النمو ، وخفق قلب (نور) فى لهفة وقلق ، عندما رأى (مالوس) يلتقط الوعاء ، ويرفعه إلى أعلى ، هاتفًا :

ـ وهذا هو الدليل أيها السادة ..

سرت فى القاعة همهمة عجيبة ، والجميع يتطلعون إلى الوعاء ، قبل أن يتابع (مالـوس) ، فى صوت جهورى ، كخطيب رومانى قديم :

ـ عندما وصل هذا الشاب إلى (أطلانطس) ، كان يحمل هذا الوعاء المحكم ، المصنوع من مادة شديدة القوة ، احتاج علماؤنا إلى ساعة كاملة لفتحه ، فماذا وجدوا داخله ؟

قالها وهو يفتح الوعاء ، ويلتقط منه قنينة صغيرة ، رفعها عاليًا ، مستطردًا :

ـ عقار خاص أيها السادة .. عقار فائق للنمو ، لو نجح هذا الشاب فى وضعه فى ينبوع المياه الرئيسى ، الذى يمد (أطلانطس) كلها بمياه الشرب النقية ، لتحوّل أطفالنا إلى كهول ـ مع أول جرعة ماء ، ولذابت عظام شيوخنا ورجالنا ، وقفزوا فى العمر مائة عام دفعة واحدة .. باختصار .. هذا العقار كان كفيلًا بإبادة حضارتنا كلها أيها السادة .

هتف (نور) :

ـ هذا العقار يخص ابنتى ، وهو سبب رحلتى الـ...

قاطعه (مالوس) فى غضب :

ـ أرأيتم .. لقد اعترف .. اعترف بأن هذا العقار هو سبب رحلته إلى هنا .. هذا الشاب مجرّد جاسوس أيها السادة .. جاسوس من (بيروزيت) .

تصاعدت الهمهمة مرة أخرى ، وراح الجميع يتجادلون فى عنف ، فى حين عقد (بيكاس) حاجبيه فى شدة ، وقال :

ـ نسيت أمرًا بالغ الأهمية يا عزيزى (مالوس) .

ابتسم (مالوس) فى سخرية ، وهو يقول :

ـ أى أمر يا (بيكاس) ؟.. أى أمر بعد هذا الدليل القاطع ، الذى لا يقبل الشك أو الجدل .

قال (بيكاس) فى حزم :

ـ (س ـ ١٨) .

ساد صمت عجيب إثر عبارته ، واعتدل الملك (كوراك) على عرشه ، وهو يتطلّع إليه فى اهتمام بالغ ، شأن الحاضرين جميعًا ، فتابع (بيكاس) :

ـ إننا لم نفحص (س ـ ١٨) بعد ، ولم نر ما الذى اختزنته ذاكرته الإليكترونية الفائقة ، منذ رحل من هنا ..

أنا أيضًا لم أفحص ذاكرة (س-١٨) ، ولكننى علمت أنه قد شحن ما يقرب من ثمان وحدات ذاكرة ، من وحداته العشرين ، وأنتم تعلمون مثلى كم يحتاج (س-١٨) ، من تجارب وذكريات ، حتى يشحن ثمان وحدات كاملة ... إنه يحتاج إلى قرن كامل على الأقل ، فمتى فعل هذا ، مع أنه من المفروض أنه لم يغادر (أطلانطس) إلى (مصر) إلا منذ عام واحد ؟.. ثم إنه تم شحن بطارياته أكثر من مرة ، فمتى حدث هذا ؟ وكيف استهلك طاقته الهائلة ، فى هذه الفترة القصيرة ؟

مرت همهمة ثالثة فى القاعة ، حتى هتف (مالوس) :

- لدى جواب واضح لهذا .

التفتت إليه العيون هذه المرة ، فتابع :

- والجواب يؤيد قولى تمامًا ، فلقد وصلت فرقة من (بيروزيت) إلى هنا ، وأسرت (س-١٨) ، وأنتم تعلمون أنهم القوة الوحيدة ، فى الكون كله ، التى يمكنها هذا ، ثم أضافت إليه ذاكرة صناعية ، واختبرت شحنته عدة مرات ، وبعدها أرسلته إلى هنا ، مع هذا الشاب ، لخداعنا ، وتحطيم حضارتنا .. ولكن لا أيها السادة .. لا .. ستبقى (أطلانطس) ، مهما حاول الغزاة وفعلوا .. ستبقى قوة ضاربة ، لا يستهان بها .. وغدًا ستختبر

(أطلانطس) أقوى أسلحتها ، فى قلب المحيط .. القنبلة (الأيونوبروتينية) .. حتى مع محاولات الغزاة ، والـ...

وفجأة ، لم يعد (نور) يسمع ما يقال ..

لقد وثبت إلى ذهنه ، ودون إنذار ، صورة رآها لجزء من الثانية ، وهو يهوى فى دوامة الزمن الرهيبة ..

مشهد واحد ، ارتجف له جسده كله ..

مشهد انفجار هائل ، فى قلب المحيط الأطلنطى ، تنجم عنه موجة رهيبة ، يتجاوز ارتفاعها ثلاثمائة متر ، تبتلع (أطلانطس) كلها ..

وهتف (نور) :

- لا .. لا تفجروا القنبلة غدًا .

التفت إليه الجميع فى دهشة ، وهتف (مالوس) :

- أرأيتم أيها السادة .. ها هو ذا الجاسوس يكشف نفسه ، دون أن يدرى .. إنه يخشى تفجير القنبلة ، حتى لا تحصل (أطلانطس) على أقوى سلاح فى الكون كله .

صاح (نور)

- لن تمنح تلك القنبلة (أطلانطس) أية قوة ، بل ستؤدى إلى دمارها .. اسمعنى جيدًا .. تفجير القنبلة سيكون سببًا فى إغراق قارة (أطلانطس) ، وتحطيم حضارتها تمامًا .

لقد وثبت إلى ذهنه ، ودون إنذار ، صورة رآها لجزء من الثانية ، وهو يهوى فى دوامة الزمن الرهيبة ..

ظهرت الدهشة ممتزجة بعدم التصديق على الوجوه ، ثم أدرك الجميع ، فى قراءة أفكار (نور) ، أنه يؤمن تمامًا بما يقول ، فساد هرج عجيب بينهم ، وراح بعضهم يؤيد وبعضهم يعارض فى شدة ، فى حين بقى (بيكاس) صامتًا ، يعقد حاجبيه فى شدة ، حتى أشار الملك (كوراك) بيده ، فعاد الصمت يخيم على القاعة ، وهو يقول :

ـ أخرجوا الأسير من هنا ، وسنناقش الأمر وحدنا .. وسنتخذ قرارنا الحكيم .

هتف (مالوس) :

ـ وماذا عن التجربة ؟

انعقد حاجبا الملك لحظات ، ثم قال فى حزم :

ـ التجربة ستتم فى موعدها تمامًا .

وهنا هوى قلب (نور) بين قدميه ..

إنه سيشهد نهاية (أطلانطس) ..

ونهايته أيضًا .



٧ ـ الرهينــة ..

شعرت (مشيرة) بانزعاج شديد ، عندما وصلت بسيارتها مع (أكرم) ، إلى مركز أبحاث الفضاء ، وهتفت بصوت مذعور :

ـ ماذا يحدث هنا ؟.. البوابة محطمة ، ورجال الجيش يحاصرون المكان .. ماذا حدث بالضبط ؟

أجابها (أكرم) فى توتر :

ـ من الواضح أن ما حدث مخيف للغاية .

لم تكد توقف السيارة ، حتى قفز هو منها ، واتجه إلى قائد الجيش ، وسأله :

ـ ماذا يحدث بالداخل ؟.. هل أصاب مكروه ابنة (نور) ؟

أجابه القائد فى صرامة :

ـ ابتعد عن هنا .. المكان لايصلح للمدنيين .

اندفعت (مشيرة) ، تقول :

ـ أنا (مشيرة محفوظ) ، من جريدة أنباء الفيديو ، و ...

قاطعها القائد فى حدة :

ـ لاتوجد أحاديث صحفية .. هيا .. ابتعدوا عن هنا .

عقد (أكرم) ساعديه أمام صدره ، وهو يقول فى إصرار :

ـ وماذا لو لم أفعل ؟!

صاح القائد فى وجهه :

ـ فى هذه الحالة ستسعدنى باعتقالك ، وإلقائك خلف الـ....

قاطعه فجأة صوت مألوف ، يقول :

ـ (أكرم) ؟!.. يا للمفاجأة !.. متى عدت إلى دنيانا يا رجل ؟

التفت (أكرم) و (مشيرة) إلى مصدر الصوت ، وهتفت هى :

ـ دكتور (ناظم) !.. حمدًا لله .

صافحهما الدكتور (ناظم) فى حرارة ، وهو يقول :

ـ وجودك الآن مفاجأة حقيقية يا (أكرم) ، ولولا الظروف العصيبة ، التى نمرّ بها ، لقلت : إنها أجمل لحظة فى حياتى .

ثم التفت إلى قائد الجيش ، وقال :

ـ هيا .. اسمح لهما بالدخول .. إنهما ضمن فريق الرائد (نور) .

بدا الضيق على وجه القائد ، إلا أنه أفسح الطريق ، وهو يقول :

- فليكن .. ولكن تذكّر أن المدنيين يفسدون الأمور دائمًا .

ولكن (أكرم) لم يهتمّ بهذا القول ، وهو يسير مع الدكتور (ناظم) إلى الداخل ، ويسأله فى اهتمام بالغ :

- ماذا حدث بالضبط ؟

أجابه الدكتور (ناظم) فى ضيق شديد :

- لقد احتلّ أربعة من الإرهابيين حجرة التجميد البشرى ، ويحتجزون (سلوى) و (محمود) ، والدكتور (حاتم) ، وأحد خبراء التجميد ، بعد أن قتلوا خبيرين آخرين ، وهددوا بقتل واحد من الرهائن ، بعد ساعة إلا الربع تقريبًا ، ما لم نمنحهم سر عقارنا الخاص ، وحوّامة تنقلهم إلى حيث يريدون .

سألته (مشيرة) :

- وبم أجبتم ؟!

تنهد وقال :

- من العسير أن نقبل الأمر ، فهذا العقار أحد أسرارنا الكبرى .

قال (أكرم) فىّ توتر :

- هل تتركونه يقتلهم إذن ؟

أجابه الدكتور (ناظم) :

- كلا بالطبع .. إننا نبحث عن وسيلة لإنقاذهم ، دون أن نضطر إلى التخلّى عن سر العقار .

سألته (مشيرة) :

- وهل عثرتم على هذه الوسيلة ؟

صمت الدكتور (ناظم) لحظة ، ثم قال :

- إلى حد ما .

قال (أكرم) فى عصبية :

- ما معنى هذه الإجابة ؟!.. إما أنكم قد عثرتم عليها أم لا .. لايوجد جواب آخر .

أجابه الدكتور (ناظم) فى هدوء :

- بل يوجد يا (أكرم) .. فلقد وجدنا الوسيلة نظريًا ، ولكن لابد وأن يدرس الخبراء إمكانية تنفيذها أوّلا ، قبل الشروع فى هذا .

سألت (مشيرة) فى قلق :

- وما هذه الوسيلة بالضبط ؟!

أجاب فى اهتمام :

- سنستخدم ذبذبة صوتية خاصة ، غير مسموعة ، ولكنها تسبّب اضطرابًا فى الأذن الداخلية ، مما يصيب الشخص بدوار غير مفهوم ، ويفقده القدرة على التمييز ، وسرعة اتخاذ القرار ، وعندما يفقد الإرهابيون سيطرتهم على تصرفاتهم تمامًا ، نفتح الأبواب الإليكترونية ، ويهاجم رجال الأمن الإرهابيين ، ونستعيد سيطرتنا على الموقف .

سأله (أكرم) فى توتر :

- وماذا لو جاءت النتيجة عكسية ، وفقد الإرهابيون السيطرة على تصرفاتهم ، وراحوا يقتلون الرهائن دون تمييز ؟

صمت الدكتور (ناظم) لحظات ، وهو يعقد حاجبيه فى شدة ، ثم قال :

- هذا ما يدرسه خبراؤنا الآن

سألت (مشيرة) فى قلق :

- وهل لديهم الوقت لهذا ؟

هزّ رأسه نفيًا ، وقال :

- ليس بما يكفى ، ولكننا نحاول .

ثم أشار بيده إلى الداخل ، مستطردًا :

- ولكن لاتجعل هذا يقلق أيكما ، فحتى مع وجودنا بالخارج ، يمكننا معرفة كل ما يفعلونه ، فنحن نراقب المكان مراقبة دقيقة .. هيّا .. ستتابعان معنا ما يجرى هناك .

تبادل (أكرم) و (مشيرة) نظرة صارمة ، ثم تبعاه فى صمت ..

ولكن أعماق (أكرم) كانت تحمل قرارًا خطيرًا .. وحاسمًا ..

★ ★ ★

تطلّع (جيمس) طويلًا إلى تلك الأسطوانة ، التى تحوى جسد (نشوى) المتجمّد ، ثم ارتسمت على شفتيه ابتسامة خبيثة ، وهو يقول :

- ماذا تفعلون بهذه الصغيرة ؟.. هل ترسلونها فى رحلة إلى الفضاء ؟

بدا التوتر على وجه (سلوى) ، وأجاب الدكتور (حاتم) فى سرعة :

- لهذه الصغيرة ظروف خاصة .

التفت إليه (جيمس) ، وقال فى سرعة :

- خاصة بماذا ؟

صمت الجميع ، وتبادلوا نظرة قلقة ، قبل أن يقول (محمود) :

- ليس للصغيرة شأن بالعقار الذى تطلب الحصول عليه يا (جيمس) ، وهذا الجواب يكفى .

رمقه (جيمس) بنظرة باردة ، قبل أن يقول :

- مستر (جيمس) يا رجل .. خاطبنى باسم مستر (جيمس) .. إننى أفضل الأسلوب التقليدى القديم .. أما بالنسبة للصغيرة ، فأنا وحدى الذى يقرر أهميتها أو عدم أهميتها ، وكل المطلوب منك هو أن تخبرنى بأمرها فحسب ، واترك لى تقدير الموقف .

خفق قلب (سلوى) فى توتر ، فى حين قال (محمود) فى صرامة :

- كلا .. لن أخبرك شيئاً بشأنها .

هزّ (جيمس) كتفيه فى هدوء ، وقال :

- فليكن .. لا تخبرنى .

ثم رفع مدفعه الآلى فى وجه (محمود) ، مستطرداً فى صرامة :

- غيرك سيفعل .

ولم يتردد فى ضغط الزناد ..

★ ★ ★

لم يدر (نور) ، وهو يقف أمام تلك النافذة الضخمة فى حجرته ، متطلعاً إلى (أطلانطس) ، ماذا سيكون مصيره بالضبط ؟!..

لقد خسر زمنه ، ورفاقه ، وزوجته ، وابنته ..

وربما يفقد حياته أيضاً ..

يفقدها فى زمن يسبق زمنه بستة وثلاثين قرناً كاملة ..

إنه لا يدرك ما حدث ..

لا يعلم كيف سقط مع (س-١٨) ، فى تلك الفجوة الزمنية ؟

ولا أين ذهب (س-١٨) ؟..

والأدهى أنه لا يعلم حتى ماذا سيفعلون به !..

كل ما يدركه ، ويشعر به ، هو أن نهاية (أطلانطس) ستأتى غداً ..

مع تجربة تفجير القنبلة (الأيونوبروتينية) ..

وربما أتت معها نهايته ..

أو أن هذا هو الأرجح ..

ولكن طبيعتـه المقاتلـة رفضت الاستسلام لهـذا الموقف ..

لابد أن يقاتل ..

لابد أن يسعى للفرار ..

إنه لن يخسر شيئاً بمحاولة الفرار ..

بل ربما يربح حياته ..

أو مستقبله ..

قطع أفكاره صوت الباب وهو يفتح ، فالتفت يتطلع إليه ، ورأى (بيكاس) يدلف إلى حجرته بشعره الأشيب ، ووجهه الهادئ ، وابتسامته الدافئة ، وسمعه يقول ، دون أن يفتح شفتيه :

ـ كيف حالك يا ولدى ؟

تطلع إليه (نور) فى صمت ، دون أن يرد تحيته ، فتقدم (بيكاس) نحو المقعد الوثير ، وقال بطيبة واضحة :

ـ هل تسمح لى بالجلوس ؟.. إننى شيخ كبير ، ولست أحتمل الوقوف طويلاً .

قال (نور) بسرعة :

ـ تفضل يا سيد (بيكاس) .

ابتسم (بيكاس) ، وهو يجلس ، وقال :

ـ أرى أنك عرفت اسمى بسرعة .

غمغم (نور) :

ـ كنت الوحيد الذى دافع عنى .

تنهد (بيكاس) ، وقال :

ـ لأننى أومن بقضيتك يا ولدى .

ابتسم (نور) فى سخرية مريرة ، وقال :

ـ إلا أنها تؤيد وجهة نظرك ؟

هز (بيكاس) رأسه فى بطء ، وقال :

ـ بل لأنها أقرب إلى المنطق .

عقد (نور) حاجبيه ، وهو يغمغم فى دهشة :

ـ المنطق ؟!

ابتسم (بيكاس) ، وقال :

ـ نعم .. منطقى أنا .

ثم مال نحوه ، مستطردًا :

ـ لأننى أمتلك بالفعل آلة الزمن .

اتسعت عينا (نور) فى دهشة ، وهتف :

ـ ماذا ؟

أومأ (بيكاس) برأسه إيجابًا ، وقال :

ـ نعم يا ولدى .. لم يخدعك سمعك .. أنا اخترعت آلة الزمن .

ثم تراجع فى مقعده ، مستطردًا فى أسى :

ـ ولكننى لم أختبرها بعد .

تطلع إليه (نور) مرة أخرى ، فى دهشة وتساؤل ، فتابع :

ـ كل الحسابات والمعادلات تؤكد أن الآلة ستعمل فى كفاءة ، ولكننى لم أرسل شيئًا واحدًا عبر الزمن ، لأتأكد من صلاحيتها للعمل .

شعر (نور) بقلبه يخفق فى قوة ، وهو يستمع إلى هذا القول ..



أومأ (بيكاس) برأسه إيجابًا ، وقال :

ـ نعم يا ولدى .. لم يخدعك سمعك .. أنا اخترعت آلة الزمن ..

إنه أمله الوحيد فى النجاة ..

وفى العودة إلى زمنه ..

وإلى ابنته ..

آلة زمن ، فى قلب (أطلانطس) ؟!..

يا للمفاجأة !..

ابتسم (بيكاس) فى هدوء ، بعد أن قرأ أفكار (نور) ، وقال :

ـ احترس يا ولدى .. تعلّم السيطرة على أفكارك ، وإلا انكشف أمرك فى سهولة .

سأله (نور) ، على نحو مباشر :

ـ هل يمتلك الجميع القدرة على قراءة أفكارى ؟

هزّ (بيكاس) رأسه نفيًا ، وقال :

ـ كلّا بالطبع .

ثم نهض من المقعد ، واتجه إلى النافذة الكبيرة ، وقال :

ـ كل الذى تراه أمامك هو الأرض الطبيعية ، كما يطلقون عليها هنا ، ويقطنها بشر من كوكبك ، وهم أحفاد سكان القارة الأصليين ، الذين استعبدهم أجدادى ، وهزموهم ، مع هبوطهم هنا ، وكلهم لا يمتلكون القدرة على التخاطر ، ولا يمكنهم الترقى إلى مرتبة أكثر

من مرتبة الحرس ، أما نحن .. القادمون من وراء النجوم ، فلا يتجاوز عددنا مائتين وخمسين رجلا وامرأة ، ولقد رأيت كل رجالنا هناك ، فى مجلس الحكم .. أما النساء ، فهن الملكات غير المتوجات ، على أرض (أطلانطس) ، ونحن نعاملهن بكل الرفق والاحترام ، ولكن من غير المسموح لهن أن يصلن إلى الحكم ، أو يشاركن فى وضع وتنفيذ القوانين ، ونحن نختلف عن البشر فى لون الدم ، والـ....

تدخل فجأة صوت (مالوس) ، وهو يقول فى سخط :

ـ عظيم .. ما الذى ستخبره به أيضًا يا (بيكاس) ؟.. رموزنا السرية ، أم رقم الكود للخطة الاستراتيجية الأساسية ؟!

التفت (نور) إلى (مالوس) فى توتر ، فى حين استدار (بيكاس) فى هدوء ، وقال :

ـ يلوح لى أنك قد تجاوزت القانون يا عزيزى (مالوس) ، فلدى تصريح خاص بالتحدث إلى السجين .

قال (مالوس) فى غضب :

ـ ألديك أيضًا تصريح خاص ، بنقل كل أسرارنا إليه ؟

أجابه (بيكاس) بنفس الهدوء :

ـ الجميع هنا يعرفون ما أخبره به يا (مالوس) .

صاح (مالوس) :

ـ هنا ، وليس هناك يا (بيكاس) .. هل فقدت القدرة على التمييز يا رجل ؟.. ألم تدرك بعد أن هذا الشاب ليس سوى جاسوس لكوكب (بيروزيت) .

هتف (نور) فى غضب :

ـ كفى يا سيد (مالوس) .. لقد سئمت اتهامك لى بالجاسوسية .. أنا هنا بسبب خطأ ، سبق أن أخبرتكم به .. كنت أبحث عن هذا العقار ، فى أعماق المحيط ، عندما ..

قاطعه (بيكاس) فى اهتمام :

ـ ما قصة هذا العقار يا ولدى ؟

هتف (مالوس) مستنكرًا :

ـ ولدك ؟!.. يا للسخافة !

رمقه (نور) بنظرة غاضبة ، قبل أن يقول :

ـ إنها قصة طويلة .

غمغم (بيكاس) :

كلى آذان صاغية .

قال (مالوس) فى سخرية عصبية :

ـ هيا .. ألق على مسامعه كل ما تريد من أكاذيب وترهات ، وأراهنك أنه سيصدق كل حرف منه .

تجاهله (نور) تمامًا هذه المرة ، ثم راح يروى لـ (بيكاس) القصة كلها ، منذ البداية ..

روى له كيف تعرضت (نشوى) لتجربة سادة الأعماق الرهيبة ، فنمت عشر سنوات دفعة واحدة ..

ثم قص عليه كيف بدأ عمرها ينخفض مرة أخرى ..

وبكل اهتمام وتركيز ، استمع إليه (بيكاس) ، على الرغم من مقاطعة (مالوس) له عدة مرات ، بكلمات ساخرة وعصبية ، حتى انتهى (نور) من قصته ، فهز (بيكاس) رأسه ، وقال فى اهتمام بالغ :

- إذن فهذا العقار هو الأمل الوحيد لابنتك ، فى استعادة عمرها ، واستمرار حياتها على كوكبكم .

غمغم (نور) فى مرارة :

- كان هذا صحيحًا ، حتى حدث ما حدث ، ووجدت نفسى هنا .

أطلق (مالوس) ضحكة عصبية ساخرة ، وهو يقول :

- يا لها من قصة مؤثرة .. لماذا لم تحاول تقديمها إلى الشاشة ؟

تنهد (بيكاس) ، وقال :

يا للسخافة !.. هل ستواصل أسلوبك الممل هذا يا (مالوس) ؟

قال (مالوس) فى تحد :

- نعم .. وأنا فخور به .

تنهد (بيكاس) مرة أخرى ، ثم ربت على كتف (نور) ، وقال :

- فليكن يا ولدى .. لاتدع اليأس يتسلل إلى قلبك ، فالخبراء يفرغون الآن ذاكرة (س-١٨) ، وأنا واثق من أن هذا سيمنحك البراءة .

واتجه فى هدوء إلى الباب ، وقال :

إلى اللقاء يا عزيزى (مالوس) .. أتعشم أن تحصل على قدر جيد من النوم ، حتى لاتفقد وعيك غدًا ، فى مجلس الحكم ، عندما أواجهك بما اختزنته ذاكرة (س-١٨) ، وبما يؤكد أن السفر عبر الزمن حقيقة لاجدال فيها .

رمقه (مالوس) بنظرة غاضبة وهو ينصرف ، ثم التفت إلى (نور) ، وقال :

- لا تثق كثيرًا فيما يقوله هذا المخرف .

قال (نور) فى برود :

- معذرة ، ولكننى أثق به إلى حد كبير .

عقد (مالوس) حاجبيه فى شدة ، وقال :

- ستدفع الثمن إذن .

واندفع يغادر المكان فى خطوات حادة عنيفة ، وهو يقسم فى أعماقه على أمر واحد ..

لن يخسر معركته أبدًا ..

مهما كان الثمن .

* * *

٨ ـ المحـــاولة ..

ارتجف جسد (محمود) فى عنف ، عندما أطلق (جيمس) رصاصات مدفعه الآلى ، وخُيِّل إليه لحظة أن الرصاصات قد أصابت جسده هو ، ولكنه انتفض مرة ثانية فى قوة ، عندما سمع صرخة أطلقتها (سلوى) ، تمتزج بصوت ارتطام الرصاصات بجسم زجاجى ، فصاح :

ـ (سلوى) .. (نشوى) .

رأى الجدار الزجاجى ، الذى يفصلهم عن حجرة التجميد ، ينهار ، و (سلوى) تندفع نحوه صارخة فى ارتياع :

ـ ابنتى .. (نشوى) .

برقت عينا (جيمس) فى شدة ، وهو يقول :

ـ ابنتك ؟!.. عظيم .. هذا هو ما أبتغيه .

صرخت به (سلوى) :

ـ اترك ابنتى .. لا تقترب منها .

هتف (جيمس) ظافرًا :

ـ كنت أعلم أن أحدهم سينهار ، عندما تتعرض تلك الصغيرة المتجمدة للخطر .. هيا يا امرأة .. أخبرينى .. ما شأن ابنتك ؟

اندفع الدكتور (حاتم) يقول :

ـ ابنتها تعانى مشكلة فى النمو ، وكنا نجرى تجربة لتجميدها ، حتى نعثر على العلاج المناسب لها .

سأله (جيمس) :

ـ ومن أنت بالضبط ؟

أجابه الدكتور (حاتم) :

ـ أنا الدكتور (حاتم زهير) .. أستاذ أبحاث النمو .

قال (جيمس) :

ـ أبحاث النمو ؟!.. وهل تحاول إقناعى بأن مركز أبحاث الفضاء كله ، سيعمل لتجميد طفلة ، تعانى مشكلة فى النمو .

وفجأة ، هوى على فك الدكتور (حاتم) بكعب مدفعه ، وقال فى حدة :

ـ هيا يا رجل .. أخبرنى بالحقيقة .

انتفض جسم (أكرم) ، وهو يراقب هذا المشهد ، عبر شاشات المراقبة ، وهتف فى غضب :

ـ يا للوغد !.. إنه يستحق لكمة من أجل هذا .

أشار إليه الدكتور (ناظم) بالصمت ، وهو يراقب الشاشة فى اهتمام بالغ ، حيث مسح الدكتور (حاتم) خيط الدم ، الذى سال من طرف شفتيه ، وقال فى توتر :

ـ لا يوجد ما أخبرك به .

صوّب إليه (جيمس) فوهة مدفعه الآلى ، وصاح :

ـ ألا تتعلمون أبدًا ؟!.. هيا يا رجل .. أخبرنى ما لديك ، وإلا أخبرنى به غيرك .

لم يحتمل الدكتور (ناظم) رؤية المشهد ، فلوّح بيده ، قائلًا :

ـ ابدأ التجربة .

كان (جيمس) لحظتها يصرخ فى وجه الدكتور (حاتم) :

ـ هيا .. لست أتميز بالصبر .

أجابه الدكتور (حاتم) فى توتر :

ـ لن تصدقنى لو أخبرتك .

قال (جيمس) فى حدة :

ـ يمكنك أن تختبرنى .

تبادل الجميع نظرة متوترة ، ثم قالت (سلوى) فى حدة :

ـ لا تخبره يا دكتور (حاتم) .

جذبها (جيمس) إليه فى حركة عنيفة ، وأحاط عنقها بذراعه ، وألصق فوهة مدفعه الآلى بصدغها ، وهو يقول :

ـ هيا .. أخبرنى يا رجل ، وإلا نسفت رأسها أمام عينيك .

أسرع (محمود) ، يقول :

ـ كلا .. انتظر .. سنخبرك .

ثم أشار إلى الدكتور (حاتم) ، الذى تابع :

ـ هذه الصغيرة لم تكن كذلك منذ يومين فحسب ، بل كانت فتاة شابة ، فى الخامسة والعشرين من عمرها .

حدّق (جيمس) فى وجهه بدهشة ، ثم شدّد ضغط ذراعه على عنق (سلوى) ، وهو يقول فى حدة :

ـ أتصوّرتنى ساذجًا وغبيًا إلى هذا الحد ؟.. أى مخلوق هذا ، الذى ينخفض عمره مع مرور الوقت .. ألم تجد خدعة أسخف من هذه يا رجل .

قال الدكتور (حاتم) ، فى توتر شديد :

ـ إنها الحقيقة .

صاح (جيمس) فى غضب :

ـ الحقيقة !.. فليكن يا رجل .. مادمتم تصرّون على العبث ، فلتروا بأنفسكم حقيقة واضحة .

ثم جذب عنق (سلوى) أكثر ، وهو يهتف :

ـ سأنسف رأسها أمام أعينكم .

وصرخت (سلوى) فى رعب هائل ..

* * *

ارتسمت ابتسامة هادئة كبيرة ، على شفتي (بيكاس) ، وهو يدخل معمل التحاليل العسكرية ، في قلب (أطلانطس) ، واستقبله المسئول هناك في ترحاب كبير ، قائلًا :

ـ مرحبًا يا سيِّد (بيكاس) .. مرحبًا بك هنا .

حياه (بيكاس) بيده في وقار ، وسأله :

ـ هل انتهيتم من تحليل ذلك العقار ، الذي عثرنا عليه مع الدخيل ؟

أجابه الرجل :

ـ نعم يا سيِّدي ، وها هي ذي نتائج التحاليل .. إنه عقار بالغ الخطورة يا سيِّد (بيكاس) .. لو تناول طفل في الخامسة قطرة واحدة منه ، لقفز به العمر عشر سنوات دفعة واحدة .

رفع (بيكاس) حاجبيه ، وقال :

ـ إلى هذ الحد .

ثم سأل في اهتمام :

ـ وكيف يبدو هذا العقار ؟

أجابه الرجل ، وهو يهز كتفيه :

ـ يبدو عاديًا للغاية يا سيِّد (بيكاس) .. مجرَّد سائل رائق ، يميل إلى الاصفرار .

هزَّ (بيكاس) رأسه متفهمًا ، وقال :

ـ عادي بالفعل .

ثم رفع يده إلى رأسه ، وتأوه مستطردًا :

ـ يا للدوار اللعين !

سأله الرجل في قلق :

ـ ماذا بك يا سيِّد (بيكاس) ؟

قال (بيكاس) ، وهو يلوِّح بيده :

ـ لا شيء .. مجرَّد دوار بسيط .. دعك منه يا رجل ، وأخبرني : هل يمكنني رؤية هذا العقار العجيب ؟

أجاب الرجل بسرعة :

ـ بالطبع يا سيِّد (بيكاس) .. بالطبع .

أحضر الرجل العقار في سرعة ، وتأمله (بيكاس) لحظة ، وهو يقول :

ـ أنت على حق .. إنه عادي جدًا .

ثم رفع يده مرة أخرى إلى رأسه ، وهتف :

ـ ها هو ذا الدوار اللعين يعاودني مرة أخرى .. أعطني جرعة ماء يا رجل .

أسرع الرجل لإحضار الماء ، فاعتدل (بيكاس) في سرعة ، وأخرج من جيبه قنينة صغيرة ، نقل إليها بضع قطرات من العقار ، ثم أغلق زجاجته بسرعة ، ووضع

القنينة فى جيبه ، وعاد يتظاهر بالإعياء ، فى اللحظة التى عاد فيها الرجل حاملًا الماء ، فتناول (بيكاس) رشفة واحدة ، ثم نهض قائلًا :

ـ خذ هذا العقار الشيطانى يا رجل .. سأعود أنا إلى منزلى ، فأنا بحاجة إلى بعض الراحة .

غمغم الرجل :

ـ أنت على حق يا سيِّد (بيكاس) .

غادر (بيكاس) المعمل فى سرعة ، وعاد فى نشاط جمّ إلى منزله ، ولم يكد يغلق بابه خلفه ، حتى انتقل على الفور إلى معمله ، وأخرج قنينة العقار من جيبه فى حرص ، وهو يغمغم :

ـ ها هى ذى العينة المطلوبة .. المهم أن أنتهى من عملى بسرعة .

وبدأ يجرى على العقار تجارب دقيقة ، وسريعة ، و ...

وغامضة ..

* * *

وقف (س ـ ١٨) جامدًا صامتًا ، فى حجرة فحص الآليين ، وامتدّ من عينيه سلكان رفيعان ، اتصلا بجهاز تفريغ وفحص الذاكرة ، وراح كل المخزون فى ذاكرته الآلية يظهر على عدد من الشاشات ، يجلس أمام كل منها خبير من الخبراء ، يسجل ويراجع كل ما يبدو أمامه ..

ووسط كل هذا دخل (مالوس) الحجرة ، وسأل رئيس الخبراء فى صرامة :

ـ ما نتائج فحص ذاكرة (س ـ ١٨) ؟

أجابه الرجل فى انبهار واضح :

ـ مذهلة يا سيِّد (مالوس) .

انعقد حاجبا (مالوس) ، وهو يردد فى غضب :

ـ مذهلة ؟!

أجاب الرجل فى حماس :

ـ بالتأكيد يا سيِّد (مالوس) .. من الواضح أن ذلك الشاب على حق .. إنه قادم من المستقبل ، فذاكرة (س ـ ١٨) تحوى أمورًا رهيبة .. لقد نفدت طاقته ، وهو يحارب إلى جوار الملك (أحمس) ، ثم استعاد قوته فى عصر آخر ، يحوى تقدمًا مدهشًا ، يشبه ما كنا عليه ، منذ ألف عام ، ولقد قاتل فى استماتة ، وحصل على الطاقة ، من أحد مخازننا فى الصحراء ، ثم التقى بذلك الشاب ، وخضع له ، وخاضا معًا مغامرات عجيبة ومذهلة ، فى

الأرض والفضاء ، وأعماق المحيط ، ثم انتقلا معًا عبر الزمن ، و ...

قاطعه (مالوس) فى توتر بالغ :

ـ امح هذه الذاكرة .

حنق الرجل فى وجهه بدهشة ، وردّد :

ـ ماذا ؟.. أتطالبنى بـ....

قاطعه (مالوس) مرة أخرى ، بلهجة آمرة :

ـ بمحو هذه الذاكرة تمامًا .. هل فهمت ؟

بدا التوتر الشديد على وجه الرجل ، وهو يقول :

ـ سيِّد (مالـوس) .. أتـدرك ما تعنيـه كل تلك المعلومات ، التى يختزنها (س ـ ١٨) ؟!.. إنها ليست مجرّد قصة طريفة ، نرويها لأحفادنا ، أمام جهاز التدفئة الصناعي.. إنها علوم ومعارف لاحصر لها .. فتح فى عالم الفيزياء الطبيعية وميكانيكا الكمّ .. إن عقل (س ـ ١٨) ليس عاديًا يا سيّد (لاموس) .. لقد صنعناه بحيث يختزن ويحلّل كل ما يمر به ، ولقد مرّ بالكثير .. والكثير جدًا .. إن هذه الذاكرة ، التى تطالبنا بمحوها ، تحوى كل المعلومات اللازمة ، حول عصور المستقبل ، ومعادلات السفر عبر الأبعاد ، وعبر الزمن .. لقد اختزن (س ـ ١٨) كل تجاربه ، ولديه وسيلة للتعامل معها .. إنها لم تعد مجرّد ذاكرة لشخص آلى .. إنها مرجع علمى كامل .

قال (مالوس) فى غضب :

ـ كيف تجرؤ على مناقشة أوامرى ، أيها البشرى الحقير ؟.. أنسيت لون الدماء ، التى تسرى فى عروقى.. إننى أحمل الدماء الملكية الزرقاء ، وأنت تحمل دماء بشرية عادية حمراء ، والقانون يجبرك على طاعتى .

قال الرجل فى عصبية :

ـ ليس فى كل الأحوال .

صرخ (مالوس) :

ـ بل في كل الأحوال ، وكل الأمور ، أيها البشرى الأحمق .. أنا هنا السيّد .. هكذا يقول القانون .

قال الرجل فى عناد :

ـ والقانون يحتم أيضًا ضرورة الحفاظ على كل النتائج العلمية ، وتقديمها إلى مجمع الأبحاث الملكى .

صاح (مالوس) :

ـ أية نتائج علمية ؟!.. كل هذا مجرّد خدعة .. هل صدقتم ما تحويه ذاكرة هـذا الآلى؟!.. إنها مجرّد كذبة متقنة ، وضعها غزاة (بيروزيت) لخداعنا . وايهامنا بأن هذا الشاب على حق .

قال الرجل فى حدة :

ـ علينا أن ندرس هذه المعادلات أوّلا ، قبل أن نجزم بهذا .

هتف (مالوس) ، غاضبًا :

ـ بل علينا أن نمحو تلك الذاكرة على الفور ، ودون تردد ، فلقد عمل (س ـ ١٨) كثيرًا ، مع هذا الشاب ، على حد قولك ، وصار يعتبره سيده ، فماذا لو أطاعه فى هذه المرة أيضًا ، وحارب إلى جواره ؟!.. هل نتركه ليدمر حضارتنا ؟

عقد الرجل حاجبيه ، وقال :

ـ أهذا اعتراف بصحة سفر الشاب و (س ـ ١٨) عبر الزمان ؟

لوح (مالوس) بيده ، هاتفًا :

ـ لا يوجد شىء اسمه (السفر عبر الزمن) .. إنه مجرد خدعة .

تنهد الرجل ، ثم عقد كفيه خلف ظهره ، وقال فى صرامة :

ـ فليكن يا سيد (مالوس) .. ما دمنا سنتبع القانون هنا ، فأنا أريد أمرًا مباشرًا ، من سمو الإمبراطور ، لمحو ذاكرة هذا الآلى .. هكذا يقول القانون .

التقى حاجبا (مالوس) فى شدة ، وارتسم الغضب على كل خلية من خلاياه ، وداعب ثوبه بسبابته وإبهامه فى عصبية ، قبل أن يقول :

ـ إذن فأنت ترفض إطاعة أوامرى .

قال الرجل فى حزم :

ـ بل أصر على تنفيذ القانون .

مال (مالوس) نحوه ، وقال :

ـ وهل تصر على تنفيذه ، فى كل الأحوال ؟

سأله الرجل فى توتر :

ـ ماذا تعنى يا سيد (مالوس) ؟

اعتدل (مالوس) ، وقال :

ـ أعنى أننى لم أحضر إلى هنا مباشرة .. لقد ذهبت أولًا إلى دائرة الأمن ، وراجعت ملفك ، وجدول المراقبة ، وعرفت أنك تلتقى سرًا بـ (هوفينا) .. ابنة حاكم الينبوع ، و ...

شحب وجه الرجل فى شدة ، وانكمش على نفسه ، فبتر (مالوس) حديثه ، وقال فى صرامة :

ـ هل تحب أن يصل هذا التقرير إلى الملك ؟

ارتجف الرجل ، وهو يقول :

ـ أرجوك يا سيد (مالوس) .. أنت تعلم أن القانون يعاقب بشدة ، على قيام أية علاقة ، بين أصحاب الدماء الحمراء ، وأصحاب الدم الأزرق الملكى .. أرجوك .. لن أفعل هذا ثانية .

ابتسم (مالوس) فى شراسة ، وهو يقول :

- يمكننا محو هذا الملف تمامًا ، مقابل محو ذاكرة (س-١٨) .

وانعقد حاجباه في وحشية ، وهو يستطرد :

- لقد أقسمت أن أعدم هذا الشاب ، وأمزقه إربًا ، ولن أترك ولو احتمالاً ضئيلاً ، فى أن يهبّ (س-١٨) لنجدته ، فى وقت غير ملائم .. ستمحو صورة هذا الشاب واسمه وصوته تمامًا من ذاكرة (س-١٨) ، مع كل وحدات الذاكرة ، التى تحوى ما حدث ، منذ نفاد طاقته ، عند الملك (أحمس) .. الآن .

ارتجف الرجل ، وهو يقول :

- حسن يا مستر (مالوس) .. حسن .. أعدك أن أفعل .

هتف (مالوس) :

- تعدنى ؟!.. كلا يا رجل .. لست أومن بالوعود ، فحتى أنا لا أحترمها .. إننى أريد إجراءً حاسمًا وفوريًا .. هيا .. امح الذاكرة كلها .

ارتعد جسد الرجل كله ، وهو يجلس أمام الشاشة الرئيسية ، ثم قال عبر جهاز خاص :

- امح الذاكرة كلها ، من النقطة (و-١٠٠) ، وحتى النهاية .

تلقى رجاله هذا الأمر بدهشة بالغة ، ولكنهم لم يملكوا سوى طاعته ..

وبالضغط على عدة أزرار ، انطلقت أجهزة محو الذاكرة تعمل بكل قوتها ، حتى ارتسمت على الشاشة عبارة واضحة ، بلغة (أطلانطس) ..

عبارة تعنى أن ذاكرة (س-١٨) لم تعد تحوى اسم (نور) ، أو هيئته ، أو تميّز نبرات صوته ..

لقد خسر (نور) أقوى أسلحته على الإطلاق ..

خسر (س-١٨) ..

* * *

تأهب حارسا حجرة (نور) ، واستعدا بسلاحيهما ، عندما وصل أحد الخدم ، حاملاً الطعام ، وفتحا باب الحجرة فى صمت وخفة ، ثم أشارا إلى الخادم بالدخول ، فدلف الخادم إلى الحجرة فى خطوات سريعة ، ووضع صحاف الطعام على المنضدة ، ثم استدار يبحث عن (نور) ببصره ، إلا أنه أطلق فجأة شهقة قوية ، جعلت الحارسين يلتفتان إليه فى سرعة ، فأشار إلى المقعد الوثير ، هاتفًا بعبارة ما ، تحمل رنة ذعر ، مما جعل الحارسين يقتحمان الحجرة فى قلق وحذر ، ووقع بصرهما على (نور) ، الذى سقط على المقعد ، وعيناه مفتوحتان ، وجسده متجمّد فى مشهد مخيف ..

وفى قلق ، أسرع أحد الحارسين إلى (نور) ، وانحنى ليفحصه ، ثم استدار إلى زميله ، ولوّح بيده ، مهمهمًا بعبارة ما ، بلغة (أطلانطس) ، و ...

وفجأة ، اعتدل (نور) ..

اعتدل ولكم الحارس القريب منه لكمة كالقنبلة ، وهو ينتزع منه بندقيته ، فتراجع الحارس الآخر ، وصوّب إليه بندقيته ..

ولكن (نور) أطلق الأشعة أولا ، فأطاح ببندقية الحارس الثانى ، ثم وثب من مكانه ، وانقض عليه بسرعة ، وضربه بكعب البندقية فى فكه ..

وسقط الحارس الثانى ، ليلحق بزميله الفاقد الوعى ، فى حين تراجع الخادم فى ذعر هائل ، وهو يلوّح بيده ، وينطق بعبارة لم يفهمها (نور) ، الذى قال فى صرامة :

ـ اطمئن .. لن أقتلك .. هذا لو أنك تفهم ما أقول .. فقط سأسجنك هنا ، حتى أتمّ مهمتى .

قالها واندفع خارج الحجرة ، وضغط زرّ إغلاق الباب ، ثم وقف يتطلع حوله فى توتر ..

لقد نجح فى الفرار من حجرته ، ولكن هل يتمّ خطته بنجاح ؟..

كان أمله الوحيد فى الوصول إلى منزل (بيكاس) ، حيث آلة الزمن ، التى قد تنقذه من المصير المحتوم ، الذى ينتظر (أطلانطس) ، وتعيده إلى زمنه ..

ولكن كانت هناك خطوة هامة ، قبل أن يفعل ..

أن يستعيد عقار النمو ..

أمل (نشوى) الأخير ..

لا أهمية لعودته إلى زمنه ، لو لم يحصل عليه ..

ولكن أين يجده ؟..

وكيف يصل إليه ؟..

لم يكن يعرف جوابًا للسؤالين ..

ولكن هذا لم يوقفه ..

لقد حمل بندقية الأشعة ، وانطلق بها عبر ممرات مبنى الحكم ، الذى يضمّ كل رجال مجلس الحكم الأطلنطى ، حتى لمح أحد رجال الحكم ..

ولقد بوغت الرجل برؤيته ، وتراجع مذعورًا ، إلا أن (نور) انقض عليه ، وصوّب إليه مدفعه ، وقال فى صرامة :

ـ أين أرسلتم ذلك العقار ؟

أجابه الرجل باتصال عقلى مباشر ، ودون أن يفتح شفتيه :

- إنه هناك ، فى معمل التحاليل العسكرى .

سأله فى صرامة :

- وأين هذا المعمل ؟

أجاب الرجل مرتجفًا :

- فى الطابق الأوّل .

سأله (نور) :

- وكيف يمكن الوصول إليه ؟

أشار الرجل إلى باب قريب ، وقال :

- استخدم المصعد .

دفعه (نور) أمامه بمدفعه ، وهو يقول :

- هيّا .. سترافقنى إلى هناك .

سار الرجل أمامه مستسلمًا ، وضغط دائرة صغيرة ، إلى جوار الباب ، فانفتح فى صمت ، كاشفًا المصعد الكبير ، ودفع (نور) الرجل داخل المصعد ، ثم بحث بعينيه عن زرّ الهبوط ، فلم يجد له أدنى أثر ، مما جعله يسأل الرجل فى عصبية :

- كيف يمكننا الهبوط ؟

رفع الرجل عينيه ، ونظر إلى دائرة أخرى فى سقف المصعد ، وقال :

- الأوّل .

أغلق الباب فى صمت وهدوء ، وبدأ الهبوط فى خفة مدهشة ، فى حين قال الرجل فى توتر :

- لن تنجح فى الفرار .

أجابه (نور) فى صرامة :

- اترك لى التفكير فى هذا .

ثم سأله فى حزم :

- أين يقيم (بيكاس) ؟

أجاب الرجل :

- فى الطابق الرابع .. الوحدة السابعة والثلاثون ، ولكن من العسير أن تصل إليه .

كرّر (نور) فى صرامة :

- دع لى هذه المشكلة .

توقّف المصعد فى الطابق الأوّل ، وانفتح بابه تلقائيًا ، فدفع (نور) الرجل أمامه ، وسأله فى صوت قاس :

- إلى أين نتجه ؟

أجابه الرجل :

- سنسير عبر ذلك الممر ، الذى أمامنا مباشرة ، فالمعمل فى نهايته ، ولكن ..

قاطعه (نور) :

- تقدّم أمامى إذن .

لم يكد الرجل يغادر المصعد ، حتى ارتفع أزيز مباغت ، وهبط حاجز زجاجى شفاف أمام (نور) ، وسجنه داخل المصعد ، فرفع (نور) فوهة مدفعه ، هاتفًا :

- لقد خدعتنى يا رجل .

بدا الرجل هادئًا للغاية ، وهو يقول :

- بل هو نظام أمنى ثابت .. لقد حاولت تحذيرك ، ولكن ..

قبل أن يتمّ الرجل عبارته ، رأى (نور) غازًا أخضر ، ينبعث من عدة فتحات ، فى سقف المصعد ، فصاح وهو يرفع عينيه ، إلى تلك الدائرة فى السقف :

- الطابق الرابع .. وبسرعة ..

ولكن المصعد لم يستجب ..

وانبعث الغاز الأخضر أكثر وأكثر ، وراح يلهب صدر (نور) ، الذى أخذ يسعل فى شدّة ، وهو يهتف :

- إنها خدعة .

رأى أمامه بغتة ، خارج ذلك الحاجز الزجاجى : السيّد (مالوس) ، وهو يقف إلى جوار الرجل الآخر ، ويتطلّع إليه بصرامة متشفيًا ، فهتف :

- إذن فأنت فعلتها .

وفى حركة سريعة ، رفع فوهة مدفعه الآلى ، وأطلق الأشعة نحو (مالوس) ..

ولكن الأشعة لم تنطلق ..

لقد ضغط (نور) زناد البندقية حتى نهايته ..

ولكنها لم تستجب ..

وفى هدوء شامت ، قال (مالوس) :

- إنه إجراء أمنى آخر أيها الشاب ، فبنادق الحرّاس مجهّزة بحيث لا تنطلق نحو أحد السادة قط ، مهما كانت الظروف ..

سعل (نور) فى عنف أكثر ، وهو يحاول مقاومة ذلك الغاز الأخضر ، الذى ملأ المصعد كله ، ثم صرخ :

- أيها الوغد :

وصوّب بندقيته إلى تلك الدائرة فى السقف ، وأطلق أشعتها مرتين ..

وأصابت الأشعة الدائرة ، ورآها (نور) تنفجر ..

وكان هذا آخر ما رآه ..

لقد هزمه الغاز الأخضر ..

هزمه تمامًا .

* * *

٩ ـ الهزيمـة ..

عندما أحاط (جيمس) عنق (سلوى) بذراعه ، وألصق فوهة مدفعه بصدغها ، لم يكن يهدد الآخرين فحسب ..

بل كان ينوى بالفعل نسف رأسها ..

كان من ذلك الطراز من الأوغاد ، الذين لا يقيمون وزنًا للحياة الآدمية ، أو لقواعد الأخلاقيات والذوق ..

ولم يكن ليتردد فى نسف رأس امرأة ..

المهم أن يفوز ..

ولكن فجأة ، شعر (جيمس) باضطراب شديد ..

كان هناك شىء ما يهاجم عقله ، ويثير فيه شعورًا بالتوتر والبلبلة ..

وكذلك الجميع ..

وفى انهيار تام ، ألقى أحد رجال (جيمس) مدفعه الآلى ، وصرخ :

ـ لم أعد أستطيع هذا .. لم أعد أستطيع الاستمرار .

صرخ (جيمس) ، وهو يقاوم اضطرابه بشدة :

ـ أيها الحقير .. إنك تفسد كل شىء .

صاح الرجل :

ـ لم أعد أستطيع .. سأنسحب .

دفع (جيمس) (سلوى) بعيدًا ، ثم أدار فوهة مدفعه نحو الرجل ، وأطلق النار فى وحشية ، وهو يصرخ :

ـ إنك تفسد كل شىء .

انتفض جسد (مشيرة) ، وهى تراقب هذا المشهد العنيف ، وهتفت :

ـ يا إلهى .. لقد قتل زميله .

تمتم (أكرم) فى عصبية :

ـ هذا ما كنت أخشاه .

أجابهما الدكتور (ناظم) فى حزم :

ـ استمرا فى المراقبة .. ربما ينهار بعد قليل .

ولكن (جيمس) لم يكن بالرجل الهيِّن ..

لقد أدرك على الفور أنها محاولة للسيطرة عليه ..

وأن الهجوم سيبدأ بعد قليل ..

لقد فقد الجميع سيطرتهم على عقولهم ..

حتى الرجلان المصاحبان له ..

وكان عليه أن يتخذ قراره فى سرعة ..

وفى حزم ..

وبلا تردد ، اندفع (جيمس) نحو حجرة التجميد ، وصوب مدفعه إلى الأسطوانة ، التى تحـوى جسد (نشوى) ، وصرخ :

- أوقفوا هذا .. أوقفوه أو أنسف الصغيرة نسفًا .

صرخت (سلوى) :

- ابنتى .. (نشوى) .

أما (محمود) ، فقد اندفع نحو (جيمس) ، صارخًا :

- أيها الوغد الحقير .

استقبله (جيمس) بضربة عنيفة ، من كعب بندقيته فى معدته ، ثم أعقبها بأخرى أكثر عنفًا وقوة ، وألقاه بعيدًا ، مضرجًا فى دمائه ، فصرخ (أكرم) فى غضب :

- أيها الوغد .. أيها الحقير .

واستدار إلى الدكتور (ناظم) ، مستطردًا فى انفعال :

- دعنى أذهب إلى هذا القذر .. فقط أعطنى مسدسًا قديمًا ، واتركنى أذهب إليه .

أشار إليه الدكتور (ناظم) فى توتر :

- اهدأ يا (أكرم) .. الموقف لا يحتمل هذا .

وتابع مراقبة الشاشة ، التى نقلت صورة (جيمس) ، وهو يصرخ فى شدة :

- إننى أحذركم .. أوقفوا هذا ، أو أطلق النار بلا تردد .. سأمنحكم ثلاث ثوان فحسب .. واحد ..

هتف الدكتور (ناظم) على الفور :

- أوقفوا البث .. من الواضح أنه لن يتردد لحظة واحدة .

أوقف رجاله البث على الفور ، وشعر (جيمس) بالتأثير مباشرة ، وهزّ رأسه فى قوة ، هاتفًا :

- هذا أفضل .

هتفت (سلوى) :

- ابتعد عن ابنتى .. لقد أوقفوا البث ، فدعها وشأنها .

أجابها فى شراسة :

- خطأ يا سيدتى .. ما حدث يؤكد أن لهذه الصغيرة شأن كبير هنا ، حتى أنهم تخلوا عن فرصة نادرة للإيقاع بنا ، حتى لا نؤذيها .

ثم رفع وجهه إلى أجهزة المراقبة ، وقال فى غضب :

- لقد أخطأتم بهذه المحاولة ، وستدفعون ثمن هذا الخطأ غاليًا .

وأدار فوهة مدفعه الآلى إلى الخبير الثالث ، وغمر جسده بالرصاصات ، فانتزعه من مكانه ، وألقاه جثة هامدة ، وصرخ (أكرم) ، وهو يشاهد هذا المشهد البشع على شاشة المراقبة :

- يا للمتوحش !.. هل ستتركونه يحصدهم هكذا ؟..

وهتفت (مشيرة) ، وهى تخفى وجهها بكفيها :

- يا للبشاعة !.. يا للبشاعة !..

عقد الدكتور (ناظم) حاجبيه ، وهو يقول فى توتر :

ـ إننى لم أر فى حياتى كلها رجلا بهذه الدموية .

صاح (جيمس) ، فى اللحظة نفسها :

ـ ولقد اختصرت المهلة الممنوحة ، فالفترات الطويلة تثير خيالكم ، وتجعلكم تجربون وسائل جديدة .. إننى أريد الحوامة وعينة العقار ، خلال عشر دقائق فحسب ، وأريد آلة رافعة ، لنقل هذه الأسطوانة ، التى تحوى جسد الصغيرة إلى الحوامة .

شهقت (سلوى) فى ذعر ، وقال الدكتور (حاتم) فى حدة :

ـ لا شأن لك بالصغيرة .. خذ عينة العقار وانصرف .

صاح به (جيمس) فى شراسة :

ـ اخرس أيها الطبيب ، وإلا أخرستك برصاصاتى .

ثم صرخ فى غضب :

ـ لقد بدأ العد التنازلى ، وسأقتل هذه المرأة ، بعد مرور الدقائق العشر بالضبط .

هتفت (مشيرة) فى ارتياع :

ـ ماذا ستفعل يا دكتور (ناظم) ؟

أجابها فى ضيق شديد :

ـ لم يعد هناك ما نفعله .

ثم زفر فى مرارة ، قبل أن يستطرد :

ـ سنلبى طلبه .

قال (أكرم) مستنكرًا :

ـ وتتركه يرحل بـ (نشوى) .

أجابه الدكتور (ناظم) :

ـ لقد رأيت شراسته بنفسك .. لو لم ننفذ أوامره ، فلن يتردد فى قتل (سلوى) ، وتحطيم أسطوانة التجميد .. إننا نحاول إنقاذ ما يمكن إنقاذه .

تدخل صوت متوتر ، يقول :

ـ ما رأيك فى الاعتراض لدى سفارته ؟

التفت الجميع إلى مصدر الصوت ، وهتفت (مشيرة) :

ـ دكتور (حجازى) .. أين كنت ؟

اتجه نحوها فى خطوات صارمة ، وهو يقول :

ـ المهم أننى هنا الآن يا (مشيرة) ، وليس أين كنت ؟

ومد يده يصافح (أكرم) ، مستطردًا :

ـ مرحبًا بك يا (أكرم) ، كنت أتمنى الاحتفال بعودتك إلى عالمنا ، ولكن الظروف ليست مناسبة كما ترى .

غمغم (أكرم) :

ـ أخشى أننى وصلت فى وقت غير مناسب .

جلس الدكتور (حجازى) أمام شاشة المراقبة ، وهو يقول :

من يدرى ؟.. ربما عدت إلينا فى الوقت المناسب بالضبط .

قال الدكتور (ناظم) فى اهتمام :

- ما الذى كنت تقصده ، بالحديث عن سفارته ؟

أجابه الدكتور (حجازى) :

- لو عرفنا هويته ، فيمكننا اللجوء إلى حلّ دبلوماسى .

قال الدكتور (ناظم) :

- لن يكون لدينا وقت لهذا ، ثم كيف نعرف هويته .. إنه يتحدث العربية كما ترى ، وملامحه أوربية على الأرجح ، ولكن إلى أية دولة ينتمى ؟

راقب الدكتور (حجازى) وجه (جيمس) لحظات على الشاشة ، ثم قال فى حسم :

- بريطانى .

سأله الدكتور (ناظم) فى دهشة :

- وكيف يمكنك الجزم بهذا ؟

أجابه الدكتور (حجازى) :

- إنه جزء من عمل الطب الشرعى ، فى هذه الأيام ، فكثيرًا ما نعثر على جثة مجهولة الهوية ، ويكون علينا تحديد جنسيتها ، باستخدام علامات تختص بها كل أمة ، فى شكل الفم والعينين ، والتقاء الشفتين ، و ...

قاطعه صوت (جيمس) ، عبر أجهزة المراقبة ، وهو يقول فى عصبية :

- سبع دقائق فحسب ، وبعدها أقتل المرأة .

أمسك الدكتور (ناظم) جهاز الاتصال ، وقال :

- سنلبى طلباتك كلها ، ولكن هذه الدقائق السبع لن تكفى .

قال (جيمس) فى حدة :

- أسرعوا إذن ، وابذلوا قصارى جهدكم ، فلن أزيد ثانية واحدة .

هتفت (مشيرة) :

- سيفعلها .. أنا واثقة من أنه سيفعلها .. ألست ترى هذا أيضًا يا (أكرم) ؟

التفتت إلى حيث يقف (أكرم) ، وارتفع حاجباها فى دهشة ، وهى تدير عينيها فى المكان بحيرة ..

لقد اختفى (أكرم) ..

اختفى تمامًا ..

* * *

انحنى (مالوس) فى احترام مبالغ ، أمام الملك (كوراك) ، وهو يقول بلهجة واضحة النفاق :

- احترامى وخضوعى لمولاى ملك (أطلانطس) الموقر .



انحنى (مالوس) فى احترام مبالغ ، أمام الملك (كوراك) ..

اعتدل (كوراك) على عرشه ، وقال :

ـ سمعت أن الدخيل حاول الهرب يا (مالوس) .

أومأ (مالوس) برأسه إيجابًا ، وقال :

ـ هذا صحيح يا مولاى ، ولكننا أحبطنا المحاولة ، ووضعناه فى زنزانة إليكترونية خاصة ، فى انتظار حكمك يا مولاى .

مط (كوراك) شفتيه ، وقال :

ـ أى حكم يا (مالوس) .. لقد أثار هذا الدخيل أكبر جدل ، فى حياة (أطلانطس) كلها .. ألم تر ما حدث فى مجلس الحكم ؟.. لقد أيد العديدون فكرة قدومه من زمن لاحق ، فى حين رفضها الآخرون فى إصرار .

قال (مالوس) فى حدة :

ـ إنها فكرة مرفوضة يا مولاى ، فالسفر عبر الزمن مجرد ..

رفع الملك يده ، وقال :

ـ لست هنا لمناقشة ظاهرة علمية .. إننى أتحدث عن ذلك الدخيل ، وعن تحذيره لنا ، بشأن تجربة تفجير قنبلة (الأيونونيترون) .. إن هذا التحذير يتفق مع مخاوف (بيكاس) ، ونظرية (اينشتاس) القديمة ، وربما يغرق الانفجار (أطلانطس) بالفعل .

هتف (مالوس) :

ـ هراء .. كل هذا مجرّد هراء يا مولاى .. تجربة القنبلة لن تسبّب أدنى ضرر لقارتنا العظيمة .. أقوى وأعظم قارة على سطح الأرض ، أما عن فكرة قدومه من عالم لاحق ، فهذا هو السخف بعينه .. لقد فحصنا ذاكرة (س-١٨) ، ووجدناها خالية تمامًا ، وآخر ما تحويه ذكريات قتاله إلى جوار الملك (أحمس) ، مع رفاقه الآليين .

عقد (كوراك) حاجبيه ، وقال :

ـ عجبًا !.. كيف وصل مع الدخيل إذن ؟.. أين وحدة الذاكرة الخاصة بهذا ؟

ارتبك (مالوس) ، مع تلك النقطة ، التى لم تخطر بباله قط ، ولكنه لم يلبث أن سيطر على أعصابه ، وقال :

ـ من المؤكّد أن غزاة (بيروزيت) قد محوها يا مولاى ، حتى لاتكشف أمرهم ، إذا ما فحصنا ذاكرته الآلية .

ازداد انعقاد حاجبى (كوراك) ، وظلّ صامتًا لحظات ، ثم قال :

ـ ربّما .

أسرع (مالوس) يقول :

ـ تاريخنا يحمل الكثير ، من أساليب الخداع عند غزاة (بيروزيت) .

تنهّد (كوراك) ، وقال :

ـ هذا صحيح .

شعر (مالوس) أنه يقترب من الظفر بما يريد ، فتابع بسرعة :

ـ وهذا يعنى أن التخلّص من هذا الدخيل صارّ حتميًا يا مولاى .

صمت (كوراك) ، وهو يتطلّع إليه ، فاستطرد :

ـ لن نتركه كشوكة فى ظهورنا يا مولاى .

تطلّع إليه (كوراك) لحظات أخرى فى صمت ، ثم قال :

ـ اسمع يا (مالوس) .. هناك شىء غامض ، وراء ظهور هذا الدخيل ، فلقد كنت أجلس فى شرفة قصرى ، أستمع إلى بعض الموسيقى الهادئة ، عندما حدثت دوّامة هوائية عنيفة ، وفوجئت به فوق منضدتى .. وهذا لايبدو لى عاديًا أبدًا يا (مالوس) .

قال (مالوس) فى استنكار :

ـ مولاى .. إنك لاتصدّق قصته بالطبع .

أجابه (كوراك) :

ـ لو لم أصدقها ، فمن المحتم أن تمنحنى تفسيرًا منطقيًا آخر يا (مالوس) .. كيف ظهر هذا الشاب مع (س-١٨) فجأة ، على هذا النحو العجيب ؟

قال (مالوس) فى حدة :

ـ مجرّد انتقال آنىّ يا مولاى .. لقد أجرينا عدة تجارب فى هذا الشأن ، وربما بلغ غزاة (بيروزيت) شأنا أعظم ، فى هذا المجال .

عقد (كوراك) حاجبيه مرة أخرى ، وهو يقول :

ـ فليكن يا (مالوس) .. سأقنع بهذا التفسير .

قال (مالوس) فى لهفة :

ـ الحكم إذن يا مولاى .

هزّ (كوراك) رأسه ، وقال :

ـ لا يمكننى إصدار الحكم ، إلا فى حضور مجلس الحكم يا (مالوس) .. هذا هو القانون .

أجابه (مالوس) فى سرعة :

ـ وهذا القانون أيضًا يمنحك سلطة إصدار الأحكام ، فى غياب مجلس الحكم ، فى حالات الطوارئ .

سأله (كوراك) ، وهو يرمقه بنظرة حذرة :

ـ وهل توجد حالة طوارئ الآن ؟

هتف (مالوس) فى حماس مفتعل :

ـ بالطبع يا مولاى .. هناك خطر يتهدد حياتنا وحضارتنا .. أى طوارئ تفوق هذا .

ابتسم (كوراك) ، وهو يقول :

ـ أنت خبير فى وضع الأمور والقوانين حيثما تريد يا (مالوس) .

قال (مالوس) فى انفعال :

ـ الأمر خطير بالفعل يا مولاى ، حتى أننى أشك فى أن (بيكاس) يتعاون مع هذا الجاسوس .

عقد (كوراك) حاجبيه فى شدة ، وهو يقول :

ـ كن حذرًا فى حديثك يا (مالوس) ، فـ (بيكاس) أحد حكماء المجلس ، ومن الخطر ، كل الخطر ، اتهامه دون دليل قوى .

قال (مالوس) :

ـ لدى قرائن تؤيد شكوكى يا مولاى .

سأله (كوراك) فى صرامة :

ـ مثل ماذا ؟!

أجابه فى سرعة :

ـ كان يتحدث مع السجين وحده ، ويشرح له حياتنا وتقسيماتنا الاجتماعية ، ويتعاطف معه ، و ...

قاطعه (كوراك) فى صرامة غاضبة :

ـ كفى يا (مالوس) .

سأله (مالوس) فى قلق :

ـ ماذا حدث يا مولاى ؟

أجابه فى حدة :

ـ إنك تحاول توريط (بيكاس) ، لاختلافك معه فى الرأى فحسب ، وهذا لا يليق بعضو فى مجلس الحكم .

قال (مالوس) :

ـ مولاى .. إننى لم ..

قاطعه فى حسم :

ـ كفى .. لن نناقش هذا الأمر مرة أخرى .

عقد (مالوس) حاجبيه فى ضيق ، وهو يقول :

ـ وماذا عن الدخيل ؟

اعتدل (كوراك) على عرشه ، وقال فى صرامة :

ـ لقد أصدرت حكمى بشأنه .

ثم نطق بالحكم ..

الحكم الرهيب .

* * *

١٠ ـ الحكم ..

سعل (نور) فى شدة ، وهو يستعيد وعيه ، وشعر بآلام شديدة فى صدره ، لم تلبث أن خفت تدريجيًا ، وهو يستعيد شعوره بمن حوله ، وسمع صوت (بيكاس) داخل رأسه ، وهو يقول فى أسى :

ـ هل استعدت وعيك ؟

فتح (نور) عينيه فى بطء ، وتطلع إلى الجدران اللامعة الشفافة ، التى تحيط به ، حول قرص سميك ، يحيط بالمقعد الذى ربطوه إليه من معصميه وقدميه ، ورأى أمامه (بيكاس) ، واضح الحزن والأسى ، وهو يستطرد :

ـ كانت حماقة كبيرة منك أن تحاول الفرار ، بهذا الأسلوب البدائى ، فوسائل الأمن لدينا متطورة للغاية .

تمتم (نور) فى إرهاق :

ـ كيف كشفوا أمرى ؟

أجابه منتبهًا :

ـ إنهم يراقبونك طوال الوقت ، حتى وإن لم تشعر بهذا .

أغلق (نور) عينيه لحظات ، ليستعيد صفاء ذهنه ، قبل أن يبتسم فى تهالك ، مغمغمًا :

- كنت أتمنى الوصول إلى آلتك الزمنية .

أدهشه جواب (بيكاس) ، وهو يقول :

- أنا أيضًا تمنيت هذا .

تطلع إليه (نور) مأخوذا ، فتابع (بيكاس) مبتسمًا فى مرارة :

- ولقد أعددت العدة لاستقبالك .

ثم هزّ كتفيه ، وتنهد مرة أخرى ، مستطردًا :

- كانت فرصة لتجربة الآلة على الأقل .

سأله (نور) فى دهشة :

- لماذا تساعدنى هكذا ؟

أجابه (بيكاس) :

- لأنك تستحق الحياة .

سأله (نور) :

- ومن أدراك ؟

أشار (بيكاس) إلى عقله ، وهو يبتسم ، قائلًا :

- هذا .

ثم عاد يتنهد ، وهو يستطرد :

- إننى أعارض تجربة القنبلة (الأيونوبروتينية) منذ البداية .. كل معادلاتى تقول : إن هذه التجربة ستنتهى بكارثة ، ولكنهم جميعًا يعارضون هذا الرأى ويصرّون على القيام بالتجربة ، وقلبى يحدثنى بأنها ستكون النهاية .

غمغم (نور) :

- هذا ما أومن به أيضًا .

ثم سأله فى اهتمام :

- ألا يمكن منعهم من إجراء التجربة بأية وسيلة ؟.. بالاستعانة بـ (س-١٨) مثلًا ؟

هزّ (بيكاس) رأسه نفيًا ، وقال :

- لم تعد هناك فائدة فى (س-١٨) .. لقد انتهى .

خفق قلب (نور) فى عنف ، وهو يقول :

- هل أفسدوه ؟

رفع (بيكاس) عينيه إليه ، وقال فى حزن :

- دعك من (س-١٨) الآن ، وانتبه إلى مصيرك أنت يا ولدى .. لقد أصدر المَلك حكمه عليك .

صمت (نور) ، وهو يتطلع إليه فى ترقب ، فخفض (بيكاس) عينيه ، وكأنما يعجز عن مواجهته ، وهو يتابع :

- إنهم سيضعونك فى موقع التفجير يا ولدى .. وسيتلقى جسدك أوّل لحظة من انفجار القنبلة (الأيونوبروتينية) ، فى الصباح الباكر ..

وكان هذا يعنى النهاية بالفعل ..

نهاية (أطلانطس) ..

ونهاية (نور) .



[انتهى الجزء الثانى بحمد الله]

□ ويليه الجزء الثالث □

(نقطة الصفر)

رقم الإيداع ٣٢١٥

ملف المستقبل

سلسلة روايات بوليسية للشباب من الخيال العلمي

المؤلف



د. نبيل فاروق

الرحلة الرهيبة

● ما سر ظهور (س — ١٨) الفاجئ، بعد اختفائه المثير؟!

● كيف انطلق (نور) مع (س — ١٨)، في رحلة رهيبة، إلى أعماق المحيط؟

● ترى هل ينجح (نور) في إنقاذ ابنته الوحيدة، أم تبتلعه (الرحلة الرهيبة)؟

● اقرأ التفاصيل المثيرة، وقاتل مع (نور) ورفاقه، من أجل أمل أخير..

٩٢

الثمن في مصر ١٠٠ قرش وما يعادله بالدولار الأمريكي في سائر الدول العربية والعالم

الناشر
المؤسسة العربية الحديثة
للطبع والنشر والتوزيع

العدد القادم: نقطة الصفر

روايات مصرية للجيب

ملف المستقبل

مصري جداً !!؟

٩٣



نقطة الصفر

د. نبيل فاروق

ملف المستقبل

فى مكان ما من أرض مصر ، وفى حقبة ما من حقب المستقبل ، توجد القيادة العليا للمخابرات العلمية المصرية .. يدور العمل فيها بهدوء تام وسرّيّة مطلقة .. من أجل حماية التقدم العلمى فى مصر .. ومن أجل الحفاظ على الأسرار العلمية التى هى مقياس تقدم الأمم .. ومن أجل هذه الأهداف يعمل فريق نادر تم اختياره بدقة بالغة :

— نور الدين : واحد من أكفأ ضباط المخابرات العلمية يقود الفريق .

— سلوى : مهندسة شابة ، وخبيرة فى الاتصالات والتتبع .

— رمزى : طبيب بارع متخصّص فى الطب النفسى .

— محمود : عالم شاب وإخصائى فى علم الأشعة .

فريق نادر يتحدّى الغموض العلمى والألغاز المستقبلية .. إنهم نظرة أمل للمستقبل .. ولمحة من عالم الغد .

د. نبيل فاروق

١ ـ محاولة ..

نهض السفير البريطانى فى (القاهرة الجديدة) من خلف مكتبه ، فى ذلك الصباح ، من شتاء القرن الحادى والعشرين ، يستقبل مندوب المخابرات العلمية المصرية ، وهو يبذل قصارى جهده ؛ ليرسم على شفتيه ابتسامة ترحاب ودودة ، وهو يقول :

ـ أهلًا ومرحبًا بك فى سفارة دولتى يا سيّدى .. أية رياح طيبة ..

قاطعه مندوب المخابرات بغتة ، وعلى نحو لا يتفق أبدًا مع الأساليب الدبلوماسية المألوفة :

ـ سيدى .. أنا هنا لمهمة محدودة ، بالغة الأهمية والخطورة ، وعاجلة للغاية أيضًا .

خفق قلب السفير البريطانى فى عنف ، وهو يحاول السيطرة على مشاعره ، وقال :

ـ إلى هذا الحد ؟!

أضاف المندوب فى صرامة :

ـ بل ربما تهدّد العلاقة بين دولتينا أيضًا يا سيدى السفير .

ازداد اضطراب السفير ، وقفز ليرتسم القلق فى وضوح على ملامحه ، وتجمّد لسانه فى حلقه ، فلم يستطع التفوّه بحرف واحد ، وهو يتطلّع إلى المندوب المصرى فى توتر شديد ..

لقد كان يعلم طبيعة المشكلة بالفعل ..

وهذا ما يؤرّقه ..

وفى حزم وصرامة ، واصل المندوب المصرى حديثه ، قائلًا :

ـ لقد اقتحم بعض مواطنيك مركز أبحاث الفضاء الخاص بنا ، واحتلوا حجرة التجميد البشرى ، ويهددون الآن بنسف أسطوانة خاصة ، تحوى جسد طفلة صغيرة ، تمثل بالنسبة إلينا أهمية قصوى ، ما لم يتم تنفيذ مطالبهم ، التى تتعارض مع أمننا القومى .

ازدرد السفير لعابه فى صعوبة ، وهو يتمتم :

ـ أأنت واثق من أنهم ينتمون إلينا ؟ ربما كانوا أمريكيين ، أو ....

قاطعه مندوب المخابرات العلمية المصرية فى حزم :

ـ بل هم من مواطنيك يا سيادة السفير .

حاول السفير أن يناور ، ويتملّص من الأمر ، فتمتم :

ـ ربما كان هناك خطأ ما فى الأمر ، أو ...

بتر هو عبارته بنفسه هذه المرة ، وعجز عن الاستطراد ، فمال المندوب المصرى نحوه ، وقال فى صوت حاد :

ـ ليس لدينا وقتًا لإضاعته يا سيادة السفير .. إننا واثقون تمامًا من أننا نتعامل مع فريق بريطانى ، ونطالبك بالتدخل فورًا ، ودون إبطاء ، لإيقاف هذه المهزلة السخيفة ، وإلا فستكون العواقب وخيمة قاسية .

كان الموقف دقيقًا بحق ، إلا أنه لم يكن من السهل أبدًا أن يستسلم السفير البريطانى بهذه السرعة ، ويعترف بتورط بلاده فى أمر مشين كهذا ؛ لذا فقد قال فى محاولة أخيرة :

ـ سيّدى .. أريد دليلًا ماديًا واحدًا .

انعقد حاجبا المندوب المصرى ، قبل أن يميل نحوه ، ويقول فى صرامة .

ـ هل سمعت عن علم الأجناس البشرية يا سيّدى السفير(*) ؟..

(*) علم الأجناس البشرية = الأنثروبولوجيا : علم يدرس أصل النوع الإنسانى ، وكل الظواهر المتعلقة به ، وينقسم إلى أنثربولوجيا طبيعية ، وأخرى ثقافية ، والأولى تختص بدراسة الأجناس البشرية ، وتكوين جسم الإنسان .

هل تعرف علمًا يعرف باسم الفسيونومى(*) ؟.. لو أنك تعرفها ـ كما أتوقع ـ فستدرك كيف أمكننا تعرّف مواطنك بمنتهى الدقة ، عن طريق واحد من أعظم خبراء العالم ، فى هذا المجال ، ولقد غذينا كمبيوتر المخابرات لدينا بكل التفاصيل ، وأضفنا إليها صورة لمواطنك ، الذى يتزعم العملية كلها ، تم التقاطها بوساطة أجهزة المراقبة ، فأعلن الكمبيوتر أننا أمام رجل يدعى (جيمس برادلى) ، ينتمى إلى المكتب الخامس مباشرة(**) ، ولدينا كل الوثائق التى تؤيد هذا .

صمت السفير البريطانى لحظة ، وهو يبحث عما يمكن أن يقال ، فاستطرد المندوب المصرى ، فى شىء من الحدة :

ـ الوقت أمامنا أضيق مما ينبغى يا سيادة السفير ، فلقد أبلغنى رجال الأمن فى دولتى ، منذ لحظات ، وقبل حضورى مباشرة ، أن (جيمس) قد منحهم عشر دقائق فحسب ، لتنفيذ مطالبه وتلبيتها ، وإلا فسينسف الصغيرة

(*) الفسيونومى : علم دراسة الملامح البشرية ، لتحديد التكوين النفسى لصاحبها ، وهويته ، والدولة التى ينتمى إليها ، وهو علم حديث نسبيًا ، بدأ فى منتصف القرن العشرين .

(**) المكتب الخامس : اسم يطلق على جهاز المخابرات البريطانى .

المتجمدة ، داخل أسطوانة خاصة ، ونحن نطالبكم بالتحدث إليه مباشرة ، وإعلانه بإلغاء العملية ، وبضرورة تسليم نفسه للسلطات المصرية ، وإلا فإننا سنتخذ إجراءات صارمة وعنيفة للغاية ، تجاه دولتك .

ازدرد السفير لعابه مرة أخرى فى صعوبة ، وقال بصوت متحشرج :

ـ حتى لو وافقنا على مطالبكم ، فالوقت لن يسمح بمنع هذا .

أجابه المندوب المصرى :

ـ سنحاول كسب المزيد من الوقت ، فالحوامة ستصل إليه ، فى الموعد المحدد تمامًا ، ولكننا سنتعلّل بضرورة فحص محركاتها ، وتزويدها بالوقود ، ونستخدم آلة رافعة بطيئة نسبيًا ، لرفع أسطوانة التجميد ، وسنحاول إقناعه بأن حصوله على العقار يحتاج إلى شفرة خاصة ، وعدد من الخبراء .. سنفعل كل ما نستطيعه ، المهم أن تستغل أنت أيضًا هذا الوقت الإضافى ، لإصلاح الموقف .. أقصد لإنقاذى ، وإلا ...

ولم يتمّ عبارته ..

لم يشعر حتى بضرورة إتمامها ..

كان المعنى واضحًا ، والتهديد جليًا ..

وفى ارتباك شديد ، غمغم السفير البريطانى :

ـ لست أدرى ما إذا كنت أستطيع ..

قاطعه المندوب المصرى هذه المرة ، فى صرامة شديدة ، وهو يقول :

ـ سيادة السفير .. هذه الطفلة ، التى نبذل قصارى جهدنا لإنقاذها ، ليست طفلة عادية .. إنها ابنة (نور) .. الرائد (نور الدين محمود) .

شحب وجه السفير ، وهو يسأله :

ـ بطل التحرير ؟!

أومأ المندوب المصرى برأسه إيجابًا ، وقال :

ـ وأعتقد أن هذا يمنح الأمر صفة عالمية .. أليست كذلك ؟

سأله السفير فى شحوب :

ـ بلى .. ولكن أين هو الآن ؟.. أعنى أين الرائد (نور) ؟

فى هذه المرة لم يمنحه المندوب المصرى أية أجوبة ..

ربما لأنه هو نفسه كان يجهل الجواب ..

ولم يكن ـ فى الوقت ذاته ـ يمكن أن يتخيَّل أنه لا يوجد أدنى أثر لـ (نور) ، فى هذه اللحظة بالذات ، فى أية بقعة من الكرة الأرضية ..

ولا حتى فى هذا الزمن ..

إنه ، وفى هذه اللحظة ، ولو أن العبارة تعنى شيئًا فى هذا المقام ، كان يبعد عنهم ستة وثلاثين قرنًا من الزمان ..

كان فى (أطلانطس) ..

قارة (أطلانطس) الأسطورة[*] ..

* * *

كانت البداية الحقيقية منذ ما يقرب من خمس سنوات ، عندما خضعت (نشوى) ـ مرغمة ـ لتجربة شيطانية رهيبة ، أجراها بعض المخلوقات الفضائية ، باستخدام عقار خاص للنمو ..

وقفز عمر (نشوى) عشر سنوات دفعة واحدة[**] ..

وطوال سنوات خمس ، عاشت (نشوى) كفتاة ناضجة ، نما عقلها وجسدها قبل الأوان ، وخبيرة كمبيوتر نادرة ، لا يُشق لها غبار ..

ثم فجأة ، أتى رد الفعل العكسى المخيف ..

لقد بدأ عمرها ينخفض بغتة ، ودون مقدمات ..

(*) راجع قصة (الرحلة الرهيبة) .. المغامرة رقم (٩٢).

(**) راجع قصة (البركان) .. المغامرة رقم (٨٩).

وفى كل يوم يمضى ، كانت (نشوى) تخسر عامًا أو عامين من عمرها ..

وبدأت محاولات مستميتة لإنقاذ (نشوى) ، قبل أن يلتهم رد الفعل عمرها كلها ، فتتلاشى من مجرى الزمن(*) ..

وبذل الدكتور (حاتم زهير) ، أستاذ أبحاث النمو ، قصارى جهده ؛ فى محاولة لمنع تدهور عمر (نشوى) ..

ولكن دون فائدة ..

ثم جاء دور .. (رمزى) ..

وفى واحدة من جلسات التنويم المغناطيسى ، عرف (رمزى) أن سادة الأعماق قد تركوا فى عقل (نشوى) رسالة خاصة ، تحوى الأمل الأخير فى إنقاذها(**) ..

وبدأت مرحلة جديدة من المحاولات ..

وفى بسالة ، غاص (رمزى) و (محمود) فى أعماق الأطلنطى ، لانتشال آخر جرعة من عقار النمو ، تركها خلفهم سادة الأعماق ..

وكانت مغامرة رهيبة(***) ..

ولكنها فشلت ..

(*) راجع قصة (رعب فى الأعماق) .. المغامرة رقم (٩٠) .

(**) راجع قصة (ضد الزمن) .. المغامرة رقم (٩١) .

(***) راجع قصة (الرحلة الرهيبة) .. المغامرة رقم (٩٢) .

ومع روح اليأس ، التى سادت قلوب الجميع ، ظهر أمل آخر ..

(س-١٨) ..

وكحل أخير ، انطلق (نور) مع (س-١٨) إلى أعماق المحيط الأطلنطى ، للعثور على العقار ..

وفى الوقت نفسه ، لجأ الدكتور (حاتم) إلى حل أخير ، لمنع تدهور عمر (نشوى) المستمر ..

التجميد ..

وتم تجميد جسد (نشوى) مرتين ، للسيطرة على ذلك التأثير العكسى الرهيب لعقار النمو ..

أما (نور) ، فقد بلغ موضع العقار ، وحصل عليه بالفعل ، ولكن نفاد طاقة (س-١٨) أدى إلى موقف بالغ الغرابة والصعوبة ..

لقد انتقل مع (نور) عبر الزمن ..

انتقل ستة وثلاثين قرنًا من الزمان إلى الماضى ..

إلى عهد قارة (أطلانطس) ..

فى الوقت نفسه ، كانت هناك مؤامرة بريطانية ، للاستيلاء على سر التجميد البشرى ، أسفرت عن احتلال أربع من العملاء البريطانيين لمركز التجميد ، وعلى رأسهم العميل السرى (جيمس برادلى) ، الذى هدد بنسف

أسطوانة التجميد ، التى ترقد داخلها (نشوى) ، ما لم يحصل على طوافة خاصة ، ورافعة لنقل الأسطوانة إليها ..

كل هذا و (نور) يقاتل للفوز بحريته ، فى قارة (أطلانطس) ، فى الماضى السحيق ..

وحاول (نور) الفرار ..

حاول وفشل ..

وقبل يوم واحد من غرق (أطلانطس) ، وجد (نور) نفسه داخل زنزانة إليكترونية ، موثوق اليدين والقدمين ، وأمامه (بيكاس) .. الأطلانطى الوحيد الذى يؤمن بقصته ..

ومن بين شفتى (بيكاس) ، سمع (نور) الحكم الرهيب ، الذى صدر ضده ..

إنهم سيضعونه فى موضع اختبار القنبلة الأيونوبروتينية ، التى أغرقت (أطلانطس) ..

وكان هذا يعنى النهاية ..

نهاية (أطلانطس) ..

ونهاية (نور) ..

* * *

كانت صدمة عنيفة بحق ، بالنسبة للرائد (نور) ...

أن يلقى مصرعه وسط انفجار هائل رهيب ، سيبتلع قارة كاملة دون رحمة ..

ولثوان ، بقى صامتًا مبهوتًا ، مصعوقًا ، حتى أن (بيكاس) سأله فى قلق :

ـ هل أصابك مكروه يا ولدى ؟

انتفض (نور) ، وكأنه يستيقظ من كابوس بشع ، وأجاب فى مرارة :

ـ وهل هناك مكروه يفوق هذا يا سيد (بيكاس) ؟!.. إنهم سيعدموننى وسط انفجار لامفر منه ، وسألقى مصرعى قبل مولدى بستة وثلاثين قرنًا ، وتفقد ابنتى آخر أمل لها بالبقاء .. ماذا بقى بالله عليك ؟

أجابه (بيكاس) فى حرارة :

ـ الأمل .

ابتسم (نور) فى سخرية مريرة ، وهو يقول :

ـ أى أمل ؟!.. إننى كما ترى ، مقيد اليدين والقدمين ، داخل زنزانة إليكترونية ، لاسبيل للفرار منها ، وهم أفسدوا (س-١٨) كما تقول ، فأى أمل يبقى لى ؟!

تلفت (بيكاس) حوله فى حذر ، وأشار إلى صدره ، قائلاً :

ـ أنا .

انعقد حاجبا (نور) فى شدة ، وهو يقول :

ـ أنت ؟!.. أى أمر ...

قاطعه (بيكاس) بإشارة من يده ، وقال :

ـ سأشرح لك كل شىء .

والتقط نفسًا عميقًا ، ثم سأله فى اهتمام :

ـ ما معلوماتك عن السفر عبر الزمن ؟

أجاب (نور) فى شىء من التوتر :

ـ ليست لدى أية معلومات نظرية ، ولكننى سافرت بالفعل عبر الزمن ، أكثر من مرة .

ابتسم (بيكاس) ، وقال :

ـ أما أنا ، فعلى عكسك تمامًا يا فتى .. إننى أمتلك نظريات ودراسات ومعادلات كثيرة ، حول السفر عبر الزمن ، دون أن انتقل فعليًا ولو ساعة واحدة ، إلى الأمام أو إلى الخلف .

بدا الحديث بعيدًا عن الفكرة الأساسية ، فقال (نور) فى توتر :

ـ سيِّد (بيكاس) ، ما العلاقة بين ..

قاطعه (بيكاس) مرة أخرى بإشارة من يده ، وقال :

ـ هل تعلم ما الذى رأيته ، وأنت تسبح فى بحر الزمن ، قبل وصولك مباشرة إلى هنا ؟

بدت الحيرة على وجه (نور) ، وهو يسأل فى حذر :

ـ وما الذى رأيته ؟

لوَّح (بيكاس) بيده ، وسمع (نور) صوته ، عبر خلايا مخه مباشرة ، وهو يقول :

ـ ذلك الانفجار ، والموجة العاتية التى تبعته ، وأغرقت (أطلانطس) .. إنه مشهد سابق لأحداثنا الحالية ، شاهدته أنت ، عندما تباطأت سرعتك ، قبل أن تصل إلينا ، وأنت تهوى فى مجرى الزمن .. لقد رأيت يا ولدى مصير (أطلانطس) الذى أخشاه .. المصير الذى يرتجف له الدم فى عروقى ، منذ استعدوا لتجربة القنبلة (الأيونوبروتينية) .

سأله (نور) ، فى حذر أكثر :

ـ وما سبب خشيتك ؟

أجابه فى أسى :

ـ المعادلات يا ولدى. معادلات كلها تقول إن ذلك الانفجار سيكون كارثة ، فهو سيسبب زحزحة رهيبة فى الألواح القارية ، وموجة مد هائلة ، ستبتلع (أطلانطس) كلها .

ثم ازدرد لعابه ، ورمق (نور) بنظرة خاصة ، وهو يستطرد :

ـ ولقد سمعت حديثك عن التاريخ فى عصرك ، وعن غرق (أطلانطس) ، وعندئذ أدركت أننى على حق ، و ...

صمت لحظة ، تطلّع خلالها إلى عينى (نور) مباشرة ، قبل أن يضيف فى حزم :

ـ وقرّرت أن أبدّل مجرى التاريخ ، وأن أسعى لإنقاذ (أطلانطس) ، ومنع فنائها .

انعقد حاجبا (نور) فى شدة ، وهو يقول :

ـ ولكن هذا مستحيل !

قال (بيكاس) فى لهجة أقرب إلى الضراعة :

ـ لماذا مستحيل ؟!.. علينا أن نحاول .

هزّ (نور) رأسه فى قوة ، وقال :

ـ لا أحد يمكنه تغيير التاريخ ..

قال (بيكاس) فى لهفة :

ـ إنه لم يصبح تاريخًا بعد .. إننا نحيا الواقع الآن .. الحاضر ، ومن المحتم أن نحاول .

ثم مال نحوه ، واستطرد فى حماس :

ـ سأساعدك على الفرار من هنا ، وربما أعدتك بآلة الزمن إلى عصرك ، مقابل معاونتك لى ، فى منع دمار (أطلانطس) .. ما رأيك ؟

أجابه (نور) فى حزم :

ـ مستحيل يا سيّد (بيكاس) .. العبث بالتاريخ أمر بالغ الخطورة ، ففناء قارة (أطلانطس) هو الذى منح الحضارات الأخرى فرصة التفوّق والظهور .. ولو بقيت (أطلانطس) ، فربما تسود الأرض لقرون وقرون ، وتنهار إلى جوارها كل الحضارات الأخرى .. الرومانية ، والبزنطية ، والفارسية ، وحتى الحضارة المصرية القديمة .. بل ربما عثر عليكم رجال كوكب (بيروزيت) ، وتسبّب قتالكم فى تدمير الأرض كلها .. أتعلم ما يعنيه هذا ؟!.. أن أفقد أنا فرصة مولدى وبقائى .. أن أنتهى من مجرى الزمن .. وحتى لو عدت بعدها إلى عصرى ، فقد لا أجد الأرض كما تركتها ، بل أجدها أرضًا أخرى ، يحيا قومها فى ظل الاحتلال والهيمنة التامة لقارة (أطلانطس) .

قال (بيكاس) فى مرارة :

ـ إنك تجعل الأمر عسيرًا يا ولدى .

هتف (نور) :

ـ لأنه كذلك بالفعل .

صمت (بيكاس) لحظات ، التقط خلالها أنفاسه فى صعوبة ، قبل أن يقول :

- قولك مجرّد افتراض يا ولدى .. فربما ، لو نجت (أطلانطس) ، لصار العالم أكثر جمالًا وجودة .. ربما اختفت منه الأحقاد والمتاعب .. أقول ربما .. إنك لا تدرك أبدًا ما يمكن أن يفعله الزمن .. المهم أن لدى فرصة لإنقاذ (أطلانطس) ، حتى ولو كان شعبها نفسه يجهل هذا ويرفضه .

ازدرد لعابه بصوت مسموع ، ثم انعقد حاجباه ، وهو يضيف :

- ثم أننى لم أقدّم عرضى كله بعد .

سأله (نور) فى لامبالاة :

- ماذا لديك أيضًا ؟

أخرج (بيكاس) من جيبه قنينة صغيرة للغاية ، وهو يقول :

- هذا ؟

تطلّع (نور) إلى القنينة فى حيرة ، وهو يسأله :

- وما هذا بالضبط ؟

ابتسم (بيكاس) ، وهو يقول :

- لقد استخدمت أحدث الأجهزة ، التى ابتكرها علماء (أطلانطس) ، لإجراء عشرات التجارب ، على عقار النمو ، الذى أحضرته معك ، ودرست مشكلة ابنتك بشكل جيدٍ للغاية ، وأخيرًا صنعت هذا .

شحذ الحديث حواس (نور) واهتمامه بشدة ، وهو يغمغم :

- أهو ...

قاطعه (بيكاس) فى حماس :

- نعم .. هذه هى الجرعة المثالية ، لإعادة ابنتك إلى عمرها .. المهم أن تحصل عليها ، عندما يبلغ عمرها عامًا واحدًا ، وسيقفز بها العمر مرة أخرى إلى الخامسة والعشرين .. تمامًا كما فعل بها العقار الأوّل ، مع تغيير بسيط .

ثم مال نحوه ، وتطلّع إليه مباشرة ، وهو يضيف :

- إنه دائم التأثير هذه المرة .

خفق قلب (نور) فى عنف ، وهو يقول :

- أتعنى أن ..

مرة أخرى ، قاطعه (بيكاس) ، وهو يتراجع ، قائلًا :

- نعم .. إنها ستعود إلى عمرها السابق ، وبشكل تام وسليم ، وغير رجعى هذه المرة .. باختصار ، ستنتهى هذه المشكلة إلى الأبد .



قاطعه (بيكاس) في حماس :

ـ نعم .. هذه هي الجرعة المثالية ، لإعادة ابنتك إلى عمرها ..

وارتسمت على شفتيه ابتسامة كبيرة ، وهو يستطرد :

ـ والآن عليك أن تختار .. فتاة (أطلانطس) ، أو عودتك إلى زمنك ، ونجاة ابنتك من مصيرها المحتوم .. هيا .. اتخذ قرارك الآن ..

وكان الاختيار عسيرًا ..

عسيرًا بحق .

* * *



٢ ـ الإرهـــاب ..

ألقى الدكتور (حاتم زهير) نظرة متوترة على ساعة يده، وجفف العرق الغزير، الذى انهمر على جبهته، على الرغم من برودة المكان، وقال فى شىء من العصبية :

ـ أريد فحص الصغيرة .

هزّ (جيمس) رأسه نفيًا فى صلابة ، وهو يقول :

ـ لن تفحص شيئًا .

أجابه الدكتور (حاتم) فى حدة :

ـ ولكن هذا الفحص حتمى ، وإلا لقيت الصغيرة مصرعها ، دون أن نشعر بهذا .

خفق قلب (سلوى) فى ارتياع ، فى حين قال (جيمس) فى صرامة :

ـ فلتلق مصرعها ، أو تذهب حتى إلى الجحيم .. لن أسمح لأحدكم بخداعى ، بأية حجة كانت .

صاح الدكتور (حاتم) فى غضب :

ـ أى خداع يا رجل ؟!.. إننى طبيب ، ولست رجل أمن ، وهذه الفتاة هى الدرع ، الذى تحتمى به ، ولو أصيبت بمكروه ، فستخسر كل شىء .

ابتسم (جيمس) فى سخرية ، وهو يقول :

ـ هل تراهن ؟

قال (محمود) فى توتر :

ـ اسمع يا سيد (جيمس) .. هذا الفحص ضرورى بالفعل ، ويمكنك أن تحتفظ بى كرهينة ، حتى ينتهى الدكتور (حاتم) من ..

قاطعه (جيمس) بضحكة ساخرة ، وهو يقول :

ـ رهينة ؟!.. ولكنك رهينة بالفعل يا رجل ..

ثم استطرد بشراسة مباغتة :

ـ ثم أننى لن أكرر أوامرى مرة أخـــرى .. قلت لا فحص ، وهذا هو قرارى الأخير .

انفعل الدكتور (حاتم) فى غضب ، وهتف :

ـ من الواضح أنك تجهل من هى هذه الطفلة بالضبط .

صاحت (سلوى) فى ذعر :

ـ دكتور (حاتم) .

وانعقد حاجبا (محمود) فى توتر بالغ ، ولكن الدكتور (حاتم) واصل اندفاعه الغاضب ، مستطردًا فى عصبية وانفعال :

ـ إنها ليست طفلة عادية .. إنها (نشوى) ، ابنة بطل التحرير .

انعقد حاجبا (جيمس) فى تساؤل ، وتبادل ، زميلاه نظرة حائرة ، قبل أن يضيف الدكتور (حاتم) فى غضب :

- إنها ابنة (نور) .. الرائد (نور الدين محمود) .

ارتفع حاجبا (جيمس) إلى آخر جبهته ، واتسعت عيناه وتألقتا فى شدة ، وارتسمت على شفتيه ابتسامة ظافرة ملهوفة ، فى حين شحب وجها زميليه ، وقال أحدهما فى اضطراب :

- (جيمس) .. هذا يعنى أن المسأله تزداد تعقيدًا .

التفت إليه (جيمس) ، هاتفًا فى انفعال :

- على العكس .

وبرقت عيناه أكثر وأكثر ، وهو يستطرد :

- هذا يعنى أن أحدًا لن يجرؤ على مس شعرة واحدة من رءوسنا ، ما دمنا نحتفظ بهذه الصغيرة .

صرخت (سلوى) بلوعة :

- أرأيت يا دكتور (حاتم) .. لقد نبهتهما إلى أمر ابنتى .

امتقع وجه الدكتور (حاتم) فى شدة ، فى حين برقت عينا (جيمس) مرة أخرى ، وهو يقول فى لهفة ظافرة :

- إذن فأنت زوجة (نور) أيضًا .. عظيم .. لقد ربحنا المعركة يا رجال .

تمتم الدكتور (حاتم) فى انهيار :

- يا إلهى !.. لقد أفسدت كل شىء .

أطلق (جيمس) ضحكة عالية مجلجلة ، وقال وهو يرفع رأسه إلى أعلى :

- هل سمعتم أيها المراقبون ؟.. إننا نحتفظ هنا بابنة بطلكم وزوجته ، وأمامكم دقيقتان فقط لحسم أمركم ، وتلبية كل ما طلبت . وإلا فسيكون عليكم البحث عن تبرير منطقى ، لإقناع شعبكم بسبب تخليكم عن عائلة البطل .

قالها وانطلق يضحك مرة أخرى فى ظفر وانفعال ..

لقد ربح المعركة ..

ربحها بالفعل ..

* * *

« لا مفر من الموافقة .. » .

نطق (نور) هذه العبارة فى خفوت ومرارة ، وهو يتطلع إلى وجه (بيكاس) ، الذى تنهد فى ارتياح ، وارتسمت على شفتيه ابتسامة واسعة ، قبل أن يتمتم :

- هذا ما تمنيته .

أضاف (نور) فى سرعة وعصبية :

- إنك لم تضع أمامى خيارًا آخر يا سيد (بيكاس) ، فأنت تقول إنه : إما اليأس التام ، والضياع بلا أمل ، أو أمل فى النجاة وإنقاذ ابنتى ، مهما بلغت ضآلته .. أى رأى تختار ، لو كنت مكانى يا سيد (بيكاس) ؟

ارتفع حاجبا (بيكاس) فى حنان واضح ، وهو يقول :

ـ صدقنى يا ولدى .. لو أننى فى موضعك ، لما ترددت لحظة فى اتخاذ القرار نفسه .

ثم انحنى إلى الأمام ، وأضاف فى خفوت :

ـ والآن اسمعنى جيدًا .. سأوقف التيار الإليكترونى لمدة ثوان معدودة ، فى المبنى كله ، وعندما أفعل ، ستنفتح بغتة قيودك الإليكترونية ، وتزول القضبان الكهربية ، ويكون بإمكانك الفرار من زنزانتك الإليكترونية الصغيرة ، ولكنك ستواجه بعدها حارسين ، وثلاثة أو أربعة من رجال الأمن ، وعليك التخلص منهم جميعًا ، لو لزم الأمر .

غمغم (نور) فى توتر :

ـ إننى أبغض القتل والتدمير .

تمتم (بيكاس) :

ـ أقول : لو لزم الأمر .. المهم أننى سأترك عمدًا مسدسًا إشعاعيًا ، فى تلك السلة هناك ، بالقرب من الباب .. ستجده ملفوفًا بقطعة من الجلد .. حاول أن تلتقطه بسرعة ، وأن تغادر المكان كله ، خلال دقيقة واحدة ، فبعدها ستجد جيشًا من رجال الأمن هنا ، لاستطلاع الأمر .. المهم أنه بعد خروجك ، عليك أن تتجه مباشرة إلى الطابق العلوى ، وهناك ستجد خمسة

من رجال الأمن ، يحيطون بحجرة خاصة مغلقة .. تخلص من رجال الأمن بأى ثمن ، فهذه الحجرة تحوى سبب تدمير (أطلانطس) .. القنبلة (الأيونوبروتينية) .. وهذه الحجرة لا يمكن فتحها إلا باستخدام بطاقة مغنطيسية خاصة ، ستجدها مع المسدس ، فاستخدمها لتفتح الحجرة ، ثم اقترب من القنبلة ، واجذب ذراعًا أحمر فى طرفها ، فتنتزع منها فتيل التفجير ، وهو يحوى ستة أسلاك .. اقطع السلك الأسود منها فقط ، ثم أعد الفتيل إلى مكانه ، وغادر الحجرة ، واحضر مباشرة إلى منزلى ، فى الطابق الثالث ، وسأرسلك مع جرعة العقار ، مباشرة إلى عصرك .. ما رأيك ؟

غمغم (نور) :

ـ سأحاول .

تنهد (بيكاس) ، وهو ينهض قائلًا :

ـ أتمنى لك حظًا سعيدًا يا ولدى .

أجابه (نور) :

ـ بل تمنى لى توفيقًا من الله (سبحانه وتعالى) .

تطلع إليه (بيكاس) لحظة فى صمت ، ثم اتجه فى خطوات هادئة رصينة إلى الخارج ، ولمحه (نور) يستند إلى باب الحجرة ، متظاهرا بالسعال ، ثم يلقى قطعة الجلد داخلها ، قبل أن يعتدل مرة أخرى ، ويعتدل ليرمقه بنظرة خبيثة ، مع ابتسامة جذلة ، ويغادر المكان ..

وفى صمت ، استرخى (نور) فوق ذلك المقعد ، الذى قيدوه إليه ، فى حين أخذت أفكاره تنطلق فى عصبية شديدة ..

ترى هل تنجح هذه الخطة ؟!..

هل ينجح هو فى القيام بتلك المهمة الرهيبة ، التى يطلبها منه (بيكاس) ؟..

هل يبلغ موضع القنبلة ، وينجح فى إفساد مفعولها ، وتنجو (أطلانطس) ؟!..

لم يجد عقله جوابًا منطقيًا ، أو حتى عقلانيًا ، لكل هذه الأسئلة ، وغيرها ، بل شعر فى أعماقه بتوتر هائل ، وبلا حدود ، وهو يجلس هكذا صامتًا عاجزًا ، فى انتظار الخطوة التالية ، التى يعتمد فيها على (بيكاس) وحده ..

وراحت دقات قلبه تتصاعد تدريجيًا ، حتى خُيِّل إليه أن حارسيه يسمعان هذه الدقات فى وضوح ، ويدركان أنه يزمع الفرار ..

ومضى الوقت بطيئاً متثاقلاً ، وتساءل هو : هل فشل (بيكاس) فى مهمته ؟!..

ثم فجأة ، انقطع التيار الكهربى والإليكترونى ..

وتحرّر (نور) دفعة واحدة من قيوده ..

وحانت لحظة العمل .

ودون أن يضيع (نور) لحظة واحدة ، قفز من ذلك المقعد ، واندفع كالصاروخ نحو السلة ، محاولاً تحديد موضعها فى الظلام ، فى حين راح حارساه يطلقان صيحات قوية ، وهما يعدوان إلى الداخل ..

وفجأة أيضًا ، عادت الأضواء تسطع من جديد ..

وفوجئ (نور) أمامه بأحد الحارسين ، الذى تراجع مصعوقًا ، وصرخ مستنجدًا بزميله ، قبل أن يرتطم به (نور) ، مع اندفاعه الشديد ..

وسقط الاثنان ..

سقط (نور) مع الحارس ، وتدحرجا أرضًا ، فى نفس اللحظة التي استدار فيها إليه الحارس الآخر ، ورفع نحوه بندقيته الإشعاعية ، و ...

وأطلق الأشعة القاتلة ..

* * *

نهض رئيس الوزراء البريطانى من خلف مكتبه فى عصبية ، وهو يستقبل مدير المخابرات ، الذى بدا أكثر عصبية ، وهو يقول :

ـ لماذا طلبت رؤيتى على وجه السرعة يا سيدى رئيس الوزراء ؟



سقط (نور) مع الحارس ، وتدحرجا أرضًا ، فى نفس اللحظة التى استدار فيها إليه الحارس الأحمر

صاح رئيس الوزراء فى وجهه غاضبًا :

ـ ما هذا الذى فعله (جيمس) فى (مصر) ؟!.. كيف تهوّر وتورّط إلى هذا الحد ؟!.. لم يكن من المفروض أبدًا أن يبلغ الأمر هذا الحد .. هل تدرك ما حدث ؟

ازدرد مدير المخابرات البريطانى لعابه ، وغمغم :

ـ نعم يا سيّدى .. وصلنى تقرير عاجل من (مصر) .

صاح به رئيس الوزراء :

ـ الموقف متدهـور بشدة يا رجل ، والمصريـون يطالبون بإجراء عاجل وحاسم ، وإلا فسيتخذون إجراءات عنيفة وحادة ، تجاه العلاقات الدولية بيننا وبينهم ، و (مصر) لم تعد دولة صغيرة ونامية ، كما كانت فى القرن الماضى .. إنها الآن واحدة من الدول الكبرى .. ولقد اتصل بى جلالة الملك ، وهو قلق وغاضب ومتوتر للغاية ، ويطالبنا بإنهاء هذه العملية على وجه السرعة .

سأله مدير المخابرات ، فى توتر كامل :

ـ وبم تأمر يا سيادة رئيس الوزراء ؟

لوّح رئيس الوزراء بيده فى وجهه ، وقال :

ـ اتصل بهذا الأحمق على الفور ، ومره بإنهاء العملية ، وتسليم نفسه للسلطات المصرية ، فربما كان هذا هو الحل الوحيد ، لإنهاء العملية دون خسائر تُذكر .

أومأ مدير المخابرات برأسه إيجابًا ، وقال :

ـ سأفعل يا سيِّدى .. سأفعل على الفور .

وغادر حجرة رئيس الوزراء ، وهو يشعر أنه وقع فى خطإ هذه المرة ..

خطإ فادح ..

★ ★ ★

فركت (مشيرة) كفيها فى عصبية وتوتر ، وهى تتلفت حولها فى قلق ، فسألها الدكتور (ناظم) ، الذى لا يقلّ عنها توترًا وقلقًا :

ـ ماذا هناك يا بنيتى ؟.. ماذا أصابك ؟.

أجابته بصوت أقرب إلى البكاء :

ـ (أكرم) ليس هنا .

اعتدل يتلفت حوله بدوره ، ثم قال :

ـ ربما ذهب إلى دورة المياه ، أو ...

قاطعته هى فى انفعال :

ـ بل هو يخطط لشىء مَا .

التقى حاجباه ، وهو يسألها فى قلق :

ـ شىء مثل ماذا ؟

أجابته والدموع تترقرق فى عينيها :

ـ لست أدرى ، وهذا أكثر ما يثير فزعى .

زفر الدكتور (ناظم) فى شدة ، وأشاح عنها بوجهه ، متمتمًا :

ـ يا للنساء !

ثم التفت إلى أحد معاونيه ، وسأله :

ـ متى تصل الحوَّامة ؟

أجابه الرجل فى سرعة :

ـ الآن .. سنستخدم حوَّامة المركز نفسه ، فهذا أكثر سرعة .

لم يكد الرجل يتمّ عبارته ، حتى ارتفع صوت الحوَّامة ، الشبيهة بالهليوكوبتر ، وهى تتجه مباشرة إلى مبنى التجميد ، وتهبط على سطحه بشىء من الخشونة ، فغمغم الدكتور (ناظم) فى توتر :

ـ ماذا أصاب (ممدوح) ؟.. إنه يهبط بالحوَّامة كما لو أنه مجرَّد طيار مبتدئ

أجاب معاونه ، وهو يراقب الحوَّامة فى اهتمام :

ـ التوتر يا سيِّدى .. الكل هنا يعانى من توتر بلا حدود .

تنهَّد الدكتور (ناظم) ، وقال :

ـ هذا صحيح .

ثم ضغط زر الاتصال ، الذى يوصله بحجرة التجميد ، وقال :

- سيد (جيمس) .. لقد وصلت الحوّامة ، والرافعة مستعدة لرفع أسطوانة التجميد ، ولكننا نريد دليلاً على حسن النوايا .

أجابه (جيمس) فى خشونة :

- دعونى أغادر المكان أوّلاً ، ثم تحصلون على حسن النوايا .

قال الدكتور (ناظم) :

- كلا يا (جيمس) .. إننا نمنحك الكثير .. العقار وأسطوانة التجميد ، وكذلك الحوّامة ، ومن الضرورى أن تعطينا دليلاً على حسن نيتك .

قال (جيمس) فى سخرية :

- مثل ماذا ؟

التقط الدكتور (ناظم) نفسًا عميقًا ، قبل أن يجيب :

- أطلق سراح الرهائن .

مضت لحظة من الصمت ، حبس خلالها الجميع أنفاسهم ، قبل أن يجيب (جيمس) فى برود عجيب ، كما لو أن كل انفعالاته السابقة قد ذابت فى لحظة واحدة :

- لا بأس .

تنفس الجميع الصعداء ، إلا أنه استدرك فى سخرية :

- سأطلق سراح الرجلين ، وأحتفظ بالمرأة والطفلة .

انعقد حاجبا الدكتور (ناظم) مرة أخرى ، وقال فى حدة :

- كلا يا (جيمس) .. أطلق سراح الجميع ، أو ...

قاطعه (جيمس) بصرخة هادرة :

- لا تملِ أوامرك .. أنا هنا الذى يضع الشروط ، وكل مهمتكم تقتصر على تنفيذها فحسب .. هل تفهم ؟.. هذا هو العرض الوحيد الذى أقدمه .. اقبله أو ارفضه ، ولكن لا تملِ أوامرك .

ثم جذب (سلوى) من شعرها فى قسوة ، مستطردًا :

- وليس لديك الخيار .

صاح (محمود) فى غضب :

- أيها الوغد .

واندفع نحو (جيمس) ، ولكن هذا الأخير استقبله بضربة شديدة العنف ، من كعب بندقيته الآلية فى فكه ، ألقته أرضًا فاقد الوعى ، والدماء تسيل من بين شفتيه غزيرة ، وبسرعة صوّب إليه (جيمس) مدفعه ، وهو يقول فى حدة :

- أخطأت يا فتى ، وستدفع الثمن ..

وهنا صرخ الدكتور (ناظم) :

- لا .. لا تطلق النار ، أو تخسر كل شىء .

جذب (جيمس) إبرة مدفعه ، وهو يقول فى حدة :

ـ لن أخسر شيئًا .. إننى أسيطر على الموقف تمامًا .

صاح الدكتور (ناظم) :

ـ ولكننى أقسم أن تخسر كل شىء ، لو أطلقت النار هذه المرة .. إننا لن نحتملك إلى الأبد .

صوّب (جيمس) فوهة مدفعه إلى (محمـــود) ، وهو يقول :

ـ أراهنك أنكم ستفعلون ، وسأثبت هذا عمليًا .

صرخت (سلوى) :

ـ لا تقتله أيها الحقير .

دفعها (جيمس) بعيدًا ، وهو يقول :

ـ اخرسى يا امرأة ..

ولكن فجـأة ، ارتفـع صوت مديـر المخابـرات البريطانية ، عبر كل أجهزة الاتصال ، داخل حجرة التجميد ، وهو يقول :

ـ (جيمس براندلى) .. هنا رقم صفر .. ألغ العملية كلها .. هل تسمعنى ؟.. المهمة ملغاة .. سلم نفسك للسلطات المصرية ، وسنبذل قصارى جهدنا لاستعادتك .. أكرر .. المهمة ملغاة بأمر السيد رئيس الوزراء ..

انعقد حاجبا (جيمس) فى شدة ، وهو يتابع النداء ، الذى راح يتكرر مرات ومرات ، فى حين خفض زميلاه مدفعيهما ، وتمتم أحدهما :

ـ لقد ألغيت المهمة .

التفت إليه (جيمس) فى حركة حادة ، وصرخ فى وجهه :

ـ كذب .. إنها خدعة يا رجل .. ألم تفهم ؟!

تمتم الثانى :

ـ ولكنه صوت رقم صفر بالفعل .. من غيرنا يعرفه ؟

صاح به (جيمس) :

ـ المصريون يعرفونه حتمًا .. لقد صنعوا رسالة زائفة ، بوساطة أجهزة الكمبيوتر ، لدفعنا إلى التسليم ، ولكن هيهات .

أجابه الدكتور (ناظم) ، عبر أجهزة الاتصال :

ـ الرسالة حقيقية يا (جيمس) .

صرخ (جيمس) :

ـ كذب .. كذب ..

أتاه صوت مدير المخابرات ، وهو يقول :

ـ الاسم الكودى للعملية (حرب العصابات) ، ورقمها (١٢٠٩) .. استسلم يا (جيمس) .. هذا أمر .

بدا الارتياح على وجهى زميلى (جيمس) ، وقال أحدهما ، وهو يتجه إلى باب الحجرة :

ـ فليكن .. هذا أفضل يا (جيمس) .. لم نكن لننجح على أية حال .

ولكن (جيمس) استدار إليه فى حركة حادة ، صارخًا :

ـ بل سننجح .

امتزجت صرخته بدوى رصاصات مدفعه ، التى انطلقت لتردى زميله قتيلًا ، فصرخ الزميل الثانى ، وهو يرفع مدفعه :

ـ (جيمس) .. هذه خيانة .

أدار (جيمس) فوهة مدفعه إلى زميله الثانى بسرعة مدهشة ، وأطلق النار بلا تردد فوثب جسد الرجل فى الهواء ، وارتطم بالجدار ، ثم هوى جثة هامدة بدوره ، مع صرخات (سلوى) المذعورة .

وانتفض الدكتور (ناظم) فى حجرة المراقبة ، فى عنف ، وهتف مستنكرًا وممتعضًا :

ـ لقد جن الرجل .. أصيب بجنون مطبق .

أما (جيمس) ، فراح يصرخ فى وحشية :

ـ لن نناقش هذا مرة أخرى .. لن تخدعني هذه الرسالة الزائفة ، كما خدعت الآخرين .. عليكم بتلبية مطالبى على الفور ، وإلا نسفت أسطوانة التجميد ، وقتلت الطفلة وأمها ، وهذا الطبيب المأفون .

لوّح الدكتور (ناظم) بيده ، وهو يقول :

ـ نفذوا أوامره بسرعة .. من الواضح أنه قد أصيب بالجنون ، وستكون العواقب وخيمة ، لو أننا لم نفعل .

قاطعته شهقة مباغتة من (مشيرة) ، فالتفت إليها هاتفًا فى عصبية :

ـ هذا الطيّار .

قالتها وهى تشير بأصابع مرتجفة إلى طيّار الحوّامة ، الذى يبدو على شاشة الرصد ، وقد غادر مقعده ، ووقف إلى جوار الحوّامة متململًا ، فى انتظار قدوم (جيمس) ، فتطلّع الدكتور (ناظم) إلى الطيّار ، وهو يعدّل وضع منظاره الطبى ، ويقول فى حدة :

ـ ماذا عنه أيضًا ؟!

لم يكد ينطقها ، حتى اتسعت عيناه فى هلع ، وتركزتا على صورة الطيار فى ذعر ..

إنه لم يكن (ممدوح) .. طيار الحوّامة التقليدى ..

كان شخصًا آخر ..

شخص يحمل اسم (أكرم) .

* * *

٣ ـ القتـــال ..

أطلق الحارس الثانى أشعته فى سرعة ، نحو الرائد (نور) ..

ولكنه لم يصب هدفه ..

لقد أصاب زميله ، الذى جحظت عيناه فى شدة ، قبل أن يهوى جثة هامدة ..

وبسرعة أيضًا ، أدار الحارس فوهة بندقية الأشعة نحو (نور) ..

إلا أن (نور) لم ينتظر ..

لقد دفع السلة بقدمه فى عنف ، ووثب من مكانه ، وسمع طلقة الأشعة تصيب الأرض ، فى نفس الموضع الذى كان يحتلّه ، منذ لحظة واحدة ، لكنه سيطر على أعصابه ، وقفز يلتقط اللفافة الجلدية ، وانتزع منها المسدس ، ثم استدار يواجه الحارس ..

وكانت مسابقة فى سرعة إطلاق النار ..

مسابقة ربحها (نور) ..

لقد انحنى ليتفادى أية طلقة مباشرة ، يتمّ توجيهها إليه ، وأطلق أشعة مسدسه مباشرة ، نحو بندقية الحارس ..

لم يكن يرغب أبدًا فى قتله ، وإنما أراد تجريده من سلاحه فحسب ..

ولكن تلك الأشعة ، التى انطلقت من المسدس ، لم تكن أشعة ليزر عادية ..

لقد كانت خيطًا من الطاقة الصافية ، لم يكد يلمس بندقية الحارس ، حتى سرى كتيار كهربى عنيف إلى جسده ، الذى انتفض ووثب فى قوة ، ثم هوى جثة هامدة ..

وخفق قلب (نور) فى شدة ..

أنه لم يقصد هذا قط ..

لم يقصد ، فى حياته كلها أن يقتل بشريًا واحدًا ..

هذه طبيعته ..

إنه يبغض القتل والتدمير ، كما لا يبغض أى شىء آخر ..

ولكنها الضرورة ..

وبسرعة ، نفض (نور) عن عقله كل ما حدث ، والتقط البطاقة المغنطيسية ، من اللفافة الجلدية ، واندفع خارج الحجرة ..

ولكن الأمر لم يكن بهذه السهولة ..

لقد وجد فى مواجهته ثلاثة من رجال أمن (أطلانطس) ، أشار إليه أحدهم ، وهو يصرخ بعبارة لم يفهمها (نور) ، ثم أخرج الثلاثة مسدساتهم ، وصوّبوها إليه ..

وكانت مسابقة أخرى فى سرعة التصويب ..

وفى هذه المرة لم يكد لدى (نور) خيار آخر ..

لابد أن يدافع عن حياته .

وانزلق (نور) بحركة بارعة مرنة ، متفاديًا طلقات الأشعة الثلاث ، التى مرقت فوق رأسه مباشرة ، وأطلق أشعة مسدسه نحو رجال الأمن الثلاثة ..

وأصابت أشعة (نور) رجلى أمن ، وألقتهما بعيدًا ، فى حين تفادى الثالث أشعة (نور) بحركة جانبية رشيقة ، وأطلق نحوه أشعته بدوره ..

وأصابت أشعة الرجل الجدار المجاور لـ (نور) مباشرة ، وانعكست عنه فى عنف ، فوثب (نور) واقفًا على قدميه ، واندفع بأقصى سرعة نحو رجل الأمن ، الذى تراجع فى دهشة ، مع تلك المبادرة العجيبة من (نور) ، وصوّب إليه مسدسه ، ولكن (نور) بلغه فى لحظة واحدة ، وركل مسدسه من يده ، وهو يقول :

ـ معذرة يا رجل .. إننى مضطر لهذا .

تراجع الرجل فى حدة ، عندما خسر مسدسه ، ولكن (نور) انقضّ عليه فى سرعة ، ولكمه فى معدته ، فانثنى الرجل متأوهًا ، ولكن (نور) أعقب لكمته بأخرى ، فى فك الرجل مباشرة ، وألقاه فاقد الوعى ..

ولم يكن هناك وقت ليضيعه (نور) ..

لقد انطلق على الفور إلى المصعد ، وقفز داخله ، وضغط زر الطابق العلوى ، وانتظر فى توتر بالغ ، وهو يتمتم :

ـ أى مأزق وضعتنى فيه يا (بيكاس) .. إننى أحارب جيشًا بأكمله .

لم يكد يتمّ عبارته ، حتى سمع صوتًا يهتف داخل المصعد ، بعبارات لم يفهمها ، ولكنها تحمل معنى التوتر والخطورة ، فغمغم مرة أخرى :

ـ أية لغة هذه ، التى يستخدمونها هنا ؟

مع آخر حروف جملته ، أضىء مصباح صغير ، فى نهاية المصعد ، يعلن الوصول إلى الطابق العلوى ، وتوقف المصعد ، ثم انفتحت أبوابه ، و ...

وخفق قلب (نور) فى عنف ..

لقد كان يواجه خمسة من رجال الأمن المسئولين عن حماية قنبلة (الأيونوبروتين) ..

وكان الخمسة يصوبون إليه الأشعة ، ومن خلفهم ظهر (مالوس) ، وهو يبتسم فى خبث ، ويرسل صوته إلى عقل (نور) مباشرة ، قائلًا فى سخرية :

ـ مرحبًا يا رجل المستقبل .. كنت أنتظرك فى الواقع .

ولكن الأمر لم يكن يحتمل التراجع ..

أو حتى التردد ..

لقد قطع (نور) شوطا طويلا ، فى خطة الهروب ، وتحدى قانون (أطلانطس) ، ولم يعد من الممكن أن ينجو من عقاب وانتقام عنيفين ..

لذا فقد مضى فى الشوط حتى النهاية...

وبوثبة بارعة ، تعلق (نور) فى قائم معدنى ، فى سقف المصعد ، ثم دفع قدميه إلى الأمام بكل قوته ، وضرب بهما أول رجل أمن فى طريقه ..

وسقط الرجل ، وارتطم فى سقوطه بزملائه ، فتراجع بعضهم ، ولحق به البعض الآخر فى سقوطه ، وساد الهرج لحظة ..

لحظة واحدة ، قفز (نور) خلالها وسط رجال الأمن الخمسة ، وكال لأحدهم لكمة ساحقة فى فكه ، وللثانى أخرى صاعقة فى أنفه ، ثم وكل الثالث فى وجهه ، وأطلق أشعة مسدسه على الرابع ، وانحنى متفاديًا أشعة مسدس الخامس ، قبل أن ينقض عليه ويلكمه فى أسنانه بكل قوته ..

لم يكن قد قاتل خمسة رجال فى آن واحد من قبل ..

ولكنه يمتلك دافعًا قويًا ، أقوى منهم جميعًا ..

الأمل فى إنقاذ ابنته الوحيدة ..

ذلك الأمل ، الذى منحه قوة تفوق أضعاف قوته ، فى الوقت الذى احتاج فيه إلى هذه القوة ..

وحتى هو لم يصدق ما فعله ..

لقد سقط رجال الأمن الخمسة أمامه ، وتراجع (مالوس) ، صائحًا فى ذعر :

ـ لا .. لا تقترب منى .

دفعه (نور) جانبًا فى ازدراء ، وأخرج من جيبه البطاقة المغنطيسية ، ودسها فى الفراغ الخاص بها ، فى جانب باب حجرة القنبلة ، فانفتح الباب على الفور ، وصاح (مالوس) ، وهو يلتصق بالمصعد فى هلع :

ـ ماذا ستفعل ؟.. ماذا ستفعل بالقنبلة ؟

تجاهله (نور) تمامًا ، وتقدم فى لهفة من القنبلة ، وتطلع إلى الذراع الأحمر فى طرفها ، ثم جذبه فى حزم ، و ...

وهنا ، انقض عليه (مالوس) ..

لقد هاجمه من الخلف ، وتعلق بعنقه ، صارخًا :

ـ لن أسمح لك بإفساد قنبلتنا .

أدار (نور) ذراعه خلف كتفه ، فى حركة سريعة ، وقبض على (مالوس) ، وجذبه فى عنف ، فانتزع الرجل من مكانه ، وألقى به أرضًا ، ثم جذب الذراع فى قوة ، ورأى فتيل التفجير أمامه ، بأسلاكه الستة ، و ...


وهنا ، انقض عليه (مالوس) — لقد هاجمه من الخلف ، وتعلّق بعنقه .

وفجأة ، انتفض جسده فى قوة ..
كانت هناك قنبلة مجهولة ، تتفجر فى أعماقه ..
ودار رأسه فى عنف ..
وأظلمت الدنيا أمام عينيه ..
وتصوّر (نور) أن أحد رجال الأمن قد استعاد وعيه ، وأصابه بطلقة من بندقيته ..
ثم انتبه فجأة إلى الحقيقة ..
أنه رد الفعل العكسى ، للعقار المنشّط ، الذى حقنه به الدكتور (حاتم) ..
ويا له من رد فعل !
لقد انتفض جسده كله مرات ومرات ، وحاول أن يقاوم فى استماتة ، وهو يمدّ يده نحو الأسلاك ..
ثم هوى فجأة ..
انهارت مقاومته كلها دفعة واحدة ، وانطفأت شمعة وعيه ، و ...
وانتهى كل شىء ..

★ ★ ★

ساد مناخ عام من التوتر ، فى مركز أبحاث الفضاء ، والجميع يراقبون الرافعة ، وهى ترفع أسطوانة التجميد ، التى تحوى جسد (نشوى) ، إلى داخل الحوّامة ، فى حين

وقف (جيمس) إلى جوار الحوّامة ، وهو يلصق فوهة مدفعه الآلى برأس (سلوى) ، والشراسة ترتسم على كل خلية من خلايا وجهه ، وهو يمسك شعرها فى عنف ، ويجذبه فى قوة ، اضطرتها إلى إمالة رأسها إلى الخلف ..

أما (أكرم) ، فقد وقف صامتًا ، يرسم فى حركاته شعورًا زائفًا باللامبالاة ، ويرخى قبعة الطيّار على عينيه ..

وفى برج المراقبة ، غمغمت (مشيرة) ، وهى تفرك كفيها فى عصبية شديدة :

ـ يكاد قلبى يتوقف ، وأنا أفكر فيما سيقدم عليه (أكرم) .

أجابها الدكتور (ناظم) ، وهو يراقب الموقف فى دقة :

ـ استنادًا إلى موقفه الحالى ، أظنه سيكتفى بمعرفة المكان ، الذى سيذهب إليه (جيمس) فحسب .

هزّت رأسها ، قائلة :

ـ هذا لأنك لا تعرف (أكرم) ، مثلما أعرفه أنا .. إنه مقاتل عنيد ، لا يستسلم أو يتراجع قط ، وهو لم يفعل كل ما فعل ، ليحتلّ مقعد طيّار الحوّامة ، لمجرّد معرفة المكان ، الذى سيذهب إليه هذا الإرهابى ، فهذا العمل كان يمكن أن يقوم به الطيّار نفسه .

سألها الدكتور (ناظم) فى قلق :

ـ ما الذى تتوقعينه إذن ؟

عادت تهزّ رأسها نفيًا ، وهى تتنهد ، قائلة :

ـ لن يمكنك أبدًا أن تتوقع .. يكفى أن تراقب ، وأن تتضرّع إلى الله (سبحانه وتعالى) .. هذا كل ما نملكه جميعًا .

أدرك قلبه أنها على حق تمامًا ، وهو يراقب الموقف كله من بعيد ..

كانت الرافعة قد حملت أسطوانة التجميد إلى داخل الحوّامة ، وتم تثبيتها داخلها بمنتهى الدقة والحذر ، وأوصلها الفنيون بأجهزة تنظيم درجة البرودة ، والمحافظة عليها ، وقال الدكتور (حاتم) فى حدة ، عبر مكبّر صوتى ، يتصل بالحوّامة مباشرة :

ـ لقد حصلت على كل ما أردت يا (جيمس) ، على الرغم من الأوامر ، التى أصدرتها لك قيادة دولتك ، بإيقاف هذه العملية ، وتسليم نفسك للسلطات ، فلديك عينة من عقار التجميد ، ولديك أسطوانة التجميد ، وبداخلها جسد أكثر أطفال (مصر) أهمية .. اترك إذن (سلوى) ، وستنقلك الحوّامة إلى حيث تريد .

صاح (جيمس) فى عصبية :

- لا تصدروا أية أوامر .. هذه المرأة سترافقنى حتى نهاية المطاف ، ولن أطلق سراحها إلا بعد التيقن من أننى آمن تمامًا .

أجابه الدكتور (حاتم) :

- لديك ما هو أثمن منها .. أسطوانة التجميد ، والطفلة .. هيا .. أطلق سراح (سلوى) ، وغادر المكان .

صرخ (جيمس) فى ثورة ، وهو يجذب شعر (سلوى) فى قسوة :

- قلت لا .. هل تفهم ، أم أنه من المحتم أن أثقب رأس المرأة برصاصتين ، حتى تستوعب الموقف ؟!

قال الدكتور (ناظم) فى قلق :

- كفى يا دكتور (حاتم) .. الرجل مجنون بحق .

أطبق الدكتور (حاتم) شفتيه فى غيظ ، وأشاح بوجهه عن مكبّر الصوت ، إلا أنه لم يستطع التزام الصمت طويلًا ، فقال فى عصبية :

- ألا يكفيه أن يقتل (نشوى) ؟

هتفت (مشيرة) فى شحوب :

- يقتلها ؟!

أجاب فى مرارة :

- بالتأكيد .. إننا لا نعلم كم فقدت من عمرها ، فى الفترة التى احتلّ فيها هذا الوغد ورجاله المكان ، ولا كم بلغ استهلاك الأكسجين ، من خلايا مخها ، وربما فوجئنا بها تتلاشى بغتة ، قبل أن ننجح فى استعادتها .

هوى قلب (مشيرة) بين قدميها فى ارتياع ، وراح يخفق فى عنف ، ثم لم تلبث أن التفتت ثانية ، إلى حيث تقف الحوّامة ، وهتفت من أعمق أعماق وجدانها :

- افعل شيئًا يا (أكرم) .. أرجوك .. افعل شيئًا .

وكأنما سمع (أكرم) النداء ، فقد اعتدل فى وقفته بغتة ، وقال فى لهجة ، نجح فى أن يزرع فيها أكبر قدر ممكن من الإحساس بالضجر والملل :

- هل سنبقى هنا إلى الأبد ؟

صاح (جيمس) فى وجهه :

- اصمت وتلقّ الأوامر فحسب .

ثم دفع (سلوى) فى قسوة داخل الحوّامة ، مستطردًا :

- هيا يا امرأة .. سنرحل الآن .

دفع (أكرم) قبعة الطيّار إلى أعلى ، وهو يقول فى صرامة مبالغة :

- معذرة .. نحن هنا لا نخاطب النساء بهذه الوقاحة .

استدار إليه (جيمس) بحركة سريعة ، وصوّب إليه فوهة مدفعه الآلى ، فى نفس اللحظة التى انتبهت فيها (سلوى) إلى أن الطيّار ليس سوى (أكرم) ، فصاحت فى مزيج من الدهشة والفرح والتوتر :

- يا إلهى !.. (أكرم) .

ومع صيحتها ، وثب (أكرم) ..

وكانت وثبة رائعة بحق ..

لقد ركل المدفع الآلى من يد (جيمس) ، وهو يهتف :

- إننا نقول : تفضلى يا سيّدتى .

كانت مفاجأة حقيقية لـ (جيمس) ، الذى هوى مدفعه من سطح المبنى ، ولكنه - كمحترف - سيطر على مشاعره وأعصابه بسرعة خرافية ، ولكم (أكرم) فى معدته ، صائحًا :

- إذن فهى خدعة .

انثنى (أكرم) إثر اللكمة ، ولكنه اعتدل بسرعة ، بعد أن احتملت عضلات بطنه قوة الضربة ، وصاح :

- نعم .. هى كذلك .

ثم انقضّ على (جيمس) بلكمة أودعها كل قوته ، هاتفًا :

- اهربى يا سيّدتى .

قفزت (سلوى) خارج الحوّامة ، وهى تقول :

- وماذا عن (نشوى) ؟

لم يجب (أكرم) ؛ لأن (جيمس) تفادى لكمته فى مهارة ، ثم لكمه فى صدره ، وأعقب لكمته بأخرى فى معدته ، وهو يصرخ ثائرًا :

- كانت خدعة أيها الأوغاد .

سقط (أكرم) على ظهره ، ولكنه وثب بسرعة واقفًا على قدميه ، وركل (جيمس) فى وجهه ، قائلًا :

- لا يوجد هنا وغد سواك أيها البريطانى .

وفى برج المراقبة ، هتف الدكتور (ناظم) ، فى انفعال جارف :

- إلى طاقم الأمن .. لا تضيعوا هذه الفرصة الذهبية .. هاجموا سطح المبنى ، وألقوا القبض على هذا العميل ، أو انسفوه لو لزم الأمر .. هيا .. دعونا لا نخسر اللعبة هذه المرة

أما (مشيرة) ، فراحت تهتف فى حماس :

- اضربه يا (أكرم) .. اهزمه .. اقتله .

ولكن الأمر لم يكن سهلًا أو بسيطًا ، إلى هذا الحد ..

لقد كان (أكرم) بالفعل مقاتلًا صلبًا عنيدًا ..

ولكنه بدائى ..

لم يكن يقاتل بقواعد أو قوانين معروفة ..

كان له قانونه الخاص ..

وصحيح أن هذا القتال البدائى ، أو (قتال الشوارع) ، كما يطلقون عليه ، قد أربك (جيمس) فى البداية ..

ولكنه تجاوز هذا بسرعة ..

لأنه محترف ..

وفى عالم المحترفين ، توجد قواعد لكل شىء ..

حتى للقتال الهمجى ..

و (جيمس) يطبق هذه القواعد بمنتهى الدقة ..

وفى مهارة مدهشة ، تفادى (جيمس) واحدة من لكمات (أكرم) ، ثم لكمه فى معدته بقوة ، ودفعه إلى الخلف فى عنف ، ثم دار على عقبيه دورة بارعة سريعة ، وركله فى وجهه ..

واحتمل (أكرم) كل هذا ..

وهذه هى الفائدة الوحيدة ، المكتسبة من (قتال الشوارع) ..

قوة الاحتمال ..

ولكن (جيمس) لم يكن يسعى لتحطيم قوة احتمال (أكرم) ..

وإنما كان يستدرجه ..

يستدرجه إلى فخ محكم ، لم ينتبه إليه (أكرم) ، إلا عندما حاول حفظ توازنه ، بعد أن تلقى ركلة (جيمس) الأخيرة فى وجهه ..

لقد خدعه (جيمس) ، ودفعه إلى حافة السطح ..

واختل توازن (أكرم) ..

وفجأة ، وجد نفسه يهبط ..

بل يهوى ..

ولكن (أكرم) أقدم فجأة على حركة بالغة المرونة ..

حركة أشبه بالمعجزة ..

لقد دفع نصفه العلوى إلى الأمام ، ثم دار حول نفسه فى خفة ، وسقط على ظهره فوق السطح مرة أخرى ..

وكاد جسده كله ينزلق ، ولكنه تشبث بالحافة ، فى نفس اللحظة التى تعالى فيها وقع أقدام رجال الأمن والحراسة ، وهم يصعدون إلى السطح ..

وتراجع (جيمس) بسرعة ، وهو يهتف محنقًا :

ـ اللعنة !

وبحركة بارعة أنيقة ، وثب داخل الحوامة ، وأدار محركها ، ثم ارتفع بها ، مبتعدًا عن السطح ..

ومع هـذا المشهد ، هبطت قلـوب الجميع بين أقدامهم ..

لقد فاز (جيمس) بالغنيمة الأعظم ، و ...

وربح المعركة .

* * *



٤ ـ المجلـس ..

كانت المرة الأولى ، فى تاريخ (أطلانطس) الأرضى ، التى يجتمـع فيهـا مجلس الحكم مرتين ، فى يومين متتاليين ..

وكان من الواضح ، فى المرة الثانية ، أن الأمر ليس عاديًا ..

بل خطيرًا ..

خطيرًا للغاية ..

لقد سرت همهمة عجيبة فى المكان ، وجلس (بيكاس) صامتًا ، هادئًا ، يشبك أصابع كفيه أمام بطنه ، ويسبل جفنيه قليلًا ، فى حين راح (مالوس) يتحرّك وسط القاعة فى عصبية ، ولاذ الملك (كوراك) بالصمت تمامًا ، وهو يجلس على عرشه الذهبى المهيب ..

ثم فجأة ، رفع الملك صولجانه ..

وتألق الصولجان بضوء أزرق رائع ..

وهنا ساد الصمت داخل القاعة ..

صمت تام ، أشبه بصمت القبور ، دام عدة ثوان ، حتى انطفأ صولجان (كوراك) ، ورفع رأسه ، قائلًا فى مهابة :

- هذا اجتماع خاص لمجلس الحكم .

تبادل الجميع نظرات قلقة ، قبل أن يستطرد (كوراك) ، وهو يشير بصولجانه إلى (مالوس) :

- بناء على طلب (مالوس) .

التفتت العيون كلها إلى (مالوس) ، الذى تنحنح ، وعقد حاجبيه فى صرامة ، فى حين ابتسم (بيكاس) فى سخرية ، بعينيه نصف المغمضتين ، وهو يتمتم :

- عظيم .. عظيم .

رمقه الملك بنظرة صارمة ، وحدجه (مالوس) بنظرة غاضبة ، ولكنه اعتدل ، وقال :

- إخوانى أعضاء مجلس الحكم العظيم .. جرت العادة على أن يجتمع مجلسكم مرة واحدة ، فى بداية كل شهر ، ولم يتغيَّر هذا أبدًا ، عبر آلاف السنين ، فالقانون الذى أتينا به من كوكبنا الأم ، يحتم ضرورة وجود أحداث جسام ، ليتم اجتماع المجلس فى غير موعده .

ودق سطح المنصة بقبضته ، وهو يقول :

- ونحن الآن أمام هذه الأحداث الجسام .

سرت همهمة قوية فى القاعة ، واتسعت ابتسامة (بيكاس) الساخرة ، دون أن يفتح عينيه ، فضرب الملك مسند عرشه بطرف صولجانه فى حزم ، وهو يقول فى غضب واضح :

- استمعوا أوَّلًا ، وتجادلوا فيما بعد .

عاد الصمت إلى القاعة تدريجيًا ، وعلا صوت (مالوس) ، وهو يقول فى حرارة :

- من المؤكَّد أنكم تتساءلون : ما هذه الأحداث الجسام ، التى يتحدَّث عنها (مالوس) ؟ ولا ريب أن معظمكم قد ربط بين حديثى ، وذلك الدخيل ، الذى رأيتموه هنا أمس .

ثم انعقد حاجباه فى شدة ، مردفًا :

- وهذا الربط صحيح .. بل صحيح تمامًا .

صمت منتظرًا رد فعل منهم ، إلا أنهم كانوا جميعًا يتوقعون هذا ، فلاذوا بالصمت ، وراحوا يتطلَّعون إليه فى ترقب ، فتابع :

- لقد ادعى هذا الدخيل أنه قادم من المستقبل .. بل تمادى فى هذا ، فأعلن أنه رأى ، فى أثناء رحلته عبر الزمن ، أن القنبلة (الأيونوبروتينية) ستكون سببًا فى غرق قارتنا العظيمة (أطلانطس) .. درة العالم ، وإمبراطورة الحضارة الحديثة .

ورسم على شفتيه ابتسامة ساخرة ، دار بها فى وجوه الجميع ، وهو يستطرد :

- يا لها من مهزلة ساخرة أيها السادة !.. قنبلة تدمر حضارة مثل حضارتنا .. أى سخف يفوق هذا ؟.. هل توقع ذلك الدخيل ، أن نصدق حرفًا واحدًا مما يقول ؟

وانقلبت سحنته بغتة ، لترتسم الشراسة بدلًا من السخرية ، وهو يضرب المنصة بقبضته فى قوة ، هاتفًا :

- كلا .. لن نصدق هذا العبث ، وسنتصدى له بكل حزم وصلابة ، ستتم تجربة القنبلة (الأيونوبروتينية) فى موعدها ، مهما حاول الخونة والجواسيس .. إننى أدعوكم إلى عدم تصديق هذا الدخيل ؛ لأنه جاسوس .. جاسوس من (بيروزيت) .

انطلقت همهمات عنيفة إثر عبارته الأخيرة ، وراح الجميع يتجادلون فى حدة ، ويلوحون بأيديهم بين مصدق ومستنكر ، حتى نهض (بيكاس) ، وقال فى هدوء :

- الزميل (مالوس) خطيب بارع ، يستحق التهنئة على أسلوبه وذكائه ، ولكنه للأسف ليس محاميًا مقبولًا ، أو حتى مبتدئًا ، فهو يتحدث كثيرًا ، ويلقى بالاتهامات جزافًا ، دون أن يقدم دليلًا واحدًا .

هتف (مالوس) :

- الدليل موجود يا عزيزى (بيكاس) ، وهو دليل قوى ، لا يتطرق إليه الشك قط .

وأدار عينيه فى الحضور ، قبل أن يستطرد فى حزم :

- كلكم تعرفون أننا نحتفظ بالقنبلة (الأيونوبروتينية) ، فى مكان خاص وسرى، لا يعلمه سوانا أيها الزملاء، وعلى الرغم من هذا ، فقد نجح الدخيل فى الوصول إلى القنبلة ، ووضع يده عليها .. بل كاد يتلفها ، لولا أننا نجحنا فى منعه ، فى الدقيقة الأخيرة .. بل فى الثانية الأخيرة .. وهذا الحادث مسجل، ولدى أكثر من سبعة شهود على حدوثه ، وسترون بأنفسكم كل شىء الآن .

وبإشارة من يده ، تكونت فى وسط القاعة صورة هولوجرافية متحركة ، تنقل كل ما حدث ، منذ هرب (نور) من زنزانته ، وحتى فقد وعيه أمام القنبلة ..

وهنا فقط ، عقد (بيكاس) حاجبيه ..

وساوره القلق ..

أما (مالوس) ، فقد ارتسمت على شفتيه ابتسامة ظافرة ، وهو يراقب ردود الأفعال ، على وجوه الجميع ، وبخاصة (بيكاس) ، حتى انتهى العرض ، واختفت الصورة ، فقال فى زهو وصرامة :

- لعلكم لاحظتم أيها السادة ، خلال هذا العرض القصير ، أن الدخيل عثر على مسدس أشعة ، وبطاقة مغنطيسية ، فى مكان كان يتوقعه مسبقًا ، كما أنه كان يعلم جيدًا أين يجد القنبلة ، فما الذى يعنيه هذا أيها السادة ؟

دار بعينيه فى وجوههم مرة أخرى ، قبل أن يضيف فى حزم :

ـ معناه أنه يوجد بيننا خائن .

ارتفعت الحواجب فى دهشة ، وسرت الهمهمة المتوترة مرة أخرى ، حتى قال (كوراك) فى حزم صارم :

ـ حذار هذه المرة يا (مالوس) ، فأنت تطرق منطقة شديدة الحساسية والخطورة ، فلم يحدث قط ، عبر تاريخ (أطلانطس) كله .. الفضائى والأرضى ، أن كان هناك خائن بين صفوفنا .

هتف (مالوس) :

ـ ولكنه وُجِد يا مولاى ، وها هو ذا ؟

قالها ، وهو يشير بلا تردد إلى خصمه اللدود ..

إلى (بيكاس) ..

★ ★ ★

انتفضت القلوب كلها فى أسى ومرارة ، عندما ارتفعت الحوّامة ، التى تحوى أسطوانة التجميد ، يقودها (جيمس) ..

لقد ربح (جيمس) المعركة ..

ربحها بجدارة ..

إنه يسيطر الآن على أسطوانة التجميد ، وداخلها جسد (نشوى) ، ولن يجرؤ مخلوق واحد ، فى (مصر) كلها ، على اعتراض الحوّامة ، أو قصفها ..

كل ما سيفعله الجميع ، هو أن يراقبوها تبتعد فى حسرة ومرارة ، ويحاولوا رصد خط سيرها بأجهزة الرادار والفحص ...

الجميع إلا رجلًا واحدًا ..

(أكرم) ..

لقد رآه الجميع يهبّ واقفًا ، ثم يعدو بكل قوّته نحو الحوّامة ، و ..

ويقفز ..

ومع قفزته شهقت (مشيرة) :

ـ (أكرم) !

أما الباقون ، فقد تجمّدت ألسنتهم فى حلوقهم ، واتسعت عيونهم فى انبهار ، وهم يتابعون هذا المشهد الخرافى ..

مشهد (أكرم) ، وهو يسبح فى الهواء ، قبل أن يتعلّق بجانب الحوّامة ، ويتأرجح لحظة ، ثم يقذف جسده داخلها ..



مشهد (أكرم) ، وهو يسبح في الهواء ، قبل أن يتعلق بجانب الحوّامة ويتأرجح لحظة ، ثم يقذف جسده داخلها ..

وصاح الدكتور (ناظم) :

ـ مستحيل !.. لقد فعلها !

ثم استدار إلى (مشيرة) ، مستطردًا في انفعال :

ـ مدهش .. فتاك هذا مدهش .

لو أن الظروف تختلف ، لتضرّج وجهها بحمرة الخجل ، مع كلمة (فتاك) هذه ، أما والحال هكذا ، فقد خفق قلبها في شدة ، وهي تسأل :

ـ ولكن ماذا سيفعل داخل الحوّامة ؟

دعونا تشاركها نحن أيضًا هذا السؤال ..

ماذا سيفعل هناك ؟..

ولكن الواقع أننا نمتلك مزية خاصة ، لا تمتلكها (مشيرة) ..

إننا نستطيع القفز مباشرة إلى مسرح الأحداث ..

إلى داخل الحوّامة ..

وهناك سنجد الدهشة مرتسمة على وجه (جيمس) ، وهو يهتف :

ـ اللعنة !.. كيف فعلت هذا ؟

كان (أكرم) يلهث في شدة ، من فرط ما بذله من جهد ، ولكنه ـ وعلى الرغم من هذا ـ انقض على (جيمس) ، هاتفًا :

- دعنى أخبرك .

ثم لكمه فى فكه بكل قوته ، وأصابت اللكمة (جيمس) مباشرة ، فألقته بعيدًا عن مقعد القيادة ، الذى وثب إليه (أكرم) ، قائلًا :

- معذرة أيها الوغد .. سنتبادل الأماكن .

فقفز (جيمس) يحيط عنقه بذراعه ، صائحًا فى غضب :

- هذا عندما يخلو المكان .

دفع (أكرم) مقعده إلى الخلف فى عنف ، ثم مال إلى الأمام ، قائلًا :

- لقد حدث هذا بالفعل .

دار جسد (جيمس) فى الهواء ، مع هذه الحركة العنيفة ، وسقط أرضًا ، ولكنه قفز واقفًا على قدميه مرة أخرى ، وعاد ينقضّ على (أكرم) ، صائحًا :

- ليس بعد يا هذا .

بدأت الحوّامة تتأرجح فى الهواء ، مع ذلك الصراع ، وصرخت (سلوى) فى هلع :

- ابنتى .. (نشوى) !

أما (أكرم) ، فقد شعر بالخطر ، الذى يتهدّد (نشوى) ، وهى داخل أسطوانة التجميد ، وهو يلكم (جيمس) بكل قوته ، فتراجع فى خفة ، وانحنى بضغط زر الطيّار الآلى ، وهو يهتف :

- دعنا نعيد إلى الأمر توازنه أوّلًا .

ولكن (جيمس) هوى على رأسه بضربة قوية ، قائلًا :

- فى المرة القادمة ، لاتفكّر إلا بنفسك .

وأعقبها بأخرى ، صائحًا فى ظفر :

- هذا لو أنه هناك مرة قادمة .

استقام مسار الحوّامة ، مع تشغيل الطيّار الآلى ، ولكن (أكرم) شعر بدوار عنيف ، إثر الضربتين ، فاستعان بإرادته كلها ، ولكم (جيمس) فى معدته ، ثم تشبث بسترته ، وهو يهتف :

- بالنسبة لى ستكون هناك مرات ومرات بإذن الله .

جذب (جيمس) سترته فى عنف ، وهو يقول فى ثورة :

- ربما فى الجحيم .

ومع هذه الجذبة العنيفة ، رأى (أكرم) قارورة صغيرة ، تسقط من جيب السترة الداخلى ، وتتدحرج أرضًا ، ورأى عينا (جيمس) تتسعان فى ارتياع ، وهو يندفع محاولًا التقاط تلك القارورة ..

وفى جزء من الثانية ، أدرك (أكرم) طبيعة هذه القارورة ..

إنه عينة العقار ..

عقار التجميد البهْرى ..

وفى الجزء الثانى من الثانية ، وثب (أكرم) يختطف القارورة ، ثم تراجع فى سرعة ..

وانعقد حاجبا (جيمس) ..

بل انعقد وجهه كله ..

لقد بدا أشبه بشيطان ثائر ، على الرغم من وسامته ، وهو يصرخ :

- أعد إلىّ هذه القارورة ، وإلا ..

قاطعه (أكرم) فى سخرية :

- وإلا ماذا ؟

صرخ (جيمس) فى ثورة هائلة :

- أعدها إلىّ وإلا قتلتك .

غمغم (أكرم) :

- إلى هذا الحد .

ثم اعتدل فى حزم ، مستطردًا بصوت قوى :

- آسف أيها الوغد البريطانى .. لن أمنحك ما يضرّ وطنى أبدًا .

وبكل ما يملك من قوة ، قذف (أكرم) القارورة خارج الحوّامة ، وصرخ (جيمس) فى جنون :

- أيها الحقير .

ثم وثب بكل الغضب المتفجّر فى أعماقه ، وكال لـ (أكرم) لكمة شديدة القوة والعنف ، أعقبها بأخرى ساحقة ، ولّدتها ثورة غضبه ، ثم أضاف إلى لكمتيه ركلة أودعها كل حنقه وحقده ، وبغضه وثورته ..

واندفع جسد (أكرم) ..

اندفع ليرتطم بزجاج الحوّامة ، ثم اخترقه بدوى عنيف ، وانطلق جسده إلى الفراغ ..

ثم هوى ..

هوى من ارتفاع مائتى متر ..

وبلا مظلة .

* * *



٥ ـ الضربة القاصمة ..

لم يحدث ، في تاريخ (أطلانطس) كله ، أن ساد مجلس الحكم هرج ومرج ، كاللذين حدثا ، عندما اتهم (مالوس) (بيكاس) بالخيانة ..

كان هذا هو أول اتهام بالخيانة ، في تاريخ (أطلانطس) ، السابق والحديث ..

وأول صدام مباشر وعنيف ، بين (مالوس) و (بيكاس) ..

وترك الملك (كوراك) الموقف يتصاعد بضع لحظات ، وبعض أعضاء مجلس الحكم يصرخون في وجه (مالوس) ، والبعض الآخر يحدّق في وجه (بيكاس) في هلع ، ثم ضرب الملك مسند عرشه بطرف صولجانه ، وهو يقول في صرامة :

ـ كفى .

لم يكد ينطقها ، حتى ران صمت رهيب على القاعة ، وتعلقت كل العيون بالملك ، الذي مال على عرشه لحظة ، ورمق (بيكاس) بنظرة صارمة ، وهو يقول :

ـ ما قولك بالنسبة لهذا الاتهام البالغ الخطورة يا (بيكاس) ؟

مط (بيكاس) شفتيه ، وقال في برود :

ـ هراء .

سأله الملك في حزم :

ـ أهذا هو ردك على الاتهام ؟

لوّح (بيكاس) بيده في هدوء ، وقال :

ـ إنه يكفي ، مادام مجرد اتهام شفهي ، دون دليل .

ارتسمت ابتسامة خبيثة على شفتي (مالوس) ، وهو يقول :

ـ أوافقك تمامًا أيها الزميل .. لابد من الدليل .

ثم أشار بيده ، فعاد العرض الهولوجرافي المتحرك إلى الظهور ، لينقل هذه المرة كل الحدث ، الذي دار بين (بيكاس) و (نور) ، عبر مسجل عقلي خاص ، ثم تتركز المشاهد على يد (بيكاس) ، وهو يلقي اللفافة الجلدية في السلة ، قبل أن ينصرف ..

ثم انتهى العرض ..

وساد صمت رهيب ..

صمت يحمل اتهامًا مصدوقًا ، ونظرة مذعورة ، وجهها الجميع إلى (بيكاس) ، الذي ظل ، على الرغم من كل هذا ، هادئًا ، مبتسمًا ، حتى سأله الملك في حدة :

ـ (بيكاس) ..ألن تدافع عن نفسك ؟

رفع (بيكاس) حاجبيه ، وقال :

- أدافع عن نفسى ؟!.. ولماذا يا مولاى ؟

عقد الملك حاجبيه فى شدة ، وهو يقول :

- لأن الاتهام الموجّه إليك بالغ الخطورة .. إنك فى موقف دقيق بالفعل .

هزّ (بيكاس) رأسه فى هدوء ، وابتسم فى رصانة ، وهو يقول :

- بل الزميل (مالوس) هو الذى فى موقف دقيق يا مولاى ، فما رأيناه الآن لو أنه حقيقى ، يعنى أن الزميل قد تجسّس عمدًا على حديثى مع الدخيل ، متجاهلًا ذلك النص الواضح الصريح ، فى دستور (أطلانطس) ، والذى جرّم وبشدّة ، أية محاولة من أحد أعضاء مجلس الحكم ، حتى الملك نفسه ، للتجسّس على عضو آخر ، مهما كانت الأسباب والمبرّرات .. ولقد جعل دستورنا العظيم لهذه الجريمة عقوبة واحدة ..

وانعقد حاجباه فى صرامة ، وهو يرمق (مالوس) بنظرة نارية ، مستطردًا :

- الموت .. الموت بلا رحمة .

امتقع وجه (مالوس) ، ولوّح بذراعه ، هاتفًا :

- هذا خروج عن الموضوع .

هزّ (بيكاس) رأسه نفيًا فى هدوء ، وقال :

- بل هو الموضوع نفسه يا عزيزى (مالوس) ، فالدستور هو الدستور .. وهذا الدستور يعاقب الخائن بالنفى مدى الحياة ، ولكن عقوبة التجسس على أحد أعضاء مجلس الحكم ، هى الإعدام فورًا .. وبالنسبة لذلك الفيلم الهولوجرافى ، الذى شاهدناه جميعًا ، فهو طريف وأنيق ، ولكننى أستطيع أن أصنع ما هو أفضل منه فى معملى ؛ لذا فمن المضحك اعتباره دليلًا كافيًا ، لإدانة عضو قديم من أعضاء مجلس الحكم .

وابتسم فى خبث ، قبل أن يستطرد :

- إلا لو أقسمت على أنك التقطته عمدًا ، فى أثناء تجسسك علىّ .

شحب وجه (مالوس) فى شدة ، وهوى قلبه بين قدميه ، مع ذلك المأزق الرهيب ، الذى وضعه فيه (بيكاس) ، فهو إما أن يصرّ على صحة الفيلم الهولوجرافى ، فتكون عقوبته هى الإعدام فورًا ، وبلا رحمة ، أو يدّعى أنه قد افتعله فى معمله ، فتهبط أسهمه ، وتنتهى هيبته تمامًا فى مجلس الحكم ..

وساد صمت ثقيل هذه المرة ..

صمت تعلقت خلاله العيون كلها بوجه (مالوس) الشاحب ..

ثم قطع الملك (كوراك) حبل الصمت ..

قطعه ، وهو يسأل (مالوس) فى صرامة :

ـ ما قولك يا (مالوس) ؟!

تطلع (مالوس) بنظرة زائغة إلى (بيكاس) ، وكأنه يستنجد به ، ولكن (بيكاس) ابتسم فى ظفر ، وأسبل جفنيه ، وبدا أشبه بنائم يحلم بفيلم هزلى ، وإن لم تتوقف عيناه ، من تحت جفنيه نصف المغلقين ، عن متابعة ما يحدث من حوله ، فى لهفة وشغف ..

ولكن فجأة ، هتف (مالوس) :

ـ إذن فـ (بيكاس) يصرّ على خداعنا جميعًا ، وقلب الموائد على رءوسنا .

سأله الملك فى صرامة .

ـ هل تجسّست عليه أم لا ؟

اعتدل (مالوس) فى وقفته ، على نحو مباغت ، وبدا أطول قامة ، وهو يعقد كفيه خلف ظهره ، ويجيب فى حسم :

ـ كلا .. لم أفعل .

شهق البعض فى انفعال ، وتبادل البعض الآخر أحاديثًا متوترة سريعة ، فى حين انعقد حاجبا (بيكاس) فى تساؤل ، وقال الملك فى دهشة :

ـ إذن فأنت تعترف بتلفيق الـ...

قاطعه (مالوس) فى حزم :

ـ كلا يا مولاى .. لم ألفق هذا الفيلم الهولوجرافى .. إنه حقيقى تمامًا .

سأله الملك فى دهشة :

ـ كيف يتفق هذا وذاك يا (مالوس) ؟

أجابه (مالوس) فى صوت قوى :

ـ كل ما فعلته هو أننى أمرت بمراقبة الدخيل طوال الوقت ، منذ قام بمحاولة الفرار الأولى ، وبناء على هذا الأمر ، سجّل رجال الأمن كل ما يدور فى زنزانة السجين وحولها ، وهذا أمر مشروع ، يتيحه لى القانون ، بصفتى النائب العام لقارتنا (أطلانطس) ، ومن هنا كان الفيلم .

واستدار يتطلّع إلى (بيكاس) ، وهو يبتسم ، مستطردًا :

ـ وكهذا أيها السادة ، تجدون أن دليل إدانة الزميل (بيكاس) قانونى ..قانونى تمامًا ..

وكانت ابتسامته تحمل الكثير من السخرية .. ومن الظفر ..

★ ★ ★

هوى (أكرم) ، من ارتفاع مائتى متر بلا مظلّة ، وتصارع ذراعاه مع الهواء ، فى محاولة للـتشبّث بأى شيء ..

ولكنهما لم يفلحا ..

ثم التقطت عيناه مشهدًا واحدًا ، فجّر فى أعماقه ينابيع الأمل ..

مشهد النيل ..

نيل (مصر) العظيم ..

لقد كانت الحوّامة ، فى لحظة سقوطه بالضبط ، تعبر نهر النيل ..

وهذا ما أنقذه ..

لقد سقط من ارتفاع مائتى متر ، نحو مياه النيل مباشرة ..

وفى لحظة واحدة ، أقنع (أكرم) عقله ، بأن الأمر كله لا يعدو مجرّد قفزة فى حوض للسباحة ..

وفى مرونة ، اكتسبها مع الزمن والخبرة ، انثنى جسده ، ثم مال إلى الأمام ، وانخفض رأسه ، ثم فرد ذراعيه ، واتجه نحو الماء بعجلة الجاذبية الأرضية(*) ، ثم غاص فيه كالسهم ..

(*) عجلة الجاذبية الأرضية : ٣٢ قدم/ثانية .

وثوان ، راح جسده يغوص فى المياه الباردة ، وسرت فيه قشعريرة عنيفة ، ثم لم يلبث أن تكيّف مع الموقف فى سرعة ، بعد أن توقّف الغوص ، وبدأ (أكرم) يضرب الماء بذراعيه فى قوة ، ليعود إلى السطح ..

وأخيرًا التقط أنفاسه ..

ولكنه لم يكن يشعر بالسعادة ..

صحيح أنه نجا من موت محقّق ، ولكنه فشل فى مهمته ..

وها هى ذى الحوّامة تبتعد ، وبداخلها (نشوى) ، و (جيمس) ..

أما (جيمس) نفسه ، فقد عاد إلى مقعد القيادة ، وهو يلهث فى عنف ، وجسده يترنّح فى شدّة ..

أما عقله ، فكان أشدّ ترنحًا ..

لقد خسر عينة العقار ، وفقد سلاحه ، وقتل زملاءه ..

ولكنه لم يخسر المعركة بعد ..

ما يزال يحتفظ بأسطوانة التجميد ، وبداخلها جسد (نشوى) ..

ما يزال مسيطرًا على الموقف ..

ولكن ماذا يفعل الآن ؟!..

أين يذهب ؟!..

ومع بحثه عن جواب السؤال ، قفزت إلى ذهنه صورة واحدة ..

وفى حزم ، جذب ذراع القيادة ، وألغى عمل الطيّار الآلى ، ضغط أزرار التوجيه ، واتجه إلى المكان الوحيد ، الذى يمكنه أن يذهب إليه ، فى (مصر) كلها ..

إلى السفارة البريطانية ..

ولم تستغرق الرحلة إلا خمس دقائق على الأكثر ، ثم لاحت له السفارة ، فضغط زر جهاز الاتصال اللاسلكى ، وضبط موجته على موجة السفارة ، وقال :

ـ هنا (جيمس برادلى) .. سأهبط فى حديقة السفارة .. هل تسمعنى ؟.. أنا (جيمس برادلى) .

أتاه على الفور صوت مندوب الاتصال بالسفارة ، وهو يقول :

ـ لحظة يا مستر (جيمس) .. نرجو عدم الهبوط ، قبل الحصول على إذن بهذا .

هتف (جيمس) فى عصبية :

ـ إذن ؟!.. إذن بماذا يا فتى ؟!.. من الواضح أنك لاتفهم ما يحدث هنا .. إنه أمر عاجل .. عاجل وخطير ..

كرّر مندوب الاتصال فى حزم :

ـ نرجو عدم الهبوط يا مستر (جيمس) ، قبل الحصول على إذن بهذا .

صاح (جيمس) غاضبًا :

ـ أين السفير ؟.. أريد التحدّث مع السفير مباشرة .

أجابه المندوب فى صبر :

ـ الإذن أوّلا يا مستر (جيمس) .

عقد (جيمس) حاجبيه ، وقال فى صرامة :

ـ فى هذه الحالة ، يمكنك اعتبارى أحد المتسللين ، سأهبط على الفور فى حديقة السفارة ، دون انتظار لهذا الإذن السخيف .

قرن القول بالفعل مباشرة ، وراح يهبط بالحوامة فى وسط حديقة السفارة ، وسرعان ما أتاه صوت السفير ، عبر اللاسلكى ، وهو يهتف :

ـ (جيمس) .. ماذا تفعل أيها المجنون ؟.. نصف المنطقة براك تهبط هنا ، ولن تلبث أن تجد قوات الأمن المصرية كلها حول السفارة .. ابتعد أيها الغبى .. لا أمل لك فى النجاة هنا .

ولكن (جيمس) تجاهل هذا النداء تمامًا ، وهبط بالحوّامة فى قلب الحديقة بالفعل ، وأوقف محركاتها ، فأسرع إليه حارسا أمن السفارة ، وكل منهما يحمل مدفعه الإشعاعى ، وقال أحدهما فى صرامة :

- سيدى .. عد إلى حوّامتك .. ليس لدينا تصريح بهبوطك هنا .

أخرج (جيمس) بطاقته الخاصة ، وهو يقول فى عصبية :

- ابتعد يا رجل .. أنا عميل بريطاني خاص .

ألقى الحارس نظرة على البطاقة ، ثم عاد يقول فى صرامة :

- التصريح يا سيدى .

كاد (جيمس) ينفجر فى وجهه ، لولا أن لمح السفير ، وهو يعدو نحوه . وقد تخلّى عن تحفّظه ووقاره ، وهتف به :

- (جيمس) .. ارحل بسرعة يا رجل .. ابتعد بهذه الحوّامة اللعينة عن هنا .. إنك تفسد كل شيء .

أشار (جيمس) إلى صدره ، وهو يقول فى حدة :

- بل أنا أسعى لنجاح العملية ، ووضع دولتنا فى مصاف الدول العظمى ، كما كانت فى الماضى .. لن نسمح لهؤلاء المصريين أبدًا بالتفوق علينا .. هل نسيت قوانيننا القديمة ؟!.. هل نترك لهؤلاء العرب فرصة الانتصار والتقدم ؟

صاح السفير فى وجهه :



أخرج (جيمس) بطاقته الخاصة ، وهو يقول فى عصبية :
— ابتعد يا رجل .. أنا عميل بريطانى خاص ..

ـ الدنيا تتغير يا (جيمس) ، والزمن لم يعد كما كان ، ثم إن السيّد رئيس الوزراء أصدر أمرًا بإنهاء العملية كلها ، والمصريون سيضربوننا بكل شراسة ، لو أنك بقيت هنا .

قال (جيمس) فى عصبية :

ـ لن يمكنهم وضع أقدامهم على أرض السفارة ، فهى طبقًا للقانون الدولى ، أرض بريطانية(*) ، ثم إننى أسيطر على الموقف تمامًا .. أتدرك ما الذى يوجد داخل هذه الحوامة .. إنها أسطوانة تجميد ، تحوى ...

قاطعه السفير فى حدة :

ـ تحوى جسد ابنة الرائد (نور) .. بطل التحرير .. ألا تدرك ما يعنيه هذا ؟!.. لقد فجّرت غضب المصريين ، ولا توجد وسيلة لامتصاص هذا الغضب ، سوى إعادة هذه الطفلة إليهم .

صرخ (جيمس) :

ـ نعيد ماذا ؟!.. مستحيل !.. لقد فعلت كل ما فعلت ، من أجل الفوز بهذه الغنيمة ، ولن أتنازل عنها قط .

أجابه السفير فى انفعال :

(*) حقيقة .

ـ إنها السياسة يا (جيمس) .. إنك لست رجل عصابات بحق ، ولكنك عميل خاص ، تعمل لحساب المكتب الخامس ، وهذا يعنى أن مهمتك ترتبط حتمًا بالتغيرات السياسية ، ومن الضرورى أن تتراجع الآن ، ما دامت الدبلوماسية تقتضى هذا .

لوّح (جيمس) بذراعه كله فى سخط ، هاتفًا :

ـ خطأ .. أكبر خطأ .. لقد كشف المصريون الأمر بالفعل ، وعرفوا أنهم يواجهوننا ، ولم يعد التراجع مجديًا .. الأفضل إذن أن نتقدم حتى آخر الشوط ، ونربح المعركة .. هذا أفضل أسلوب .

انعقد حاجبا السفير فى غضب ، وهو يقول :

ـ لا تجادل يا (جيمس) .. نفذ الأوامر فحسب .

فى اللحظة نفسها هتف أحد الحارسين :

ـ سيدى السفير .. لقد بدأ المصريون فى محاصرة السفارة بالفعل .

شحب وجه السفير ، وصرخ فى وجه (جيمس) :

ـ هل ترى ما فعلته حماقتك ؟.. هيا .. انصرف .. ابتعد عن هنا .

التقى حاجبا (جيمس) ، وهو يقول فى حدة :

ـ هل تصرّ ؟

أجابه السفير :

ـ تمام الإصرار .

نطقها السفير ثم ارتجف في هلع ، مع تلك النظرة المخيفة ، التي أطلت من عيني (جيمس) ، وهو يقول :

ـ في هذه الحالة ، سأتخذ إجراءً آخر .

تراجع السفير مرتجفًا ، وهو يغمغم :

ـ ماذا تنوي أن تفعل يا (جيمس) ؟

هتف (جيمس) بغتة :

ـ هذا .

قالها واندفعت يده فجأة ، لتمسك معصم أحد الحارسين ، وترفع فوهة مدفعه إلى أعلى ، في نفس اللحظة التي وثبت فيها قدمه ، لتركل مدفع الحارس الآخر ، وصرخ السفير :

ـ ماذا تفعل أيها المجنون ؟

ولكن (جيمس) تجاهله تمامًا ، وهو يلكم الحارس الأول في معدته ، ثم يدفع ركبته بين قدميه ، وينتزع منه مدفعه الإشعاعي ، ويستدير به نحو الحارس الثاني ..

وقفز الحارس الثاني ، محاولاً استعادة مدفعه ، ولكن (جيمس) أمطره بأشعة مدفعه ، التي اخترقت رأس الحارس ، وصدره ، فهوى جثة هامدة ، قبل أن يستدير

(جيمس) بسرعة المحترف إلى الحارس الأوّل ، ويصوّب إليه مدفعه ..

وتراجع الحارس ، وهو يلوّح بذراعيه ، هاتفًا :

ـ لا .. لا .. إنني أستسلم .

ولكن (جيمس) لم يرحمه ..

لقد أطلق عليه أشعة مدفعه ، وأرداه قتيلًا بدوره ..

وبعدها استدار إلى السفير ..

وصرخ السفير في رعب هائل :

ـ لا .. لا تقتلني يا (جيمس) .

أجابه (جيمس) في صرامة :

ـ اطمئن .. لن أقتلك .

ثم التقط المدفع الآخر ، مستطردًا :

ـ ولكنني أعزلك من منصبك ، ومنذ هذه اللحظة ، ستصبح السفارة كلها تحت سيطرتي .

وكان هذا تطورًا بالغ العنف ، في مسار الأحداث ..

وبالغ الخطورة .

* * *

٦ ـ المرافعـــة ..

مرّت لحظات طويلة من الصمت ، داخل مجلس الحكم الأطلنطى ، والأنظار كلها تتجه فى لهفة واستنكار إلى (بيكاس) ، الذى ظلّ صامتًا بدوره ، معقود الحاجبين ، مما شجّع (مالوس) على المواصلة ، قائلًا :

ـ هذا يجعل الأمور واضحة أيها السادة .. (بيكاس) ليس سوى أحد جواسيس (بيروزيت) ، وأوّل خائن فى تاريخ (أطلانطس) ، ولهذا فأنا أطالب بنفيه ، كما يقول القانون ، وتحطيم كل ما يحتويه معمله ، من آلات ومعدات مجهولة ، وبالذات ذلك الجهاز ، الذى يدّعى أنه آلة الزمن ، فى حين أنه ليس سوى واحد من الأجهزة ، التى صنعها بإيعاز من غزاة (بيروزيت) ، التى ستشارك ، فى الوقت المناسب ، فى تدمير حضارتنـا ، وتحطيم مقاومتنا .

انعقد حاجبا (بيكاس) أكثر وأكثر ، وقد أدرك السبب الحقيقى ، لكل ما يفعله (مالوس) ..

آلة الزمن ..

إنه يسعى لتدمير آلة الزمن ، مهما كان الثمن ..

وهو لن يسمح بهذا قط ..

إن آلة الزمن هى حلمه ، منذ حداثته ..

الحلم الذى أثبته قدوم (نور) إلى عالمه .. إلى زمنه ..

نفس الحلم ، الذى يرفضه (مالوس) ، ويحاربه بكل قوته ، منذ طرحه هو ، على مائدة البحث ..

ولكن لا ..

مستحيل !..

لن يمنحه هذه الفرصة قط ..

« ما قولك يا (بيكاس) ؟.. » .

انتزعه صوت الملك (كوراك) من أفكاره ، فرفع عينيه إليه بحركة حادة ، ووجد نفسه يقول دون تفكير :

ـ غير قانونى .

تطلّع إليه (مالوس) فى دهشة ، وغمغم (كوراك) :

ـ غير قانونى ؟!.. ماذا تعنى ؟

اعتدل (بيكاس) فى مجلسه ، وقال :

ـ حتى ولو كان التسجيل يتمّ لمراقبة السجين ، فمن الضرورى أن يتوقّف ، عندما أبدأ أنا حديثى معه .. هكذا ينصّ القانون .

انعقد حاجبا (مالوس) ، وهو يقول :

ـ إنها نقطة شكلية ، لاتؤثر فى طبيعة الاتهام .

قال (بيكاس) فى عناد :

ـ بل هو خطأ قانونى فادح .

عقد (مالوس) ساعديه أمام صدره ، وقال :

ـ فليكن .. أنا أعترف بالخطأ ، بالنسبة لهذه النقطة ، ولكنه خطأ رجال المراقبة ، الذين لم يدركوا هذا .

ثم ابتسم فى خبث ، مستطردًا :

ـ وأوافق على إعدامهم جميعًا .

بدأ (بيكاس) يشعر بالتوتر ، مع ذلك الذكاء الواضح ، الذى يدير به (مالوس) الموقف ، وراح يعتصر ذهنه ، بحثًا عن نقطة أخرى ، ينقذ بها حياته ، وآلة الزمن التى لم يختبرها بعد ..

وفجأة ، قفزت إلى ذهنه فكرة ، حوّلها بسرعة إلى واقع ، وهو يهتف :

ـ مولاى الملك .. أين باقى التسجيلات ؟

سأله (كوراك) فى حذر :

ـ أية تسجيلات ؟!

قال (بيكاس) فى حماس :

ـ الزميل (مالوس) يقول : إنه سجّل حديثى مع السجين ، ضمن تسجيلات المراقبة ، فأين تسجيلات ما قبل زيارتى للسجين ؟

احتقن وجه (مالوس) ، وهو يقول :

ـ لقد محوناها بالطبع .

سأله (بيكاس) ، فى لهجة تنطوى على اتهام ضمنى :

ـ لماذا ؟

ارتبك (مالوس) ، وهو يقول :

ـ لم تكن لها قيمة .

هتف (بيكاس) :

ـ بل لم يكن لها وجود .

ثم اعتدل ، ورفع ذراعه بحركة مسرحية ، وهو يستطرد :

ـ انظروا الآن إلى الحقيقة أيها الزملاء .. لو أن هذه التسجيلات موجودة ، فسأعترف بما يحاول الزميل (مالوس) تلفيقه لى ، من تهم بشعة ، على أن يعترف هو أيضًا بتهمة التجسّس على أحد أعضاء مجلس الحكم ، وإلا فسينفى كلانا التهمة المنسوبة إليه .. هذا هو قولى الأخير .

سرت همهمة أخرى فى القاعة ، وصاح (مالوس) :

ـ مولاى .. إنك لن تخاطر بمستقبل (أطلانطس) ، كله من أجل نقاط تافهة كهذه .

هتف (بيكاس) :

ـ هذه النقاط التافهة ، هي دستور (أطلانطس) العظيم .

ساد الهرج والمرج داخل القاعة ، حتى صاح (كوراك) في صرامة :

ـ كفى .

عاد الصمت إلى القاعة دفعة واحدة ، وتطلع الجميع إلى الملك ، الذي رفع صولجانه ، وقال في حسم :

ـ لا أحد يمكنه مخالفة قانون ودستور (أطلانطس) العظيم .. ولكن لا أحد يمكنه أيضًا المجازفة بتاريخ وحضارة (أطلانطس) ؛ لذا فسنرسل الفيلم الهولوجرافي إلى الخبراء ، لتحديد حقيقته من زيفه ، وحتى ذلك الحين ، سيتم التحفظ على الزميلين (مالوس) و (بيكاس) في منزليهما .. أما بالنسبة لتجربة القنبلة (الأيونوبروتينية) ، فستتم في موعدها المحدود من قبل ، بعد ثلث الساعة من الآن ، وسيتم مع انفجارها تنفيذ حكم الإعدام في الجاسوس .

وهوى قلب (بيكاس) بين قدميه ..

إن هذا الحكم نهاية (نور) ..

ونهاية (أطلانطس) كلها ..

★ ★ ★

ضغطت (مشيرة) فرامل سيارتها ، بكل ما تملك من قوة ، وقفزت منها في لهفة ، وانطلقت تعدو نحو شاطئ النيل ، هاتفة :

ـ (أكرم) .. حمدًا لله .. حمدًا لله على سلامتك .

كادت تلقي نفسها بين ذراعيه ، على الرغم من ثيابه المبتلة ، لولا رجال الأمن الذين يحيطون به ، أما هو ، فقد ابتسم في أسى ، وهو يقول :

ـ لقد نجوت ، وفشلت يا عزيزتي .

هتفت به ، وهي تلتقط يده بأصابعها في حنان :

ـ المهم أنك نجوت ، ثم إن (جيمس) هذا لم يذهب بعيدًا .. لقد هبط في حديقة السفارة البريطانية .

سألها في لهفة :

ـ وهل أمسكوا به ؟

هزت رأسها نفيًا ، وهي تقول :

ـ لا يمكننا اقتحام السفارة يا (أكرم) .. هذا ضد القانون .

لوّح بذراعه في غضب ، وهو يهتف :

ـ أي قانون ؟.. هذا الوغد يحتجز ابنة (نور) و (سلوى) ، وهي في أدق مرحلة من حياتها ، كما شرحت لي ، فأي قانون هذا ، الذي يجبرنا على التخلّي عنها ، من أجل راحته ؟!

قالت فى ضيق ، وهى تحاول تهدئته :

ـ القانون هو القانون يا (أكرم) .

صاح فى حدة :

ـ فليذهب القانون إلى الجحيم ، لو أنه لا يمنحنا حقوقنا .

قالت فى خفوت :

ـ ولكن القانون دائمًا يمنحنا حقوقنا يا (أكرم) ، حتى لو تصوّرنا عكس هذا ، فنحن نحترم حق السفارة البريطانية فى أرضها داخل (مصر) ؛ لأننا بهذا نضمن احترام حق سيادة سفارتنا على أرضها ، فى قلب بريطانيا .. هكذا القانون .

انعقد حاجباه فى غضب ، وهو يقول :

ـ هل يمكنك إقناع (نور) و (سلوى) بهذا ، لو أنهما فقدا ابنتهما الوحيدة ؟

صمتت فى ارتباك ، فاعتدل قائلًا :

ـ حسن .. لن نتشاجر نحن ، ونترك هذا الوغد حرًا .. دعينا نذهب إلى حيث السفارة البريطانية ، ولنقرّر هناك ما ينبغى أن نفعله ..

قالها دون أن يشير إلى أنه فى الواقع قد اتخذ قراره .. وبلا رجعة ..

* * *

كاد مدير المخابرات البريطانى ينفجر غيظًا ، وهو يصرخ فى (جيمس) ، عبر أسلاك هاتف الفيديو :

ـ ماذا فعلت أيها الأخرق ؟!.. أى جنون هذا ؟.. إنك تقتل الجميع بلا تمييز .. مواطنينا ومواطنيهم .. أية حماقة دفعتك إلى ما تفعل ؟.. أنه العملية على الفور يا (جيمس برادلى) ، وإلا أصدرت أمرًا بعزلك .

هتف (جيمس) :

ـ مستحيل يا سيدى !.. نجاحنا فى هذه العملية يعنى استردادنا لموقع الصدارة ، الذى فقدناه بعد الحرب العالمية الثانية ، فى القرن الماضى .. لايمكننا التنازل عنها أبدًا .

حدّق مدير المخابرات فى وجهه ، الذى يبدو على شاشة هاتف الفيديو ، وغمغم ذاهلًا :

ـ أنت مجنون .. مجنون حتمًا .

أجابه (جيمس) فى حماس :

ـ على العكس يا سيدى .. اسمعنى جيدًا .. ألم تقل لى .. إن هذا العقار قد يعيدنا إلى مصاف الدول العظمى ؟.. لماذا تتخلى عنه الآن إذن ؟.. لقد حدث ما حدث ، وثارت ثورة المصريين ، ولكنهم لايملكون فعل شىء .. إننى أسيطر على الموقف تمامًا .. صدقنى يا سيدى .


كاد مدير المخابرات البريطانى ينفجر غيظًا ، وهو يصرخ فى (جيمس) ، عبر أسلاك هاتف الفيديو :

هتف الرجل ، وهو يضرب كفًا بكف :

ـ أى موقف هذا الذى تسيطر عليه يا (جيمس) ؟.. إنهم يحاصرونك .. ألم تلق نظرة واحدة حولك ؟!.. ألم تراقب شاشة واحدة من شاشات الرصد ؟!..

إنهم هم الذين يسيطرون على الموقف لا أنت .

ابتسم (جيمس) فى سخرية ، وقال :

ـ أعلم أنهم يحاصرون السفارة ، وأنا أراقبهم فى ضجر ، على شاشات المراقبة ، ولكن كل هذا لايثير فى نفسى سوى الضحك .. إنها مجرد إجراءات أمن يا سيدى ، ولكنهم لا يملكون شيئًا .

ثم التقط مسماع أجهزة التكبير الصوتى الخارجية ، مستطردًا :

ـ وسترى بنفسك ما أعنيه .

واكتسب صوته فجأة صرامة عجيبة ، وهو يقول :

ـ إلى القوات المصرية ، التى تحاصر السفارة .. أريد أن تنصرفوا فورًا .. أريد المكان خاليًا ، بعد خمس دقائق على الأكثر ، فوجودكم يجعلنى عصبيًا ، وأنا أصبح شديد الخطورة ، عندما تنتابنى هذه العصبية .. وبالمناسبة ، لقد أوصلت أسطوانة التجميد ، التى تحوى جسد طفلتكم المعجزة ، بقنبلة شديدة التدمير ، ستنفجر

بمجرّد الضغط على زرّ جهاز تحكم عن بعد ، لا يفارق حزامى ، ولو نفد صبرى ، سأضغط زر جهاز التحكم عن بعد ، بعد خمس دقائق من الآن ، لو لم يتمّ إخلاء المنطقة فورًا .

بدا التوتر ، على وجوه قوات الحصار ، واتصل قائدهم بوزير الدفاع مباشرة ، وقال فى عصبية :

ـ ماذا نفعل الآن يا سيّدى ؟.. هل نصرّ على البقاء ؟

أجابه الوزير :

ـ بل انصرفوا على الفور ، واكتفوا بالمراقبة من بعيد .

انعقد حاجبا القائد ، وهو يقول :

ـ ننصرف ؟!.. هل سنسمح لهذا الوغد الحقير بالسيطرة على ...؟

قاطعه وزير الدفاع فى حدة :

ـ لا تناقش الأوامر .. نفذ على الفور .

ازداد انعقاد حاجبى القائد ، وهو يغمغم :

ـ كما تأمر يا سيادة الوزير .

وأنهى الاتصال ، ثم رفع ذراعه ، هاتفًا :

ـ هيّا .. سننسحب حالًا .

برقت عينا (جيمس) فى ظفر ، وهو يراقب خطوات الانسحاب ، على شاشة الرصد ، وقال :

ـ أرأيت يا سيّدى ؟ إنهم يطيعون أوامرى بلا مناقشة .

قال مدير المخابرات فى سخط :

ـ ما الذى تفعله بالضبط يا (جيمس) ؟.. أهو مجرّد استعراض طفولى للقوة ؟!.. هل نسيت كل ما تعلمته هنا يا رجل ؟!.. إنك تزجّ بنفسك فى دهاليز سياسية ، لا قبل لك بها .. كل ما عليك هو أن تؤدى ما تؤمر به فحسب .. لقد بدأت هذه العملية لتنفيذ هدف سياسى ، وتم إلغاؤها للسبب نفسه ، فلا تناقش ، ونفذ الأوامر فحسب .

انتفض جسد (جيمس) فى عنف ، وهو يقول :

ـ محال يا سيّدى .. لقد نفذت العملية ، ولن أتراجع الآن .. ثم إن استسلامى الآن يعنى مقتلى ، على أيدى المصريين .. أما لو كنتم ترفضون الحصول على مكاسب العملية ، فسأسلم كل ما لدى للأمريكيين ، ولكننى لن أتراجع قط .

بُهت مدير المخابرات البريطانى ، وراح يحدّق فى صورة (جيمس) ، المرتسمة على شاشة هاتف الفيديو ، فى ذهول ..

لقد جنّ الرجل حتمًا ..

ذهب عقله لسبب ما ..

لم يعد يملك حتى القدرة على التفكير السليم ..

ولنصف دقيقة كاملة ، حدق مدير المخابرات فى وجه (جيمس) ، الذى لم يلبث أن قال فى صرامة :

ـ ما قولك يا سيدى ؟

لم يكن من الممكن بعد هذا أن يتعامل معه المدير على نحو طبيعى ..

من المحتم أن يتعامل معه كمجنون ..

مجنون بالغ الخطورة ..

وفى توتر ، زفر مدير المخابرات البريطانى ، وحاول أن يتظاهر بهدوء الأعصاب ، وهو يقول :

ـ أنت على حق يا (جيمس) .. لا ينبغى أن نتراجع قط .

تهللت أسارير (جيمس) ، وهتف ظافرًا :

ـ أرأيت ؟

استدرك المدير فى سرعة :

ـ ولكن يا للخسارة !.. أنت تقول إنك قد فقدت ذلك العقار ، عندما ألقاه المصرى من الحوامة .

أجاب (جيمس) فى حرارة :

ـ بل نحن نمتلك عينة رائعة من العقار يا سيدى .

سأله الرجل فى دهشة :

ـ وأين هى ؟

برقت عينا (جيمس) ، فى جنون حقيقى ، وهو يقول :

ـ سنستخلصها من بعض الدماء .

واشتد بريق عينيه ، وهو يضيف :

ـ دماء ابنة (نور) .

وانتفض جسد مدير المخابرات البريطانى هلعًا .

★ ★ ★



٧ ـ القنبــــلة ..

استعاد (نور) وعيه تدريجيًا فى بطء ، وتمتم متهالكًا :

ـ أين أنا ؟!.. ماذا حدث ؟

ـ أتاه صوت معدنى ، يقول :

ـ استيقظ الأسير ، وبدأ العد التنازلى .

انفتحت عينا (نور) عن آخرهما ، مع سماعه هذه العبارة ، وراح يحدّق فيما حوله ، فى دهشة بالغة ..

كان ممددًا فوق منضدة مصنوعة من ذلك المخمل الرخامى العجيب ، وقد قيدت أطرافه إليها بقيود إليكترونية خاصة ، واستقرّت المنضدة كلها فوق شىء أشبه بالطوف ، من قطعة واحدة مربعة ، يبلغ طول ضلعها ثلاثة أمتار ، وأمامه كرة كبيرة ، مثبتة من قاعدتها بالطوف ، وتتوسطها شاشة تليفزيونية ، تتراص فوقها أرقام العد التنازلى ، بدءًا من رقم مائة ، والطوف كله يسبح فوق مياه المحيط ..

وهتف (نور) :

ـ يا إلهى !.. إنه موضع التفجير .

تراقصت صورة الأعداد التنازلية على الشاشة ، ثم تلاشت ، وظهرت بدلًا منها صورة (مالوس) ، وهو يجلس فوق مقعد وثير ، ويبتسم فى شماتة ، قائلًا :

ـ مرحبًا يا رجل المستقبل .. طريف منك أن استعدت وعيك .. لقد عملت على أن يحدث هذا ، فى نفس اللحظة التى يبدأ فيها العد التنازلى ، فأنت الآن ترقد فوق عوّامة المراقبة ، التى ستسجِّل تأثيرات انفجار القنبلة ، ولقد بدأ العد التنازلى بالفعل ، وأمامك عشر دقائق ، ثم تنفجر القنبلة ، على عمق ثلاثة كيلومترات ، تحتك مباشرة .. إنها أقوى قنبلة عرفها الكون يا رجل المستقبل ، إلا لو كنتم قد عرفتم فى مستقبلك المزعوم أخرى ، تضاهيها أو تفوقها قوة .. وقوتها هذه تعنى أنه لا أمل لك بالنجاة قط .. ولا داعى للمحاولة ، فبدء العد التنازلى يعنى أن فتيل القنبلة قد اشتعل بالفعل ، ومن المستحيل منع الانفجار .

ثم اعتدل على مقعده ، وقال :

ـ باختصار .. لقد انتهيت يا رجل المستقبل .

اهتزّت الصورة قليلًا ، وتصوّر (نور) أن (مالوس) ينهى الاتصال ، فصاح بكل قوته :

ـ اذهب إلى الجحيم .

ولكن الشاشة انقسمت فجأة إلى قسمين متساويين ، وانعقد حاجبا (مالوس) فى قسم منهما ، فى حين ظهرت صورة (بيكاس) فى النصف الآخر ، وهو يقول فى أسى :

ـ معذرة يا ولدى .. قلبى يتمزّق أسى من أجلك ، وأتمنى لو أبذل حياتى فى سبيل إنقاذك ، ولكننى لم أعد أملك هذا .. إننى سجين فى حجرتى ، بأمر (كوراك) ، ومتهم بخيانة (أطلانطس) .

هتف (نور) :

ـ هذا الحقير (مالوس) ، هو الخائن الحقيقى .. إنه يضحى بتاريخ (أطلانطس) كله ، فى سبيل الانتصار فى معركة علمية .. ولكنك ستخسر يا (مالوس) .. ستخسر كل معاركك العلمية .. بل ستخسر حياتك كلها .

أطلق (مالوس) ضحكة عصبية ساخرة ، وقال :

ـ هل تتصوّر هذا ؟!.. أنا أيضًا سجين فى حجرتى ، ولكننى لست عاجزًا مثل (بيكاس) المسكين .. إننى أفعل ما يحلو لى .

هتف (نور) فى حدة :

ـ افعل كل شىء بسرعة إذن ، فلم يتبق فى عمرك ، أو فى عمر (أطلانطس) كلها ، أكثر من هذه الدقائق العشر .

رفع (مالوس) سبابته أمام وجهه ، وقال فى سخرية :

ـ سبع يا فتى .. لقد تحدثنا طويلًا .. أليس كذلك ؟

قال (بيكاس) فى حدة :

ـ لاتستسلم لاحتياطاته يا ولدى .. حاول أن تفعل أى شىء .. أى شىء لتنجو من هذا الجحيم ..

ولكن ماذا يفعل (نور) ؟..

لقد خسر كل شىء ..

خسر معركته ..

وزمنه ..

وعائلته ..

العقار الذى حقنه به الدكتور (حاتم) اختار أسوأ لحظة ، ليبدأ مفعوله العكسى ..

وها هو ذا الآن مجرّد شخص عاجز ، مقيّد وسط المحيط ، لا يملك أملًا واحدًا فى النجاة ..

فيما عدا (س ـ ١٨) ..

قفزت الفكرة إلى ذهنه بغتة ، فصاح دون تفكير :

ـ (س ـ ١٨) .

خفض (بيكاس) عينيه فى أسى ، فى حين أطلق (مالوس) ضحكة عالية مجلجلة ، وقال فى سخرية شامتة :

ـ من الواضح أنك لاتدرك ما أصاب (س ـ ١٨) ، يا رجل المستقبل المزعوم .. إننا نحن صنعنا (س ـ ١٨) ،

ونحن وحدنا نمتلك القدرة على إتلافه .. إن (س-١٨) لم يعد يذكر حتى من أنت .. كل ذاكرته الخاصة بك محوناها عن آخرها .

صاح (نور) :

- مناورة حقيرة .

قهقه (مالوس) مرة أخرى ، وقال :

- هكذا .. استنجد به إذن .. سأوصلك به مباشرة .. هيًا .

اختفت صورة (مالوس) فجأة عن الشاشة ، وظهرت صورة (س-١٨) ، وهو يقف ساكنًا كتمثال من المعدن ، وسط عدد من الآلات الأخرى ، فصاح (نور) :

- النجدة يا (س-١٨) .. أنا فى خطر .. النجدة .

اختفت صورة (س-١٨) ، وعادت صورة (مالوس) للظهور ، وهو يقول :

- اطمئن .. لقد رآك وسمعك ، ولكنه لن يستجيب لك .. لقد انتهيت تمامًا بالنسبة إليه لم يعد لك وجود .

وهنا فقط ، فقد (نور) آخر أمل فى النجاة ..

بل الأمل قبل الأخير .

فهناك أمل لايفارق القلوب قط ، مهما تصاعدت الأهوال والخطوب .

الأمل فى الحى القيوم ، الذى لا تأخذه سنة ولا نوم ..

فى الله (سبحانه وتعالى) ..

ولم يخذله العلى القدير ..

لقد برز الأمل فجأة فى الأفق ، وهو ينطلق نحو (نور) ..

وكان هذا الأمل فى هيئة شخص آلى ..

شخص يدعى (س-١٨) ..

★ ★ ★

اعتدل أحد رجال المراقبة فى حركة حادة ، وهو يحدق فى شاشة الرصد الخاصة به ، والتى تراقب جزءًا بعينه من السفارة البريطانية فى (القاهرة) ، وهتف فى توتر وانفعال مباغتين :

- سيدى القائد .

هرع إليه القائد بخطوات سريعة ، هاتفًا :

- هل من جديد ؟

أشار الرجل إلى شاشة المراقبة ، وقال :

- انظر .. هناك .. بين شجرتى المانجو .. هناك رجل يتسلل إلى داخل السفارة .

التقى حاجبا القائد ، وهو يحدّق فى المشهد ، قبل أن يتمتم فى انفعال حقيقى :

ـ هذا صحيح .

ثم استطرد فى حرارة :

ـ رباه !.. إنه الرجل نفسه ، الذى انتحل شخصية طيّار الحوّامة .

قال المراقب فى قلق :

ـ هل ننذره ، ونطالبه بالعودة من حيث أتى ؟

هتف به القائد فى خشونة :

ـ إياك أن تفعل .

وعاد حاجباه يلتقيان ، قبل أن يستطرد :

ـ سنتظاهر بأننا لم نلحظ ما فعل ، ونمنحه فرصة للقيام بما تمنعنا الأوامر من القيام به .

وألقى نظرة ثانية على الشاشة ، ثم تابع :

ـ المهم ألا يكون ذلك الوغد البريطانى قد انتبه إليه .

والعجيب أن (جيمس) لم يكن قد انتبه إلى هذا بالفعل ..

لقد كان ، فى هذه اللحظة بالذات ، يلوّح بأحد مدفعى الأشعة فى وجه طبيب السفارة ، وهو يقول فى برود :

ـ هذه الأوامر ليست للمناقشة أيها الطبيب .. إنها للتنفيذ فحسب .

جفف الطبيب جبهته ، بحركة لا إرادية ، وهو يقول :

ـ ولكنها جريمة قتل يا مستر (جيمس) ، فالحصول على عينة من دم الطفلة ، يحتم إيقاف عمل أجهزة التجميد ، وهذا يعنى أن الفتاة ستعانى من صدمة رجعية ، ستتطوّر حتمًا إلى صدمة غير رجعية ، مع الانخفاض التدريجى غير المدروس لدرجات الحرارة ، وسيؤدى هذا إلى موتها .

لم تبد لمحة واحدة من التأثر ، على وجه (جيمس) ، وهو يقول :

ـ عظيم .. فى هذه الحالة يمكننا أخذ دمها كله ، وعينات من أنسجتها أيضًا .

ارتجف الطبيب ، وتطلّع إلى السفير مستنجدًا ، فتنحنح هذا الأخير ، وقال :

ـ من الخطأ أن تفعل هذا يا (جيمس) .

ابتسم (جيمس) فى سخرية ، وقال :

ـ هكذا ؟!

ازدرد السفير لعابه ، وقال :

ـ نعم .. هكذا .. وهذا لصالحك ، فهذه الفتاة هى الورقة الوحيدة ، التى تمنعهم من مهاجمتك ونسفك ، ولو شعروا أنك تهدّد حياتها ، أو علموا أنك قتلتها ، فلن يترددوا لحظة واحدة فى سحقك سحقًا .

صرخ (جيمس) فى ثورة :
ـ لا أحد يسحق (جيمس برادلى) .
انتفض السفير على مقعده ، وتراجع هاتفًا :
ـ لم أقصد هذا المعنى بالضبط ، ولكن ..
قاطعه (جيمس) بهدوء مفاجئ عجيب :
ـ ولكنك على حق إلى حد ما .
بدا الارتياح على وجهى الطبيب والسفير ، ولكن (جيمس) استطرد فى حماس :
ـ لا ينبغى أن يشعروا بما نفعله إذن .
اتسعت عينا الطبيب فى ذعر ، فى حين هتف السفير :
ـ ماذا تعنى ؟.. هل سنخدعهم ؟
ابتسم (جيمس) ، قائلًا :
ـ بالطبع .. إنه سمة عملنا .
صاح السفير :
ـ كيف ؟!.. الأسطوانة داخل الحوّامة ، متصلة بأجهزة التجميد والتبريد ، فكيف نخدعهم ، وهى تحت أبصارهم .
برقت عينا (جيمس) ، وهو يقول :
ـ ننقلها إلى هنا .

قال السفير فى عصبية :
ـ ليست لدينا الوسائل المناسبة لهذا .
هزّ كتفيه ، قائلًا :
ـ سنتظاهر بالعكس .
سأله الرجل فى حدة :
ـ كيف ؟!
أطلق (جيمس) ضحكة جنونية ، وقال :
ـ سنحضر بعض الأنابيب ، والخراطيم ، وبعض العدادات ، ونصل كل هذا بأى جهاز لدينا ، ثم ندفعه داخل الحوّامة ، ونتظاهر بنقل الطفلة إلى هنا بأسلوب علمى .
ثم تراجع ، وألصق ظهره بمقعده ، وهو يتابع فى برود مباغت :
ـ بعض الخيال يا سيّدى السفير .. كل ما نفتقر إليه هو بعض الخيال .
قالها ، ثم ابتسم ابتسامة واسعة ..
وارتجف السفير والطبيب ..
لقد بدت لهما تلك الابتسامة بعيدة كل البعد عن ابتسامات البشر ..
كانت ابتسامة شيطانية ..
شيطانية بحق ..

* * *

عندما أوقف (س-١٨) كل أجهزته عن العمل ، ليمنح علماء (أطلانطس) فرصة فحصه ، كان من الطبيعى ، طبقًا لبرنامجه ، ألا يوقف أجهزة الاستماع والتسجيل والرصد ..

لذا فقد ظلّ (س-١٨) يرصد ويسجّل كل ما حوله ، طوال الوقت ..

حتى جاء (مالوس) ..

وعلى الرغم من أن برنامج (س-١٨) لايتضمّن وسائل الخداع ، والدسائس ، والمؤامرات ، إلا أنه أدرك - بتحليل بسيط - أن هؤلاء العلماء يريدون محو ذاكرته ، ليمنعوه من إنقاذ ونجدة سيّده الحالى ..

الرائد (نور الدين محمود) ..

وعلى الفور ، بدأ (س-١٨) فى إعداد برنامجه الدفاعى ..

وبسرعة تفوق إدراك البشر ، فتح (س-١٨) ذاكرته الاحتياطية ، وراح ينقل إليها كل ما تختزنه الذاكرة الأساسية ..

وفى دقائق معدودة ، كانت ذاكرة (س-١٨) قد أصبحت آمنة ، بعد أن منع اختراقها بكود سرى خاص ، من تسعة أرقام ، صنعه عشوائيًا ..

وبعدها استسلم (س-١٨) للعلماء ..

تركهم يمحون كل ما يريدون ، من الذاكرة الأساسية ، حتى أعلنت أجهزتهم خلو ذاكرته تمامًا ..

وبقى (س-١٨) ساكنًا ..

لم يكن هناك ما يدعوه إلى الحركة ، فلزم الصمت والسكون تمامًا ..

حتى سمع استغاثة (نور) ..

لقد رأى صورة (نور) تظهر فجأة ، على إحدى شاشات المراقبة ، وسمع صوته يستنجد به ..

وهنا تحرّك (س-١٨) ..

فوجئ به العلماء يعتدل ، ويقول عبارته الوحيدة :

- (س-١٨) فى خدمتك ياسيّدى ..

ثم انطلق ..

وساد الهرج والمرج وسط العلماء ، الذين يجهلون تمامًا ما حدث ..

وفى دقائق معدودة ، كان (س-١٨) قد بلغ موضع (نور) ..

وصرخ (نور) فى سعادة :

- (س-١٨) .. كنت أعلم أنك ستأتى .. كنت واثقًا من هذا .

وبفرحة غامرة ، هتف (بيكاس) :
- لقد أتى .. إنها معجزة .. لقد جاء الآلى لنجدته !
أما (مالوس) ، فقد اتسعت عيناه فى ذهول شديد فى البداية ، ثم صرخ فجأة :
- ابتعد يا (س-١٨) .. أطع أوامرى .. أنا أحد صانعيك .. تراجع يا (س-١٨) .. هذا أمر .
صاح (نور) :
- أنقذنى يا (س-١٨) .. حطم هذه القيود ، وأبعدنى عن هنا .
عاد (مالوس) يصرخ :
- مستحيل !.. إنك ستطيع أوامرى وحدى يا (س-١٨) .. هكذا صنعناك .. إنك تطيع أوامر سادتك أولا .
هبط (س-١٨) فوق الطوف ، ونقل بصره فى برود آلى بين (نور) وصورة (مالوس) ..
كان من الضرورى أن يتخذ قرارًا واحدًا ..
وهو قرار من النوع الثالث ، كما يسميه علماء الفكر البشرى ..
قرار يحتاج اتخاذه إلى دراسته ، وتحديد ، و ... وإرادة ..



هبط (س-١٨) فوق الطوف ، ونقل بصره فى برود آلى بين (نور) وصوره (مالوس) .. كان من الضرورى أن يتخذ قرارًا واحدًا ..

وانطلقت آلات (س-١٨) تعمل بكل طاقاتها ، لاتخاذ القرار ..

إنه مبرمج بالفعل ليطيع سادته فى الدرجة الأولى ..

ولكن ذاكرته تقول : إن (نور) أحد سادته ..

بل هو أطولهم احتكاكًا به ..

وهكذا لم يكن اتخاذ القرار عسيرًا .

لقد استدار (س-١٨) نحو (نور) ، وأطلق من عينيه شعاعى ليزر ، حطما قيوده على دفعتين ، ثم حمله ، و (مالوس) يصرخ :

- لن تنجح يا رجل المستقبل .. ستنفجر القنبلة بعد ثلاث دقائق فحسب .. لن تنجح .

ولكن (نور) صاح فى (س-١٨) :

- (س-١٨) .. ابتعد بنا بأقصى سرعة .. إنطلق إلى منزل (بيكاس) ، فى الطابق الثالث ، من مبنى الحكماء .. لابد أن نصل إليه قبل مرور ثلاث دقائق .

توقف (س-١٨) جامدًا لحظة ، ثم أطلق من صدره تلك الكرة الشفافة ، التى تضخمت بسرعة ، وأحاطت بجسد (نور) ..

وفى لحظة واحدة ، وجد (نور) نفسه يطير فى الهواء ، بين ذراعى (س-١٨) .

وكان من الواضح أن (س-١٨) ينطلق بسرعة مذهلة ..

سرعة كان بإمكانها تمزيق (نور) إربًا ، ولولا تلك الكرة الشفافة ، التى أحاطته بها .

أما (مالوس) ، فقد صُعِق فى البداية ، وراح يردد :

- مستحيل !.. لن ينجح (بيكاس) أبدًا .. لن يهزمني .

ثم انقضّ على هاتفه المستدير الخاص ، وضغط أحد أزراره ، وصاح :

- مولاى .. النجدة يا مولاى .. لقد أنقذ (بيكاس) الدخيل ، وسيستخدمان ذلك الجهاز ، فى منزل (بيكاس) ، لتدمير (أطلانطس) كلها .. أسرع يا مولاى .. تجاوز كل القوانين ، من أجل (أطلانطس) .

صُعِق الملك بالقول ، وبذلك الأسلوب الذى يتحدث به (مالوس) ، فهتف :

- أى قول هذا يا (مالوس) ؟.. أأنت واثق من ....

قاطعه (مالوس) ، وهو يكاد يبكى :

- تمام الثقة يا مولاى .. أسرع يا مولاى .. أسرع .

أنهى الملك اتصاله مع (مالوس) ، ثم ضغط بعض الأزرار فى حجرته ، فظهرت على الشاشة صورة لمنزل (بيكاس) ، وانعقد حاجباه فى شدة ، عندما رأى هذا الأخير يعالج آلة الزمن فى سرعة ولهفة وتوتر ، وهتف :

ـ إذن فـ (مالوس) محق فى شكوكه .
ثم أمسك جهاز اتصاله الخاص ، وصاح :
ـ إلى طاقم الحرس الملكى .. اقتحموا منزل (بيكاس) على الفور ، ودمروا جهازه الجديد ، مهما كان الثمن .. أكرر .. مهما كان الثمن .
وازداد الموقف تعقيدا .

* * *



٨ ـ فى مجرى الزمن ..

« مستحيل !.. » .
هتف السفير البريطانى بالكلمة فى حدة ، فأدار (جيمس) عينيه إليه فى غضب ، وقال فى شراسة :
ـ ما هو المستحيل ؟
أجابه السفير فى حدة :
ـ كل ما تقوله مستحيل !.. إنك تبدو لى كرجل لم يعمل لحظة واحدة ، فى جهاز مخابراتنا ، حتى أننى أكاد أشك فى أنك لست (جيمس برادلى) الحقيقى ، بل مجرد عميل ، يسعى لتحطيم علاقتنا بـ (مصر) تماما .
قال (جيمس) فى حدة :
ـ ومن يبالى بـ (مصر) وعلاقاتها ؟.. والذى لم يؤمن أبدا بقدرة المصريين ، على صنع حضارة حديثة .
قال السفير :
ـ ولكنهم صنعوها .
صرخ (جيمس) :
ـ هراء .. كل هذا مجرد هراء .. إنها مجرد صدفة .. ضربة حظ .. المصريون لا يصلحون لصنع حضارات .

هتف به السفير :
ـ ليست هذه هى القضية الآن .

ضرب (جيمس) مسند مقعده بقبضته فى قوة ، وهو يصرخ :

ـ بل هى القضية .. قضيتنا الأولى والأخيرة ، التى لن نتخلى عنها أبدًا .. لن نسمح لهؤلاء المصريين بالتفوّق علينا .

صاح به السفير فى غضب :

ـ أى قول هذا ؟!.. إنها سنة الحياة .. لقد كنا يومًا أعظم أمة ، ودامت حروبنا مع الفرنسيين دهرًا ، ثم أتى الأمريكيون والسوفيت ، وانتزعوا منا الصدارة ، كما انتزعناها نحن من قبل من الفرس والروم ، وهم انتزعوها بدورهم من المصريين والآشوريين .. وهكذا دواليك .. والآن عاد الزمن إلى دورته الأولى ، وتسلّم المصريون الريادة .. دعنا نستسلم لهذا ، ونسعى للتفوّق بطرق أخرى ، لا بأسلوب حرب العصابات هذا .

صرخ (جيمس) :

إذن فأنت لاتؤمن بالتفوّق البريطانى .

صاح السفير :

ـ ليس فى هذا العصر .

صاح (جيمس) ، وهو يدير مدفعه نحوه :

ـ أنت لاتستحق جنسيتك إذن .

صرخ السفير :

ـ لا .. لا تفعلها .

ولكن (جيمس) ضغط زناد البندقية فى غضب .. وانطلقت الأشعة القاتلة ..

انطلقت لتخترق جسد السفير مرات ومرات ، حتى جحظت عينا الرجل ، وارتجفت قدماه ، وهوى دفعة واحدة جثة هامدة ..

أما الطبيب ، فقد أطلق صرخة فزع ، وتراجع فى هلع ، وراح يلوّح بذراعيه فى ذعر هائل ، ويصرخ :

ـ لا .. ليس أنا .. أنا أؤمن بالتفوق البريطانى .. أؤمن به من أعماق قلبى .

أدار (جيمس) فوهة مدفعه إليه ، وصاح :

ـ ستحصل على عينة الدم .

صاح الطبيب ، وهو يكاد يبكى رعبًا :

ـ سأفعل .. أقسم إننى سأفعل .. سأحصل على عينة من دم الطفلة بل على دمها كله ، ولكن لاتقتلنى .. أرجوك .

انبعث من مدخل الحجرة فجأة صوت غاضب ، يقول :

- ومن سيسمح لك ؟

استدار (جيمس) بمدفعه بسرعة ، نحو مصدر الصوت ، وأطلق الأشعة القاتلة ..

أطلقها نحو (أكرم) ..

ولكن (أكرم) انحنى فى سرعة ورشاقة ، وترك الأشعة تعبر فوقه ، ثم وثب بكل قوته نحو (جيمس) ، صائحًا :

- كفاك سفكًا للدماء أيها الوغد .

حاول (جيمس) أن يطلق عليه الأشعة مرة أخرى ، ولكن (أكرم) بلغه بقفزته الرائعة ، وركل المدفع من يده ، ثم ركل المدفع الآخر بقدمه الأخرى ، وهو يقول :

- هيا أيها الوغد .. قاتل كالرجال .. رجل لرجل .

قفز (جيمس) واقفًا على قدميه ، وهو يقول :

- هكذا ؟!.. فليكن إذن أيها المصرى .. ستندم أشدّ الندم على قولك هذا ، وأنت تلملم بقايا أسنانك ، الممتزجة بدمك ولحمك المفرى .

قالها وهوى بلكمة ساحقة على وجه (أكرم) ، الذى تفادى اللكمة فى مهارة ، وسدّد إليه لكمة فى معدته ، وهو يقول :

- هيًا .. قل ما يحلو لك ، فعندما أنتهى منك ، لن تجد القوة اللازمة حتى لتجمع أشلاءك .

انثنى (جيمس) مع قوة اللكمة ، فأعقبها (أكرم) بأخرى فى فكه ، هاتفًا :

- وهذه عينة مناسبة .

ولكن (جيمس) احتمل اللكمة فى ثبات ، وانقضّ على (أكرم) ، ولكمه مرتين متتاليتين فى أنفه وفكه ، ثم وثب عاليًا ، ودار حول نفسه فى الهواء ، وركله فى وجهه ، وهو يقول فى عصبية ساخرة :

- ما رأيك أنت فى هذه العينة ؟

ارتطم (أكرم) بالحائط ، ثم ارتدّ عنه فى عنف ، فاستقبله (جيمس) بركلة أخرى أشدّ عنفًا ، هاتفًا :

- أم أنك تفضّل الطرازات الخاصة ؟

تراجع (أكرم) فى ألم ، ثم انقضّ على (جيمس) ، ولكمه فى أنفه ، ولكن (جيمس) تفادى هذه الضربة ، كما يفعل أى محترف ، وقفز يركل (أكرم) فى وجهه مرة ثالثة ، ورابعة ، وخامسة ..

سيل من الركلات ، انهال على وجه (أكرم) ، وضرب جسده بالحائط مرات ومرات ..

وقاوم (أكرم) ..

قاوم واحتمل ، أكثر مما يحتمل أى رجل آخر ..

كان (جيمس) يفوقه مهارة بكثير ، بحكم خبرته ، وعمله فى واحد من أجهزة المخابرات القوية المعروفة ..

كما أنه كان يقاتل على نحو منتظم ..

على عكس (أكرم) ..

صحيح أنه مقاتل عنيد ، شجاع ، صلب ، صنديد .. إلا أنه همجى ..

إنه يقاتل دون قواعد أو قوانين معروفة ..

وهذا هو الخطأ ..

لقد سقط (أكرم) ..

سقط أمام ضربات (جيمس) القوية ، العنيفة ، المتصلة ، التى تنتقى أبرز وأهم مواطن الضعف ، فى التكوين والتشريح البشرى ..

سقط على الرغم من قوة احتماله المعهود ..

أما الطبيب ، فقد التصق بالحائط فى هلع وذعر لا مثيل لهما ، وهو يراقب ما يحدث بعينين زائغتين ، سلبهما الذعر معظم معالمهما البشرية ..

واعتدل (جيمس) فى ظفر ، بعد أن سقط (أكرم) ، وقال فى وحشية :

ـ ماذا تستحق سوى القتل !

قالها واتجه فى هدوء نحو المكتب ، والتقط أحد المدفعين الإشعاعيين ، وهم بإطلاق النار على (أكرم) ..

وفجأة تعلق بصره بأحد شاشات المراقبة ..

تلك الشاشة التى تنقل صورة نفس المنطقة ، التى تسلل منها (أكرم) ..

وانعقد حاجبا (جيمس) فى غضب هادر ..

لقد نقلت إليه الشاشة صورة فريق من الفرق المصرية الانتحارية ، يتسلل إلى حديقة السفارة ، فى محاولة لتطويقه ..

وبكل الثورة فى أعماقه ، صرخ (جيمس) فى جنون :

ـ خيانة .. المصريون يهاجمون .

ثم انطلق نحو ركن الحجرة ، حيث وضع جهاز التحكم عن بعد ، وهو يواصل :

ـ ولكنهم سيدفعون الثمن .. سيدفعونه من دمائهم .

والتقط جهاز التحكم عن بعد ..

وتحدد مصير (نشوى) ..

مصيرها المحتوم ..

★ ★ ★

قبل مرور دقيقتين ، كان (س ـ ١٨) قد عبر مساحة هائلة من المحيط الأطلنطى ، وبلغ مبنى الحكماء ، ثم اقتحم نافذة منزل (بيكاس) ، وهو يحمل (نور) ، داخل تلك الكرة الشفافة ، التى ذابت وتلاشت فور وصولهما ..

وفى لهفة ، استقبلهما (بيكاس) ، وهو يهتف :

- رائع يا (س-١٨) .. أنت تستحق مكافأة على هذا القرار .

قال (نور) فى توتر :

- ولكن القنبلة ستنفجر .

هزّ (بيكاس) رأسه فى أسى ، وقال :

- لقد كنت على حق يا ولدى .. التاريخ لا يتغيّر أبدًا :

ثم استطرد فى انفعال :

- ولكن ربما أمكنك إنقاذ ابنتك .. أسرع يا ولدى .. آلة الزمن مستعدة للعمل .

سأله (نور) ، وهم يتجهون إلى آلة الزمن :

- هل ستصحبنا ؟

هتف (بيكاس) :

- بالطبع .. لن أضيع فرصة كهذه ، فلو نجحت الآلة سأعود إلى الماضى ، وأمنع صنع القنبلة (الأبونوبروتينية) منذ البداية .. ربما أنجح هذه المرة من يدرى ؟

وقف الثلاثة داخل الآلة ، التى احتوتهم بالكاد ، وضغط (بيكاس) بعض الأزرار ، وقال فى توتر ، وهو يناول (نور) جرعة عقار النمو المعدّلة :

- ستبدأ الرحلة بعد عشرين ثانية .. استعدوا .. احرص على هذه ، واستخدمها كما أخبرتك .

ثم هتف فجأة :

- مفكرتى الإليكترونية .. كدت أنساها .

اندفع خارج الآلة ، والتقط مفكرته الإليكترونية ، وهمّ بالعودة إليها ، و ...

وفجأة ، اقتحم الحرس الملكى المكان ..

وصاح (نور) :

- أسرع يا سيّد (بيكاس) .

ولكن رجال الحرس الملكى أطلقوا بنادقهم الإشعاعية ..

وانطلقت الطاقة الصافية ..

وحصرت (بيكاس) ..

والعجيب أنه لم يلق مصرعه مباشرة ، كما يحدث للبشر ، بل تألّق جسده كله ببريق أزرق ، وجحظت عيناه ، ثم هوى أرضًا .

وصرخ (نور) :

- (بيكاس) .

ولكن الرجل لوّح بيده فى تهالك ، وقال :

- الزر الأحمر .. اضغط الزر الأحمر .



ثم هتف فجأة : ــ مفكرتى الإليكترونية .. كدت أنساها : اندفع خارج الآلة ، والتقط مفكرته الإليكترونية ..

ولم يكن هناك وقت للقتال ..

ولهذا اتخذ (نور) قراره بلا تردد ..

وضغط الزر الأحمر ..

وفى اللحظة نفسها أطلق رجال الحرس الملكى أشعتهم نحو الآلة ، وارتفع صوت (مالوس) ، الذى يراقب المشهد ، عبر جهاز المراقبة الخاص به ، وهو يصرخ فى هياج شديد :

ــ امنعوهم .. أوقفوهم .. حطموا هذه الآلة قبل أن تعمل .

أصابت الأشعة أطراف الآلة ، فارتجّت فى قوة ، وترنّحت لحظة ..

ثم أضاء المصباح الأزرق فى أعلاها ..

وهنا انتفضت آلة الزمن فى قوة ، وانبعثت من أطرافها شرارات كهربية عنيفة ، جعلت رجال الحرس الملكى يتراجعون فى ذعر ..

ودوى الانفجار ..

انفجار مكتوم ، اختفت بعده آلة الزمن من المكان تمامًا ..

وهنا ابتسم (بيكاس) ، وتمتم :

ــ لقد نجحت .

ثم لفظ أنفاسه الأخيرة ..

أما (مالوس) ، فراح يصرخ فى جنون :

- لا .. لا يوجد ما يعـرف باسم آلـة الزمـن .. مستحيل .. إننى أنكر هذا تمامًا .. مستحيل .

ومع آخر حروف كلماته ، دوى انفجار آخر ..

انفجار القنبلة (الأيونوبروتينية) ..

انفجرت على عمق ثلاثة كيلومترات ، فى المحيط الأطلنطى ، وعلى مسافة ثلاثمائة كيلـومتـر من (أطلانطس) ، ولكن انفجارها كان رهيبًا ..

لقد ارتجفت (أطلانطس) كلها فى عنف لا مثيل له ، وتراقصت مبانيها فى قوة ، واتسعت عينا الملك فى خوف ، وهو يغمغم :

- تُرى هل ...

لم يتمّ عبارته ، عندما ارتجف عرشه أسفله ، ثم هوى مع جسده أرضًا ..

و (مالوس) تشبّث بإطار نافذة حجرته ، وتطلع بعينين جاحظتين مذعورتين إلى المحيط ، وهو يردّد :

- لا .. مستحيل ! .. مستحيل !

ثم أطلق شهقة ..

شهقة رعب هائلة ..

أطلقها عندما رأى أمامه موجة هائلة ، تندفع نحو (أطلانطس) بسرعة مخيفة ..

موجة لم ير مثلها ، أو يقرأ عنها ، فى حياته كلها ..

موجة يبلغ ارتفاعها ما يزيد على كيلومتر كامل ..

ولثوان ، حجبت عنه تلك الموجة الهائلة العملاقة ضوء الشمس ..

ثم هوت ..

هوت لتكتسح فى طريقها (أطلانطس) كلها ..

واختنقت صرخات الرعب والذعر وسط المياه ..

وجاءت موجة هائلة ثانية ..

وثالثة ..

ورابعة ..

وغاصت (أطلانطس) ..

غرقت بكل علومها وحضارتها فى أعماق المحيط ..

وانتهت أسطورة أخرى ..

* * *

كان انطلاق آلة الزمن عنيفًا ..

لقد سمع (نور) حوله ما يشبه انفجار عشرات القنابل ، وانتفض جسده فى قوة وعنف شديدين ..

ثم هوى جسده ..

هوى فى مجرى الزمن ..

مجرى هائل بلا حدود ، تتألق فيه أضواء بمختلف الألوان ، وتشرق فيه ألف شمس ، وتغرب عنده ألف شمس أخرى ...

ولكن هذه المرة كان السفر عبر الزمن يختلف ..

هكذا شعر (نور) ..

صحيح أنه لم يكن خبيرًا فى هذا المضمار ، ولكنه أدرك أن الأمر ليس على ما يرام ، فى هذه المرة بالذات ..

فى المرة السابقة كان يهوى أيضًا فى مجرى الزمن بعنف ..

ولكن بانتظام ..

أما فى هذه المرة ، فالأمر يبدو عشوائيًا ، وكأنما يتخبَّط فى مجرى الزمن ، من عصر إلى عصر ، ومن جيل إلى جيل ..

ثم هناك ذلك الوميض ..

وميض عجيب ، يظهر ويختفى ، بين حين وآخر ..

وميض لم يكن هناك ، فى المرة السابقة ..

وبكل قوته ، تشبَّث (نور) بقارورة العقار ، وهو يحاول دراسة الأمر فى تعقُّل ، على الرغم من عنف الموقف ..

ربما يختلف السفر ، من المستقبل إلى الماضى ، عنه من الماضى إلى المستقبل !..

أو أن الوسيلة ، التى يستخدمها (بيكاس) ، تختلف عن تلك التى أصابته فى الأعماق السحيقة ، وسط أطلال (أطلانطس) ..

أو ربما أن ..

ولكن فجأة ، انتبه عقله إلى الجواب ..

إنها تلك الأشعة ، التى أصابت آلة الزمن ، قبل رحيلها بلحظة واحدة ..

وفى ارتياع ، هتف (نور) :

ـ إذن فقد أتلفوها .

ثم صرخ مستطردًا :

ـ لقد ضعنا يا (س-١٨) ..ضعنا فى مجرى الزمن .

واستمر جسده يهوى فى ذلك الفراغ الهائل ، بلا حدود ..

وبلا أمل .

* * *



٩ ـ نقطــة الصفــر ..

بدت (سلوى) شديدة التوتر والعصبية ، وهى تراقب محاولة رجال الفرقة الانتحارية المصرية للتسلل ، إلى حديقة السفارة البريطانية ، وقالت :

ـ لست أشعر بالارتياح لهذا الإجراء ، فالرجل مصاب بالجنون ، وقد ينفذ وعيده ، وينسف أسطوانة التجميد .

أجابها قائد المجموعة ، محاولاً إخفاء توتره المماثل :

ـ اطمئنى يا سيدتى .. أول ما سيفعله هؤلاء الرجال ، هو عزل الأسطوانة عن أية مؤثرات خارجية .. سيبذلون حياتهم من أجل ابنتك .. اطمئنى .

ولكن (سلوى) لم تكن تشعر بالاطمئنان أبدًا ..

ولا الدكتور (حاتم) ..

وهذا الأخير بالذات كان يرتجف ، فى كل لحظة تمرّ ، خشية أن تتلف خلايا مخ (نشوى) ، أو يهوى عمرها إلى نقطة الصفر دفعة واحدة ، قبل أن يصل (نور) ..

أما (مشيرة) ، فكان قلبها يختلج بين ضلوعها ، خوفًا وقلقًا على (أكرم) ، ولكنها سألت بروح الصحفية :

ـ ولكن كيف أمكنكم إرسال رجالكم إلى حديقة السفارة ؟!.. ألا يخالف هذا القانون الدولى ، وقواعد التعامل الديبلوماسى المعمول بها ، فى العالم أجمع .

أجابها القائد :

ـ لقد حصلنا على موافقة رئيس وزراء بريطانيا نفسه يا سيدتى .. ويبدو أنهم رأوا فى موافقتهم اعتذارًا مناسبا .

قالت (سلوى) فى عصبية :

ـ ولكنها مخاطرة كبيرة .. من أدراكم أن هذا البريطانى لا يراقبكم الآن ؟

أجابها الرجل ، وهو يسيطر على أعصابه بالكاد :

ـ إنه لم ينتبه إلى تسلل زميلكم ، وهذا دفعنا إلى الاستنتاج بأنه مشغول لسبب ما عن مراقبة شاشات الرصد .. ربما بسبب مشكلات داخلية .. المهم أنه كان من المحتم أن نستغل هذه الثغرة .

ثم انعقد حاجباه فى صرامة ، وهو يستطرد :

ـ ثم إن هذا الرجل يهدد أمن (مصر) وكرامتها .. أليس كذلك ؟

هتفت (سلوى) :

ـ وماذا عن ابنتى ؟

أجاب فى حزم :

ـ قلت لك : اطمئنني .. إنها المهمة الأولى لهؤلاء الرجال .

ولكن في نفس اللحظة ، التي نطق فيها عبارته هذه ، كان (جيمس) يختطف جهاز التحكم عن بعد ، ويهمّ بنسف أسطوانة التجميد كلها ، قبل أن يصل إليها رجال الفرقة الانتحارية ..

ورأى (أكرم) هذا ..

رآه ولم يحتمل رؤيته ، فاستجمع جسده إرادته كلها ، ووثب من مكانه ، وقفز يختطف أحد المدفعين ، ثم يهوى به أرضًا ، ويتدحرج صارخًا :

ـ أيها الوغد .

استدار إليه (جيمس) في غضب ، واندفعت سبّابته نحو زر جهاز التحكّم عن بعد ..

ولكن (أكرم) ضغط زناد المدفع ..

وانطلقت الأشعة القاتلة ..

وفي هذه المرة ، كانت الأشعة من نصيب (جيمس) ..

لقد اخترقت صدره ، وبطنه ، وجبهته ..

وجحظت عينا (جيمس) ..

ثم هوى ..

هوى جثة هامدة ، إلى جوار (أكرم) تمامًا ..

وصاح (أكرم) :

ـ مت أيها الوغد .. مت أخيرًا .

ثم جرّ نفسه جرًا ، إلى حيث مكبرات الصوت ، فأسرع الطبيب يناوله إياها ، وهتف هو ، بكلّ ما تبقى له من قوة :

ـ انتهى كل شيء .. أسرعوا بنقل (نشوى) .. أعيدوها إلى المستشفى .

قالها وترك جسده يسترخي في تهالك ..

لقد ربح المعركة أخيرًا ..

وهذا يكفيه ..

* * *

لم يكد (س ـ ١٨) يسمع صرخة (نور) ، حتى أدرك أن سيّده في خطر ..

وبسرعة ، درست أجهزة (س ـ ١٨) الموقف كله ..

وأدركت موطن الخطأ ..

وموطن الخطر ..

لقد أحدثت أشعة الطاقة خللًا جوهريًا ، في مسار آلة الزمن ، وصار من المستحيل أن يعود (نور) إلى زمنه وحده ..

إلا إذا ..

لم تستغرق أجهزة (س-١٨) أكثر من عشر ثوان - لو أن للزمن قيمة فى مجراه - لتحليل الموقف ، وإيجاد الحل اللازم ..

إن (س-١٨) يعلم الآن ، كيف يعيد (نور) إلى عصره ..

ولكن الثمن فادح ..

إن الطاقة اللازمة ، لتعيد (نور) إلى زمنه ، ستستنفذ كل طاقة (س-١٨) ..

حتى الطاقة الاحتياطية ..

ولكن (س-١٨) لم يتردد ..

إنه مبرمج لهدف واحد ، لايحيد عنه أبدا ..

على العمل لصالح سيده ..

واتجه (س-١٨) مباشرة إلى (نور) ، وهو يردد عبارته الوحيدة :

- (س-١٨) فى خدمتك ياسيدى .

وأمسك (نور) من كتفيه ..

وفجأة ، شعر (نور) بطاقة هائلة تحيط به ..

وانتظم مجرى الزمن ..

وصرخ (نور) فى سعادة :

- لقد فعلتها مرة أخرى يا (س-١٨) .

ولكن (س-١٨) دفعه دفعة أخيرة ، ثم توقفت أجهزته كلها عن العمل ..

حتى تلك البؤرة الصغيرة ..

وهوى (س-١٨) فى مجرى الزمن ..

وضاع بين العصور ..

أما (نور) ، فقد شعر حوله بانفجار عجيب ، يتألق ببريق مختلف الألوان ، ثم وجد نفسه فجأة ، على ارتفاع عشرة أمتار ، من سطح المحيط الأطلنطى ..

وصرخ (نور) ، وهو يسقط فى المحيط :

- (س-١٨) ..أين أنت ؟!

ثم ارتطم بالمياه الباردة ، وغاص جسده مترين أو يزيد ، قبل أن يصعد إلى السطح ..

ولدهشته ، وجد طائرة تتجه إليه ..

نفس الطائرة التى أتت به إلى هذه البقعة ..

ودارت الطائرة دورة كاملة حوله ، ثم هبط منها سلك رفيع متين ، ربطه (نور) حول وسطه ، وهو يبحث حوله ، صائحا :

- أين أنت يا (س-١٨) ؟

لم تفارق عيناه سطح الماء ، وهو يرتفع إلى قلب الطائرة ، حتى صار داخلها ، وأغلقت أبوابها خلفه ، وسمع الطيار يهتف به :

ـ ماذا حدث ؟!.. لماذا عدت بهذه السرعة ؟.. وأين تلك الآلى ؟
تطلع إليه (نور) فى دهشة ، وقال :
ـ بهذه السرعة ؟! ماذا تعنى يا رجل ؟
أجابه الطيّار :
ـ لقد قفزتما منذ لحظات ، فكيف عدت وحدك ؟.. هل فشلت المهمة ؟
وهنا فهم (نور) ما حدث ..
إنها لعبة الزمن ..
لقد أعادته آلة الزمن ، التى اخترعها (بيكاس) ، بالإضافة إلى طاقة (س ـ ١٨) ، إلى نفس النقطة ، التى انطلق منها .. إلى نقطة الصفر ..
حمدًا لله .. هذا يمنحه المزيد من الوقت ، لإنقاذ ابنته ..
وفى حرارة ، هتف (نور) ، وهو يقبض أصابعه على قارورة العقار فى قوة :
ـ بل نجحت المهمة يا رجل .. نجحت إلى حد كبير .
هتف الطيّار فى دهشة :
ـ كيف ؟.. ومتى ؟
أجابه (نور) :





ثم وجد نفسه ، على ارتفاع عشرة أمتار ، من سطح المحيط الأطلنطي ..

- عد بنا أوّلا بأقصى سرعة ، إلى (القاهرة الجديدة) .. هيا .. إننا فى سباق مع الوقت .

استدار الرجل بالطائرة ، وهو يقول :

- اطمئن .. سنصلها فى أقل من خمس ساعات .. هذا كان يستغرق خمسة عشر ساعة على الأقل ، فى القرن الماضى .

لم يجب (نور) هذه المرة ..

كان بصره يجوب للمرة الأخيرة سطح المحيط ، متشبثًا بآخر أمل فى العثور على صديقه الآلى ..

على (س-١٨) ..

* * *

صاحت (مشيرة) فى حرارة وسعادة ، وهى تعدو إلى جوار رجال الإسعاف ، الذين يحملون (أكرم) على محفة خاصة ، ويسرعون به إلى سيارتهم ، وسط جيش من رجال الأمن المصريين ، ورجال الصحافة من مختلف الجنسيات ، يحيطون بالسفارة البريطانية :

- رائع يا (أكرم) .. كنت رائعًا بحق .. بطولتك تنافس (نور) هذه المرة .

غمغم (أكرم) فى تهالك :

- أشكرك يا أميرتى .. كم تبدو الكلمات جميلة ، عندما تتهادى على شفتيك .

ضحكت قائلة :

- الأطباء يقولون أنك بخير .. بعض الرضوض والكدمات فحسب ، ويمكنك الذهاب إلى منزلك غدا ، وعندئذ سيسعدنى أن أسمع عباراتك الجميلة .

هتف بها فى مرح ، وهو يغالب آلامه :

- سيسعدنى هذا أكثر .

ثم سألها فى جدية واهتمام :

- ولكن ماذا عن (نشوى) ؟.. هل أنقذوها ؟

أجابته وهم يضعونه داخل سيارة الإسعاف :

- إنها بخير ، ولقد أعادوها إلى حجرة التجميد ، وهم يفحصون عمرها الآن .

أغلق عينيه متمتمًا :

- حمدًا لله .. حمدًا لله .

وفى نفس اللحظة ، التى نطق فيها هذه العبارة ، كان الدكتور (حاتم) يقول :

- إنها سليمة ، من الناحية الجسدية التقليدية ، ومخها بخير ، حتى هذه اللحظة ، ولكن عمرها ..

توقف لحظة ، فهتفت به (سلوى) فى هلع :

- ماذا أصاب عمرها ؟
هزّ رأسه فى أسف ، وقال :
- لقد واصل الانخفاض ، فى الفترة السابقة .
سأله الدكتور (حجازى) فى قلق :
- وكم يبلغ الآن ؟
أجاب فى أسى :
- عام واحد .
فوجئ الجميع بصوت يقول :
- عظيم .
التفتوا إلى مصدر الصوت فى سرعة ، وهتفت (سلوى) :
- (نور) ؟!.. كيف عدت بهذه السرعة ؟
أجابها (نور) فى حرارة :
- سأشرح لك كل شىء يا عزيزتى ، ولكن فيما بعد .. المهم الآن ، كم يستغرق أمر إعادة (نشوى) إلى الحياة ؟
أجابه الدكتور (حاتم) :
- الأساليب الحديثة لا تحتاج لأكثر من دقائق معدودة .
قال (نور) فى حزم :
- فلنبدأ الآن إذن .. دعونا لا نضيع لحظة واحدة ، فهذا هو العمر الذى أريد (نشوى) عليه بالضبط .

هتفت (سلوى) فى لهفة :
- (نور) ..هل أتيت بالعقار ؟
رفع (نور) القارورة الصغيرة أمام أعينهم ، وقال :
- ها هو ذا .
قال الدكتور (حجازى) فى قلق :
- ولكننا نحتاج إلى إجراء بعض التجارب أوّلاً ، و...
قاطعه (نور) :
- فيما بعد يا دكتور (حجازى) .. فيما بعد .. المهم أن نعيد (نشوى) إلى الحياة أوّلاً .
لم يضع الدكتور (حاتم) لحظة واحدة ، وأسرع يصدر أوامره فى هذا الشأن ، ولم تمض دقائق ، حتى عاد جسد (نشوى) دافئاً ، ينبض بالحياة أمامهم ، ولكنها ظلت غائبة عن الوعى ، وبكت (سلوى) ، وهى تقول ، متطلعة إلى ابنتها ، التى عادت إلى عامها الأوّل :
- هل سنراها مرة أخرى يا (نور) ؟.. هل ستعود شابة ، كما كانت تحب وتتمنّى ؟
أجابها (نور) فى حزم :
- فلندع الله (سبحانه وتعالى) أن يتحقق هذا يا (سلوى) .

ثم اقترب من ابنته فى ثبات ، وفتح قارورة العقار ، وتمتم :

ـ على بركة الله (سبحانه وتعالى) .

وسكب محتوياتها فى جوف ابنته ..

ولثوان ، بقى جسد (نشوى) ساكنًا ، صامتًا ..

ثم فجأة ، انتفض جسدها كله ، وفتحت عينيها دفعة واحدة ، ثم أطلقت صرخة ..

صرخة مدوية ، انخلع لها قلب (سلوى) ، فهتفت فى ارتياع :

ـ ماذا أصابها ؟.. ماذا أصابها يا (نور) ؟

كان قلب (نور) يرتجف أيضًا فى هلع ، ولكنه أمسك (سلوى) من كتفها فى قوة ، وهو يقول :

ـ تماسكى يا (سلوى) ..

وفجأة ، حدثت المعجزة ..

وكان الأمر أشبه بالسحر ..

لقد بدأ جسد (نشوى) ينمو ويتمدد ، فى سرعة عجيبة ، وعمرها يتزايد تدريجيًا ، وعادت تسبل جفنيها فى هدوء ، وتغيب عن الوعى ، وجسدها يواصل نموه ..

انتقلت فى لحظات من الطفولة إلى الصبا والشباب ..

وأخيرًا توقف جسدها عن النمو ..

توقف عندما عادت تمامًا كما كانت ..

إلى نفس نقطة الصفر ، التى بدأت عندها كل الأحداث ..

وفى سعادة ، احتضنت (سلوى) ابنتها ، وراحت تغمر وجهها بالقبلات ، وهى تهتف :

ـ حمدًا لله .. حمدًا لله .

وبكى الدكتور (حجازى) فى حرارة ، فى حين راح الدكتور (حاتم) يتلو بعض الآيات القرآنية ، وفتحت (نشوى) عينيها ، هاتفة :

ـ أمى .. أبى .. لقد عدت .

احتضنها (نور) ، وقبّل جبينها فى حنان ، وهو يقول :

ـ حمدًا لله (سبحانه وتعالى) يا (نشوى) ، وشكرًا له ألف مرة ، على عودتك إلينا سالمة .

قالت فى قلق :

ـ وكم سأبقى هكذا ؟

ابتسم مجيبًا فى حنان أبوى جارف :

ـ اطمئنى يا بنتى .. المفعول دائم هذه المرة .

هتفت فى سعادة :

ـ حقًا ؟!

ثم سألته :

ـ ولكن أين الجميع ؟!.. أين باقى الفريـــق ؟.. (رمزى) ، و (محمود) أين هما ؟.. وأين (مشيرة) ؟

ربّت (نور) على كتفها ، وقال :

ـ الجميع بخير يا (نشوى) .. الجميع بخير بإذن الله .

ترك زوجته تفرغ دموعها ومشاعرها مع قبلاتها ، التى تنهمر بلا حدود على وجه ابنتهما ، واتجه هو بقلبه إلى الله (سبحانه وتعالى) ، يشكره على نجاة الجميع ، ويبحث فى رحمته الواسعة عن جواب لعشرات الأسئلة ، التى تحتل عقله ، وقلق باله ..

تُرى هل اكتفى سادة الأعماق بخط دفاع ثان ، أم أنهم تركوا فى عقل ابنته خط دفاع ثالثـًا ، أو رابعًا ، أو خامسًا ؟..

هل انتهت مشكلاتها ، أم أن القدر يعدّ لها المزيد منها ؟..

ثم قفز ذهنه إلى شخص واحد ..

شخص آلى ..

واستعادت ذاكرته مشهد (س-١٨) ، وهو يهوى بعيدًا عنه ، فى مجرى الزمن ..

ومن أعمق أعماق جوارحه ، ألقى (نور) على نفسه السؤال الأخير ..

هل يمكن أن يعود (س-١٨) مرة أخرى ؟

وككل الأسئلة الأخرى ، بقى هذا السؤال حائرًا ومعلقًا ، فى خضمّ الحياة ..

وفى مجرى الزمن .

* * *

[تمت بحمد الله]

ملف المستقبل

سلسلة روايات بوليسية للشباب من الخيال العلمى

المؤلف



د. نبيل فاروق

نقطة الصفر

- كيف ينجو (نور) من موته المحقق، فى قارة (أطلانطس) القديمة؟
- ما الذى يسعى إليه (جيمس براندل)؟.. وكيف ينفذ مخططه الرهيب؟!
- ترى هل ينجح الجميع فى إنقاذ (نشوى)، أم ينهار عمرها إلى (نقطة الصفر)؟
- اقرأ التفاصيل المثيرة، وقاتل مع (نور) وفريقه، من أجل أمل أخير.

٩٣



الثمن فى مصر
١٠٠ ص
وما يعادله بالدولار الأمريكى فى سائر الدول العربية والعالم

الناشر
المؤسسة العربية الحديثة
للطبع والنشر والتوزيع

العدد القادم: الساحر